هى تتخيل

(وهلاوس أخرى لبيسنته أولجادو)



تأليف : خوان خوسيه ميّاس

ترجمة : مـروة رزق

541

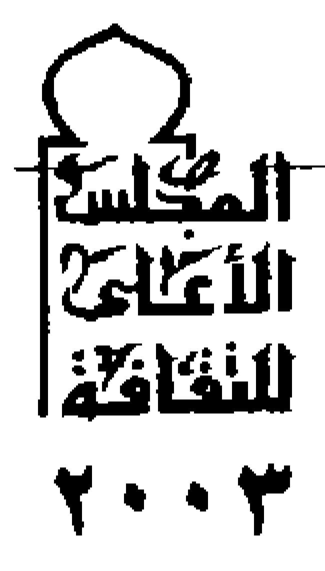
المشروع القومى للترجمة

هى تتخيل

(وهلاوس أخرى لبيسنته أولجادو)

تأليف : خوان خوسيه مِيّاس

ترجمة : مروة رزق



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٤١
- هى تتخيل (وهلاوس أخرى لبيسنته أولجادو)
- خوان خوسيه ميّاس
- مروة رزق
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تقديم المترجمة

الوحدة القاتلة للإنسان الحديث، الذى لم يعد يبحث عن بطولات خارقة، تدفعه ليحلق بعيداً عن كل ما أصبح مألوفًا ومملاً بالنسبة له، فى عوالم من خيالات وأوهام هى السمة الغالبة في هذه المجموعة. الشخصية الرئيسية (ببسنته أولجادو) تظهر فى جميع القصص، باختلافات شكلية ولكن ليست جوهرية، فهو قد يكون طفلاً أو أرمل أو أعزب أو مطلقًا أو متزوجًا ، ولكنه هو دائمًا وحيداً أو مهووسًا أو مضطهداً. له عالمه الخاص الذى تختلط فيه الحقيقة والوهم بلا أية فاصلة. ودائمًا المصادفة وسخرية القدر هى التى تساعده فى لحظة ما لاكتشاف حقيقة وجوده. وكثيراً ما يظهر بجواره توأم حقيقى أو متناقض خيالى، كتقنية ملازمة لخوان مياس فى معظم كتابته، لتؤدى به إلى اكتشاف الحقيقة، والذى أحيانًا ما يكون مجرد قط أو نظارة أو حذاء أو درج أو خزانة ملابس أو عشيق متخيل .... فأكثر مفردات الواقع تفاهة من وجهة نظرنا ، بالنسبة لمياس غير تافهة على الإطلاق بل هى تلعب دوراً مهمًا فى حياتنا دون أن نلتفت لذلك ويمكن عن طريقها أن نكتشف ماهيتنا .

يلعب خوان مياس في هذه المنطقة المحايدة بين الواقع والخيال ، بين كل ما هو مادى وميتافيزيقى. وفى لحظة ما يتورط القارئ مع الشخصية ولا يستطيع التميز بين الواقع والخيال. وينشئ مياس أنظمته الخاصة التى تتداخل مع الواقع وقد تبدو للوهلة الأولى عفوية وعشوائية ولهواً غير مقصود، ولكن سرعان ما ندرك مدى دقة وعمق هذه الأنظمة شديدة الرهافة والتى لم نعرها الاهتمام الكافى فى أول الأمر. يستعين مياس بسخرية لاذعة وأسلوب شائق للغاية بل ومذهل فى أوقات كثيرة. وليس مبالغة أن نقول إن كل رواية أو قصة جديدة لهذا الكاتب تكون مفاجأة غير متوقعة من حيث التقنية المستخدمة فى الكتابة، مع الاحتفاظ بالسمة المسيطرة على حكيه وهى أن الواقع قد يتحول إلى خيال فى أية لحظة بينما قد يصبح الخيالى واقعًا ملموسًا. أما أسلوبه فهو يعريه من كل ما هو غير ضرورى، بجمل قصيرة وتشبيهات غاية فى الجدة .

فى الوقت الراهن يجمع مياس بين احترام النقاد المتخصصين والانتشار الجماهيرى حيث تحقق كتبه أعلى المبيعات فى إسبانيا. فى عام ١٩٧٤ نال جائزة سيسامو عن روايته (ثيربيرو هو الظلال). كما نال جائزة نادال عام ١٩٩٠ عن رواية (كانت هذه هى الوحدة). وفى أبريل هذا العام حصل على جائزة بريماڤيرا عن أحدث رواياته "امرأتين فى براغ".

وقد ولد خوان خوسيه مياس فى ڤالنسيا فى ٣١ يناير من عام ١٩٤٦ ، وعاش فى مدريد الجزء الأكبر من حياته. تخرج من كلية الآداب والفلسفة من جامعة كومبلوتنسي بمدريد. وعمل مديراً لمدرسة خاصة لبعض الوقت وفى هذا الوقت بدأ الكتابة وحالياً يعمل بالصحافة وينشر عموداً أسبوعياً فى أكبر جريدة إسبانية "الباييس" كل يوم جمعة، ولا تقل مقالته من الناحية الأدبية والإبداعية أهمية عن باقى نتاجه القصصى. كما يعمل أستاذاً فى جامعة الآداب بمدريد منذ أن تأسست.

مروة رزق



هى تتخيل

(تخرج بحَذَر من دولاب وتتفقد الفضاء الذى ظهرت به حتى تتعرف عليه. المكان عبارة عن غرفة فندق وهمية. نحن بداخل قصة خيالية ويجب أن يتعاون كل شيء للحفاظ على هذا التأثير).

حسناً، ها هو الهوس مرة أخرى، ولكنه يبدو هوساً فارغاً لأنى لا أجد فيه بيسنته. كيف لا يوجد فى الحمام. بيسنته؟ بيسنته؟ لا يوجد أحد. سأبقى لفترة خاضعة لتأثير هذا الهوس فربما يعود.. أنا لا أدرى كيف تسيطر الأفكار المهووسة على من يملكون قططا، ولكن الأفكار المهووسة تصلح كصحبة أفضل من القطط، التى تختفى لساعات ثم بعد ذلك وهى تقفز فوقك لتداعبها، لا تعرف الواحدة منا أين كانت أو ما سر البقع على أرجلها. لا تستطيع الأفكار المهووسة الابتعاد عن الأجساد لأنها تعيش عليها، على دمائها. ولا تستطيع الأجساد الحياة بدون هذا العذاب، ولكنى لا أعرف لذلك سبباً. أحياناً يكون الإقلاع عن التدخين أسهل من التخلى عن المعاناة، فالمسألة هى أن الأفكار الغريبة ترقد بجوارنا، تسوى شعرها فى نفس الوقت الذى نقوم فيه بذلك، تصحبنا إلى المطبخ، إلى السوق، إلى طبيب الأسنان، إلى طبيب أمراض النساء، وطبيب الأنف والأذن والحنجرة. أعرف أن أنطقها كاملة: طبيب أنف

وأذن وحنجرة ورخوى. أنا أنطق كل الكلمات الصعبة: طبيب تشريح، بطيني، ذو شكل متكيس(*). إذا استيقظت يوما وقد رحل عني الهوس، لن أجرؤ على الخروج، بالرغم من أني لا أعرف ماذا أفعل بالداخل. الداخل والخارج.

ولهذا، كبديل عن القطط، أقتني أفكارًا مهووسة. نجح بيسنته أولجادو أن يوقظ فيّ الولع بالأشياء التي بداخل شيء آخر: البيضة مثلا توجد بداخل قشرة، والسردين يحفظ بداخل علبة من الصفيح. مع أن بيسنته هو من أوقظ فيّ هذا الحب، أعتقد أني قد ورثته عن أبي. إذا قفلت عينيّ وتذكرت حجرة طعام العائلة، ينبعث على الفور في فمي طعم السمك الذي كان أبي يكرهنا على بلعه. بالنسبة لأبي يتمتع السمك بمزايا سحرية. أو بطريقة أخرى كان العشق الذي يظهر عليه وهو يتناوله ويدفعه إلى أن يرغم الآخرين على تناوله غير مبرر. ككل عشق.

كان مفتقدًا لمنطق، بيد أن أبي كان يعبد الجدل، كديكارت الذي كان يؤمن أن الأشياء تحدث تباعًا. فهو كان يعيد ويكرر، ليبرر هذا الهوس، أن الفوسفور متوفر بداخل السمك، وهو مفيد للعقل، بل للرأس كلها، لذا كنت أفكر لكي أثبت أنه على صواب، أن لأعواد الثقاب رؤوسًا فسفورية وأحيانًا أخرى، حين يميل إلى التنظير أو فور الانتهاء من قراءة

(*) هذه الكلمات وردت في النص الإسباني للتدليل على قدرة الشخصية على النطق بألفاظ صعبة وهي بالترتيب : el otorrinolaringolo طبيب الأنف والأذن والحنجرة ويتم اختصارها للسهولة : el otorrino ؛ Lamelibranquio من الرخويات : Anatomista طبيب تشريح : venticular بطيني : saceliforme متكيس الشكل.

مجلة علمية واسعة الانتشار يضيف أن السمك مصدره البحر، وأن البحر هو الحساء البدائى، المكان حيث نبتت الحياة، والكسرولة الهائلة التى أتينا منها جميعًا. ولكن فكرة الكسرولة هذه، بدلاً من أن تصالحنى على السمكة الراقدة أمامى، أصابتنى باشمئزاز أكثر وأنا أتناولها. ذكرتنى فكرة الحساء البدائى بخليط البقول المسلوق، أو بطبيخ بنى تطفو فوقه أشياء لا تعرف الواحدة ما هى. إذا كان الفوسفور بهذه الأهمية، كنت أفضل أن يقدموه لى على شكل أقراص. رغم أنه كان لأخى صديق اسمه فيريرو - تصنع الحياة مثل هذه المفارقات - يعانى متاعب مع الذاكرة، وكانوا فى فترة الامتحانات يعطونه أقراص فوسفور من نوع فيريرو، و قد كانت على ما يبدو مقويات جنسية كذلك. سقط فى الامتحان، ولكن نما شيؤه أكثر من الطبيعى. رأيته ذات يوم عندما كان يريه لأخى فى الخفاء. بهرنى طرفه الحر الذى كان بحجم رأس طفل مولود. وبما أنى كنت فى حاجة مَرَضية إلى تصديق أبى، آمنت أن الفوسفور مفيد بالفعل للرأس، حتى رأس القضيب. ما هذه الوقاحة! فى هذه القصة الخيالية وأقول قضيب بلا مشاكل.

وكان أكثر ما يثير نفورى من السمك هو العسكرى الدمية المصنوع من الرصاص، وكان يذكرنى بشخصية القصة المشهورة، ورغم جوعى كنت لا أستطيع تناول السمك، فقد كنت أتخيل أنى سأعثر على عسكرى مبتور الساق داخل السمكة. ربما لم يكن سبب نفورى فقط أنه تنقصه ساق، وهذا سبب، وإنما لأن منشأه بالوعات المجارى، حيث يتساقط شعر من يتحولون إلى صلعاء أثناء الاستحمام، وأشياء أخرى. فرأس

وبدلة العسكرى مليئتان بالقانورات مما لا يمكن أن يمنح السمك طعمًا شهيًا. وهناك شيء آخر كان يحدث لى مع العسكرى حيث كان يبدو لى كرجل مجنون ذى ساق واحدة، وما يحمله في الحقيقة على كتفه على هيئة بندقية هى ساقه المبتورة، وإذا أضفنا إلى ذلك بيئته القذرة، يمكننا أن نفهم أن أكثر ما كان ينفرنى من السمك هو العسكرى المصنوع من الرصاص، إلى جانب أن فى القصة كانت الراقصة داعرة.

ولكى يخفف أبى، الذى كان يعتقد أن ديكارت بلجيكى، من حدة الصراع مع أحشائى، كان يتحدث عن الحساء البدائى مؤكداً أن أجدادنا القدامى كتبوا الرسائل على عظام الأسماك. وكان ذلك حقيقة أيضا مثل العلاقة بين الرأس والفوسفور. ذات مرة قام أبى باستخراج شوكة مستوية من سمكة برميس، والتى كانت حينئذ طبقًا خاصًا بالفقراء، من نفس المنطقة حيث تتورم غددى الليمفاوية، وفى الظل عند النظر إليها يمكن رؤية "عذراء البائسين" التى نقدسها فى منزلنا. المسألة هى أنه كان يجب أن أضيف إلى احتمال العثور على عسكرى مجنون متسخ وبساق واحدة، هلعًا خرافيًا من قضم رقبة العذراء بدون قصد. بالمناسبة كانت لأمى أيقونة عذراء من البلاستيك تضعها فوق الكومودينو، وكانت رأسها تلمع فى الظلام. فهى كانت إذن عذراء فسفورية. وهكذا فقد تم البرهان مرة أخرى على أن الفوسفور مفيد لرؤوس العذروات أيضًا. يستطيع أبى أن يرقد هادئا فى قبره، فأنا ما زلت أؤمن قدر استطاعتى أنه دوما كان على حق .

بفضل الأسماك، أو بذنبها، تعلمت تصورات الداخل والخارج. في مراهقتي، كنت أحب أن أدير وجهي ناحية الشمس ثم أفتح وأغمض عينيّ. عندما أغلق عيني كنت أشعر بأنني في الداخل وكان فتحهما بمثابة الخروج إلى الخارج. وأنا طفلة صغيرة كانت الأشياء التي تحوي على داخل وخارج تبعث فيّ الخوف والاشمئزاز. للأسماك هذان الشيئان، وكذلك الأبقار التي كنت أراها مفتوحة الساقين على القناة عندما تصطحبني أمي إلى السوق. والبيض ومعلبات بلح البحر والدواليب ذات الثلاثة أجزاء ... فبالنظر من بعيد أوبالنظر من خلال الذاكرة، والذي قد يختلف، أظن أنه ما كان يشغلني في الأشياء ذات الداخل والخارج هو أن يظهر في الداخل شيء مختلف عما نتوقعه نحن الموجودون في الخارج. لذا عانيت كثيراً حين كنا نعد أطباق العجة للعشاء، كنت أفكر دوماً أنه قد يخرج من البيضة شيء مقزز أكثر مما يوجد عادة بداخل القشرة. أما بالنسبة لمعلبات بلح البحر فقد كنت أعرف أنه يوجد بها عادة بلح البحر، ولكن من يستطيع أن يضمن ذلك، لا أحد يستطيع أن يضمن أن يومًا، بدلاً من بلح البحر، قد تخرج قذارة ما. وبنفس الطريقة قد يظهر عسكري بدون ساق، أو بساق موضوعة على كتفه، وبوجه وشعر تملؤهما أوساخ المجاري. وفي كل مرة كنت أشاهد أمي وهي تستعد لكسر بيضة لتصنع العجة كان يتملكني الهلع حتى أرى ما يخرج من البيض غالبًا، وليس أحد هذه الأشياء التي قد استبقها خيالي. بالمناسبة فإن البيض يحتوي على داخل أكبر من الخارج. وكان أبي يأكل كل ما بالداخل بدون أن يرى ماهيته. كان

يصنع ثقبًا في كل طرف ويشفط بقوة من أحدهما. رأيت بيسنته يفعل ذلك ذات مرة. ولكن كان أبى يقوم به صباح أيام الآحاد، أما الأربعاء فقد كان اليوم الذى يفعل فيه بيسنته ذلك. ما ولعى هذا بالدقة! كان أبى يقول إن البيض هو محار المزارع. ويتكون المحار من داخل وخارج، داخل وخارج، ورغم أن هذه المقدمة قد تفيد أننى لا أحبه، ولكن الشىء المؤكد أننى كنت أحب البيض، وكان حبًا ينطوى على قدر من التقزز .

وصناديق الأحذية؟ هناك يتسع المكان لعالم كامل. كان ما يسرنى فى الحقيقة عندما يشترون لى حذاء، هو الصندوق. كنت أحتفظ فى الصناديق بكنوزى وأسرارى. وأحيانًا كنت أصنع لها طابقًا ثانيًا حتى أزودها بغرفة سرية. وأحيانًا أخرى كنت أفتح فيها أبوابًا ونوافذًا أو أصنع بداخلها متاهات مستعينة بقطع من الكارتون. لصناديق الأحذية داخل وخارج، مثل الدواليب ذات الأجزاء الثلاثة. كان هناك دولاب من هذا النوع فى غرفة نوم والدىّ، وكان معتمًا عندما أفتحه كالبئر. كنت لا أعرف إلى أين تفضى هوة هذا الدولاب ولكن كانت لا تنتهى هناك قطعًا. كنت أقذف بالحجارة داخله وأسترق السمع، ولكنى لم أسمعها قط تسقط على قدر عمق هذا الظلام، حلمت أن بداخل الدولاب يعيش أمير اسمه كاسم أبى، وفى يوم وأنا أهم بتعليق جونلة يسحبنى إلى مملكة الظلام التى يحكمها. وحين كنت أمرض كانوا يدعوننى أقضى اليوم كله فى سرير والدى، فى مواجهة الدولاب وفى يوم عثرت داخل الجزء الأوسط من الدولاب على صندوق أحذية تحتفظ فيه

أمي بصور قديمة لها ولأبي ولأقارب كنت قد سمعت أنهم قد ضلوا أو توفوا. ومع الصور خطابات من هؤلاء الأقارب، الموتى والضالين. وهكذا بين مرض وآخر، اطلعت على تاريخ العائلة، الذي يقبع كاملاً في صندوق أحذية محفوظ بدوره في دولاب مكوّن من قطع ثلاثة. وحتى اليوم عندما أرغب أن أتذكر شيئًا ما أتخيل أني أفتح صندوقًا من صناديق أحذية الطفولة، وأضع بداخله ما أريد أن أتذكره، مهيئة له فراغًا بين هلاوسي. ثم لا يكون عليّ سوى أن أغلق عينيّ وأتخيل أني أفتح الصندوق، وهناك أجد الذكرى سليمة. الذكرى في الداخل وأنا بالخارج. الداخل والخارج .

وأحيانًا أفكر أن هذا الولع بالصناديق أو بكل ما يتكون من داخل وخارج، والذي رافقني طويلاً وقد يكون أضرني كثيراً، عبارة عن تنفيس لفضولي بجسدي أخجل من إظهاره صراحة، كما يقول بيسنته أولجادو. وبالفعل إذا اضطررت إلى تمثيل حياتي بشيء ما، ستكون مجموعة من الصناديق. فنحن نتكوّن في علبة عضوية نطلق عليها الرحم، ونقضي شهورنا الأولى في عربات صغيرة أو مهود تشبه الصناديق من غير غطاء. ويحبسون أقدامنا في علب صغيرة عندما نبدأ في تعلم المشي نسميها أحذية. كما أن أكثر ما يعجبنا في الذهاب إلى المدرسة هي المقلمة: علبة أخرى تتكون أحيانا من طابقين، كواحدة كانت تملكها أغنى فتاة في فصلي، وتُغلق بقفل صغير مثل مكاتب المدرسة. ثم تأتي صناديق الأحذية والتي رأينا أنها تسع عالمًا. وبعد ذلك الدولاب هذا الصندوق الكبير والذي ظلامه لا قاع له، ثم السيارة وهي علبة متحركة، صندوق آخر نتحرك بواسطته من مكان لآخر مثل الصفار داخل قشرة

البيض... وأخيراً، صندوق التوفير وعلب الكبريت وماكينات الدفع وصناديق لعب الطفولة وكل هذه العلب تؤدى إلى الصندوق الأخير، التابوت. فيمكن القول إن الحياة عبارة عن تعاقب الصناديق التى ربما، كما يقول بيسنته أولجادو، تمثل أجسادنا، هذا بالإضافة إلى أن بعض أجزاء جسمنا هى صناديق حقيقية. بالفعل، فهذا الجزء يطلق عليه الأطباء الصندوق الدماغى، وهذا يسمى الصدر، والمعروف أيضًا باسم قفص الجسم، واللثة بمثابة صندوق للضروس، ويوجد هنا تجويف داخل الأذن يُسمى صندوق الطبلة. وبالإضافة إلى ذلك، نملك نحن السيدات الرحم والمهبل اللذين يمتلئان دومًا ليفرغا.

(تتوجه إلى حافة المسرح، كما لو كانت شرفة، وتنظر إلى السماء بعد أن تشعل سيجارة وهمية).

لا شىء، ولا حتى نجمة واحدة. توجد فى هذه القصة الخيالية أشياء أسيطر عليها وأشياء لا أستطيع التحكم فيها. يمكن أن أبدّل مكان الأباجورة، والكومودينو، وحتى الدولاب ويمكن أن أخلق زجاجة شمبانيا فوق المائدة أو علبة حلوى مصحوبة ببطاقة من المخرج، ولكنى لا أقدر أن أصنع نهارًا أو أن أملأ السماء بالنجوم. وأيضًا لا أعرف فى أى بلد خيالى يوجد هذا الفندق الخيالى. عندما أرفع سماعة الهاتف الخيالى أو أفتح جهاز التليفزيون الخيالى أسمع لغة خيالية لا أفهمها. ربما هى بلدة غارقة فى الليل لأنها محبة للظلام، كالدواليب. بما أنها قصة خيالية مستعارة، فهناك أشياء لا يمكن أن أعدلّها لأن مالكها،

بيسنته أولجادو، لا يسمح لى...**(الآن تنظر مباشرة ناحية الجمهور)** وماذا يوجد هنا بأسفل؟ يبدو الفندق فاخراً، على الرغم من أن موقعه، لابد، فى شارع خافت الإضاءة. ياللعجب..**(تنظر إلى السيجارة المتخيلة، وتطفئها بضيق فى أى مكان، ثم ترميها)**. لا أستطيع الإقلاع عن التدخين حتى فى الروايات الخيالية ولذا فإن بشرتى...**(تعود للنظر فى اتجاه الجمهور، كما لو كانت ترغب فى معرفة ماذا يوجد هناك بأسفل)**.
أحب أن أتخيل نهراً تمر به سفن كبيرة بصناديق خشبية على متنها، وبحارة كثيرون يتحركون هنا وهناك وبأيديهم الحبال والدلاء والآلات الحديدية المتنوعة. ولكن مهما بذلت من جهد لا أصل إلى تخيل صوت خرير الأنهار، ولا الرطوبة التى يشعر بها المرء فى جوارها. أسمع الآن صوتًا ولكنه لأنفاس بعيدة وخامدة قليلا، وقد أسمع، مصادفة، صوت سعال أو نحنحة. إنها أصوات كئيبة بعض الشىء، ولكن ليس هذا لأنى أسعى لتخيل أشياء كئيبة، وإنما لأن فى قصة الفندق الخيالية هذه تُفرض علىّ أمور لا تعبر عن رغبتى الحقيقية.

(تنظر فى اتجاه الجمهور باستمرار، بينما تقول الكلمات الأخيرة، فتعتاد عيناها على الظلام وتعطى انطباعًا بأنها تبدأ فى تمييز، بانزعاج شديد، ما يوجد بأسفل). يبدو نهراً من الرؤوس أو كخندق زاخر برؤوس محدقة الأعين، كالأسماك فى السوق. انتظروا لحظة، رؤوس بأعين مفتوحة ترمقنى **(تعود إلى حافة خشبة المسرح وتنظر باهتمام إلى الجمهور)**. رؤوس تنظر إلىّ وتتنفس من هذا الاتجاه! إذن هذا ليس فندقًا بل مسرح. **(تبدأ فى المشى على حافة خشبة المسرح وهى**

غضبانة). وماذا أفعل حيال ذلك، فأنا أحب أن يتوجه إليّ الناس بنظراتهم، ولهذا فمن المحتمل أن أكون قد تخيلت ساحة مليئة بالمقاعد هنا بأسفل.وهكذا بدون التخلى عن وجودى فى غرفة فندق بيسنته، أنا موجودة فى نفس الوقت داخل صندوق المسرح، وحضراتكم فى الخارج. الداخل والخارج. أتخيل أن أحداً يراقبنى، هو أحد أفكارى المهووسة. حتى عندما أكون فى الحمام أتخيل عيناً حائمة حولى فى الهواء. وأنا أيضًا أحب مراقبة الآخرين. ألا تصدقون؟ بالفعل قبل مجيئى إلى هذه القصة الخيالية كنت فى أخرى أتجسس على أصوات رجل وامرأة من داخل دولاب.

(فى هذه اللحظة يتعالى صوت "حلة" ضغط أو براد قهوة، يأتى من عالم الواقع وتصطنع هى الدهشة فى الوقت الذى تقول : " يا إلهى، لقد تركت شيئًا على الموقد سأعود حالاً". تدخل الدولاب وتختفى. وبعد قليل ينفتح الدولاب ببطء وتظهر هى تدريجيًا. ويجب أن تنقل شعوراً بأنها لا تعرف أين تخرج، ولذا تكون حذرة فى حركاتها. وفى النهاية عندما تتأكد من عدم وجود خطر، تخرج بكل جسمها وتتفحص المكان الجديد).

اللعنة، ياله من ممر طويل. ولكن هذه ليست غرفة نوم، أليس كذلك؟ هذا صالون. فعندما يتاح لك السفر عبر فجوات الحياة، تُدرك أن الناس يضعون الدواليب فى أماكن غريبة للغاية. فى مرة ظهرت من دولاب ملقى بوسط حديقة. هناك أناس لا يطيقون أن يكون الخارج كبيراً كالحديقة، ولذا يحاولوا أن يعادلوه مع داخل دولاب كبير أيضًا. داخل وخارج.

(تفحص المكان أكثر وربما توقد النور. وتصبح حركاتها أشد جرأة).
حسنًا لا يوجد أحد هنا أو هم نيام. **(تتجه إلى حافة المسرح وتمعن النظر في الجمهور)**. أما زلتم هنا؟ هذه هي ميزة ساحات المقاعد، فهي تلائم أي خشبة مسرح، وهي هكذا تتشابه مع الدواليب، الموجودة في كل مكان. لقد تغيبت لأنظف المطبخ قليلا. أتنقل دومًا بين الدواليب فهي وسيلتي للانتقال من الواقع إلى الخيال. كما أستخدمها في التنقل بين الروايات الخيالية المختلفة. علمني ذلك بيسنته أولجادو وهوأمر في غاية البساطة: ترقد في أي مكان، وتغلق عينيك، وتسترخي وتبدأ مباشرة في تخيل أنك تنهض وتدخل دولاب غرفة نومك. وبما أن جميع دواليب العالم تتصل ببعضها البعض عبر دهاليز سرية، فسرعان ما تظهر في دولاب في منزل في بروكسل، كمثال، في البداية لن تتمكن من الظهور في المكان الذي تريده، لأن ذلك يستلزم بعض الممارسة والتدريب، وهو خطير بعض الشيء، ولكن مع مرور الوقت تكتشف الطرق والممرات التي تنقلك من مكان لآخر. أنا مازلت في المرحلة الأولى ولا أنجح دائمًا في الخروج إلى مرادي. الآن، مثلا، لا أعلم شيئًا عن المكان الذي وقعت فيه. يبدو منزلاً ينتمي إلى الطبقة المتوسطة في أوروبا، الأريكة متهالكة، لكن أطقم المفارش التي اضطررت أن أمر بينها في الدولاب هولندية أو بلجيكية. ربما يتبين لي بعد ذلك أنني في بروج أو أمبيرس . يحب بيسنته بروج كثيرا لاسمها. وكان أبي، بالإضافة إلى توقيره السمك، يعشق بلجيكا. وكان يعتقد أن ديكارت بلجيكي. لا أعرف لماذا؟ **(تقوم بعمل إيماءة توحي بالشك، وفي النهاية كأنها اتخذت قرارًا، تضيف)**: حسنًا

سأخبركم بالحقيقة: هذه ليست المرة الأولى لى فى هذه الشقة، والتى لا تقع فى بلجيكا، يا للترهات؟ لا أستطيع التوقف داخل أية رواية، إلى أن يظهر البلجيكيون، رغم أنى لست مدينة لهم بشىء. يكفى المساكين ما يعانون، ولا أعرف ما هو؟ لأنى حقيقة لا أعلم شيئًا عنهم أو عن الآخرين. لم أذهب مطلقًا إلى بلجيكا ولكن كان أبى معجبًا بشدة بكل ما هو وسط أوروبى- كان يظن أن ديكارت من وسط أوروبا- ولهذا ربما أكون قد اخترت هذه الشقة فى بلجيكا، بسبب أبى، والذى تعلم الفرنسية ليقرأ ديكارت، فهو كان يعشق الجدل والبراهين كما ترون. والآن فأنا كذلك أعشق مضامين الروايات، وهى ليست سوى طريقة أخرى للتصديق على ما كان يعتقده أبى. الحقيقة أن هذه الشقة تخص والدىّ. نعم فى هذا الصالون، كنا نأكل السمك، المنطوى على تهديد دائم بوجود دمية عسكرى معوق بداخله. وفى منتصف هذه المائدة كانت توضع الصحون التى يتبخر منها الحساء البدائى. ياللقرف!وفى هذا الدولاب يوجد صندوق الأحذية حيث يغلى كل تاريخ العائلة. **(تقترب من الدولاب وتُخرج صندوق الأحذية وتريه للجمهور)**. لا أعرف الآن من يعيش هنا، لأننا كنا نستأجره، كما أنى أحكى عن وقت كنت فيه صغيرة. منذ علمنى بيسنته أولجاد والسفر عبر الدواليب حضرت إلى هنا خمس أو ست مرات، ولكنى لم أجرؤ قط على الخروج إلى الردهة. كنت أحيانًا أسمع سعالاً ومواءً كما لو كان شخص يعيش هنا يدخن بشراهة مع قطه. كان أبى يدخن مثلى. على النقيض كانت أمى تفضل الدانتيلا المطرزة. وربما أثّر ذلك فى أنى اخترت شقة والدىّ فى بلجيكا: فمن ناحية أرضى هوس أبى، والذى كان يهوى كل ما ينتمى إلى وسط

أوروبا، ومن ناحية أخرى، أقرب عالم المشغولات إلى أمى. فقد كانت أمى تعشق مفارش السفرة والستائر والملاءات، ومع ذلك لم تحظ أمى بأية هلاوس. كانت تحب القطط، وبالفعل كانت تملك واحداً وكان... **(تقوم بحركة توحى بالشك وتغير اتجاه الحديث، كما لو أن شيئًا مكدراً قد حدث لهر والدتها)**. ما يهمنا أنه من الطريف هو أنى عندما أتواجد فى الفندق، مملكة بيسنته، أتكرس للحديث عن أبى، بينما حين أكون فى منطقة أبى، كالآن ، أحب الحديث عن بيسنته أولجادو. ربما يتصل آباؤنا وعشاقنا ببعضهم مثل الدواليب. بحيث تستشعر فى حضن والدك كأنك فى حضن الحبيب وحين تغوص فى عناق الحبيب تحس بطريقة غامضة كأنك فى حضن والدك. إن العالم إما أعجوبة، أو كابوس، لا يبقى فيه أى شيء ساكنًا لثانية واحدة. ونحن نميل إلى رؤية الأشياء كما لو كانت أحداثًا منتهية، أو ظواهر ساكنة، ولكن كل الأشياء التى يمكن أن أتخيلها، حتى أكثرها تفاهة، كالحجر أو الحذاء يمكن اعتبارها وقائع. تحدث وتتفاعل وتقع طوال الوقت. تأملوا أحذيتكم، التى لا تعيرونها أى اهتمام قطعًا. فربما يكون شيء غريب يحدث بداخلها فى هذه اللحظة، وأنتم لا تدركون لأنكم لا تدققون النظر. فمن يضمن أن الأحذية لا تتصل ببعضها هى أيضًا مثل الدواليب، والعشاق والآباء. فربما يشق إصبع من قدمك اليمنى طريقه فى اتجاه حذاء آخر حاليًا، بينما إصبع الحذاء الآخر يرقد الآن فى حذائك. وبالفعل عندما تخلع ملابسك الليلة، لن تكتشف أنهم قد استبدلوا إصبعك. نحن نهتم فقط بمحور الأشياء، أو كل ما يوجد فى الداخل أكثر مما يوجد فى الخارج -

داخل وخارج - بينما كل ما هو مهم يحدث في المحيط الخارجي دائماً، في الأحذية والدواليب مثلا، وهذا أمر محزن لأننا نفقد الشيء الأفضل. فمن يضمن أن إصبعك الذي رجعت به إلى البيت، بدون أن تدرك أنه لا يخصك، لا ينتمي لشخص قد أحببته في شبابك، وتتذكره اليوم بعد النضج في أمسيات الحنين. من المحتمل أن يتبادل العشاق الأصابع بغض النظر عن مضي الزمن، أو حتى قد يتبادلون أقداماً كاملة عن طريق الأحذية. كما تسافر العيون عندما نغلقها لتستطيع رؤية أشياء بعيدة عنا، ولكنها تخصنا. أنا نفسي عيني - هذه - تخص بيسنته أولجادو، أو هذا ما يقوله هو وبفضل ذلك فهو يرى ما أتطلع إليه أنا، وبهذه الطريقة فنحن مرتبطان دوماً حتى ولو لم نلتق.

على أية حال، فإن أكثر الروايات الخيالية التي أعيشها حالياً هي رواية غرفة الفندق التي رأيناها منذ قليل، بالرغم من أنه ينبغي أن أعترف لكم أنها ليست من اختراعي، فقد أضفت لها بعض التفاصيل: الستائر، وأباجورتين تبثان إضاءة لطيفة، كما اخترعت أيضاً خشبة المسرح فأنا لا أطيق ألا يراقبني أحد، وأما كل ما هو جوهري فقد اخترعه بيسنته أولجادو. اعترف لي في يوم أنه في المساء بعد الخروج من العمل، يعود إلى المنزل، وبعد أن يأكل علبتين من الزبادي المنزوعة الدسم، مع البسكويت، يستلقي على الأريكة ويغلق عينيه ليتخيل حكايات. وذات ليلة وبدون نية سابقة، بمجرد أن أغلق عينيه رأى زاوية لحجرة غريبة عليه، ومن ذلك الحين أخذت الرؤية تتكرر كلما أغمض عينيه، وخاصة عندما يكون في السرير قبل النوم. واعتاد على هذا المكان

حتى أصبح متنزهاً له فى الخيال. وفى جولاته عبر هذه الغرفة كان كثيراً ما يتوقف أمام الشرفة ويتأمل نهراً واسعًا تشقه سفن كبيرة تحمل على متنها صناديق خشبية. ومع الأيام أخذت الزاوية تتسع حتى تولّدت منها غرفة كاملة. كانت غرفة فى فندق على ما يبدو: تحوى سريراً ضخماً، يغطيه لحاف، كما لو أن الغرفة فى بلد قارس البرودة، فى وسط أوروبا، ودولاب بداخل الحائط، وقطعة أثاث تصلح لأغراض متعددة، فوقها جهاز التليفزيون، بالإضافة إلى مائدة مستديرة ومقاعد المسرح التى ذكرتها من قبل.

اعتاد بيسنته أولجادو أن يمضى هناك فترة المساء، بعد تناول الغداء، حيث يرقد على الأريكة ويغلق عينيه ويدخل هذه الغرفة التى تشبه رحم الأم بما لها من قدرة على تلبية جميع احتياجاته. اكتفى فى البداية بالتمشية أو التطلع إلى النهر، وكلما كان يطمئن أكثر يتجرأ على القيام بأشياء أخرى، مثل استخدام البار الصغير المختبئ تحت التليفزيون، أو الاستحمام فى البانيو الفاخر، أو الضغط على مفتاح خدمة لا تبث غير الموسيقى الكلاسيكية. وفى يوم أدار جهاز التليفزيون، وكان هناك ما قد يكون برنامج مسابقات، ولكن كانوا يتحدثون لغة لا يعرفها بيسنته. وبمرور الوقت كان تجسيد هذا المكان والتسلل إليه يصبح أسهل لبيسنته. صار يفعل ذلك فى أى مكان: فى الأتوبيس مثلا. كان يكفى أن يرخى جفنيه حتى يلج غرفة الفندق الغامضة تلك، ويبقى معزولاً ومحمياً من أى خطر. اكتسب عادة حمل كتاب خيالى يقرأ فيه لمدة ساعتين خياليتين قبل أن يدير التليفزيون الخيالى. وذات مرة خرج إلى الردهة

الخيالية ليتفقدها ويقول إنه رآنى وأنا مارة مرتدية نظارة غامقة. لم أنتبه له بالرغم من أنه فى ذلك الحين كانت لى أيضًا رواية خيالية تجرى أحداثها فى فندق. ربما كنا جيران خياليين دون أن ندرك. المثير أن بيسنته كان لا يستطيع أن يكمل أية قراءة فى منزله الحقيقى لأنه سرعان ما يبدأ فى التفكير فى تهديدات تخرجه عن النص:أنه نسى أن يغلق محبس الغاز مما أدى إلى حدوث تسرب، أو أن التليفون سوف يرن ليبلغوه بنبأ سئ ، أو عند دخوله السرير سوف يعثر على هر ميت بين الملاءات. كان يتمتع بمزاج مهووس قليلا، مثل أبى، ولا يستطيع التوقف عن تخيل الحكايات. وكان يشبهنى فى ذلك، لأنى أيضًا لا أكف عن تخيل الحكايات طيلة الوقت. كان الاختلاف بيننا أنه يتخيل كوارث فقط، بينما أتخيل أنهم قد منحونى جائزة نوبل مثلا. بالتحديد لى حكاية خيالية أسرح فيها كثيرًا، أتخيل أنهم قد منحونى جائزة نوبل فى الطب لاكتشافى أن الحلق والمهبل يتكونان من نفس النسيج، وبالتالى قد تحدث التهابات حلقية فى المهبل والتهابات مهبلية فى الحلق. وهذا يفسر لماذا نضع أشياء فى مكان ثم تظهر فى مكان آخر، لأن جميع ثقوب العالم متصلة ببعضها، كما ذكرت. وهكذا ربما تضعين ملابسك فى درج الدولاب، ثم تظهر فى دولاب جارتك، وهكذا أيضًا قد يدخل فيروس عن طريق الجهاز التنفسى ويظهر بعد حين بطريقة ملغزة فى المهبل. إذن فالتهاب الحلق الذى تتم معالجته على أنه التهاب مهبلى، وذلك لمجرد ظهوره فقط فى المهبل، لا يشفى. وهذا ما حدث فى حكايتى الخيالية لكثير من المرضى، حتى توصلت إلى وجود التهاب مهبلى يجب أن

يعالجه طبيب الأنف والأذن والحنجرة، والتهاب حلقي يحب أن نذهب به إلى طبيب أمراض النساء. هذا معقد جداً، لأن الكشف على المهبل من مقعد طبيب الأنف والأذن والحنجرة، أو فحص الحلق من مقعد طبيب أمراض النساء، ليس بالأمر الهين طبعًا، ولهذا منحوني جائزة نوبل، لأنه شيء صعب للغاية .

في البداية، اعتقدت أن تخيل الحكايات طيلة الوقت مرض. حسنًا، الحقيقة أنني اضطررت إلى الذهاب للطبيب حيث شعرت بأنني على وشك الإصابة بالجنون. فمنذ ثلاث سنوات وأنا أتخيل حكايات بدون توقف. سألني الطبيب عما يفعله لمساعدتي وشرحت له أنني لا أفعل شيئًا آخر سوى اختراع الحكايات. وأخبرته بأنه منذ طفولتي وأنا أمتاز بمزاج عصبي، أو هذا ما كانت تقوله أمي، لأني لم أكن على وفاق مع قطها. وبأنني تلقيت علاجًا عندما بلغت الثلاثين، بالرغم من أني لم أشك من أزمات خطيرة، ولكن عادة اختراع الحكايات الغريبة هذه بدأت تزعجني. سألني "ماذا تقصدين؟" قلت له إني أقضي اليوم أخترع قصصًا لا وجود لها. فمثلا الآن، عندما كنت جالسة في قاعة الانتظار تخيلت أن هذه العيادة مكتب مدير شئون عاملين لشركة جئت إليها طلبًا لوظيفة. سألني الطبيب: وماذا يمكن أن تعملي؟ قلت له: أرأيت؟ ها أنت قد انقدت إلى حكايتي. من السهل أن تترك نفسك لتنساق وراء إحدى الحكايات. نظر إليَّ الطبيب متعجبًا ورأيت أنه لا يريد الكلام، ولهذا فقد أضفت : السئ هو أنني لا أستطيع التوقف عن التخيل، وأحيانًا أكون قد أوشكت على نهاية حكاية ما، وإذا لم تخطر لي مباشرة حكاية ثانية

تصيبنى غصة ضيق، لأنى أعانى خوفًا خرافيًا من وقوع كارثة إذا أقلعت عن تخيل الحكايات. ولكن عندما يصبح الضيق غير محتمل وأنا أنهى إحدى الحكايات، والعالم ينهار لأنه لم تخطر لى حكاية أخرى، تظهر الحكاية الجديدة مما يشعرنى براحة وقتية". هنا قال لى الطبيب بجدية: " أعتقد أننى لا يمكننى مساعدتك" سألته: " لماذا يا دكتور؟ وأنا أسعى إلى إغرائه بابتسامة بارعة أستخدمها عادة لتحقيق بعض أهدافى. قال: " فى الواقع أنا طبيب أمراض نساء ويجب أن تستشيرى طبيبًا نفسيًا. فأجبت: " ولِمَ لا تتخيل أنك طبيب نفسى وأنا مريضة جديدة تحمل توصية من طبيب نفسى آخر شهرته عالمية. تنحنح الدكتور ووضع يديه فوق بعضهما فى علامة عصبية لنفاذ صبره وبدا مترددًا للحظات. أضفت: " لن يكلفك ذلك شيئًا" وأنا أميل برأسى ليمر على وجهى جزءًا من ذيل حصانى المرفوع ليفتت الابتسامة الرائعة إلى قطع صغيرة. حينئذ سيطر علىّ انطباع بأن الطبيب يعانى من الخوف، هذا النوع من الخوف الذى ينتابنا عندما نكون على وشك اتخاذ قرار يمكن أن يقلب حياتنا. وفهمت أنه سيتهرب منى، وبالفعل، وقف فى الحال، وأمرنى بالخروج وأوصى الممرضة أن تعطينى بطاقة الدكتور جوتييرز وأضاف: " هو طبيب نفسى قدير وابتعدى عنى". أخذت سيارة أجرة وتوجهت إلى عيادة الطبيب النفسى ونجحت أن أقابله على الرغم من أننى لم أطلب موعدًا مسبقًا. سألنى" كيف يمكن أن أساعدك؟" فقلت: " سترى يا دكتور، فأنا منذ عدة أيام أعانى من ألم فى المبيضين كما أن ثديىّ متورمان".قال" ينبغى أن تستشيرى طبيب أمراض نساء، فأنا طبيب

نفسى. أجبت" لقد ذهبت إلى عيادة طبيب أمراض النساء وقد أرسلنى إلى هنا. فى الحقيقة أنا لا يؤلمنى المبيضان ولكن ماذا سيتعبك لو تخيلت أنك طبيب أمراض نساء وأننى حالة مبيضية مرضية شيقة". فقال ناظراً إلىّ باستغراب من فوق نظارته: "ولكنك لا تعانين من ألم فى المبيضين" فأجبت " وأنت لست طبيب أمراض نساء ولكن يمكن أن نتخيل معًا حكاية. فبينما كنت جالسة فى قاعة الانتظار تخيلت، مثلا، أنك مالك شركة ضخمة وأنا امرأة فقيرة جئت لأطلب منك عملاً". فرد بآلية: " ماذا يمكن أن تعملى؟" "أرأيت ها أنت بدأت تتخيل معى بدون نية. لا أعرف لماذا أطباء أمراض النساء والأطباء النفسيون يسهل خداعهم دائمًا". سألنى متحيراً " هل تسخرين منى؟ انظرى لقد قابلتك لأنى اعتقدت أنها حالة مستعجلة ولكنى لا أسمح بمثل هذه التصرفات فى عيادتى". اعتذرت قائلة :" إنى متوترة جداً". أضاف": حسنًا سأعطيك بعض الأقراص وأرسلك إلى طبيب أمراض نساء محل ثقتى ". فقلت ولكننا اتفقنا على أنى لا أعانى ألمًا فى المبيضين، حينئذ احمر وجهه من الغضب وصرخ"أنت مجنونة!" فأجبت سعيدة "موافقة، إذن هيا نتخيل أنك طبيب نفسى مشهور".

تركته يتناول مهدئات، وانصرفت إلى المقهى، حيث ألتقى بيسنته أولجادو عادة، لأتخيل حكايات أخرى، ولكن بيسنته لم يظهر فى هذا اليوم ولا فى الأيام التالية. فقد سافرت عدة مرات إلى حكاية الفندق الخيالية، ولكننا لم نلتق، لا أعرف إذا كان لم يعد يذهب أو أننا نذهب فى مواعيد مختلفة، ربما عندما أكون فى الداخل يكون هو فى الخارج.

الداخل والخارج. والأسوأ أن يكون قد ضل داخل الدواليب وهو يحاول أن يقوم برحلة غير عادية. أحيانا قد تسقط من دولاب إلى آخر بدون سيطرة، أو رغم محاولتك الذهاب إلى مكان ما لا تستطيع لأنك لا تجد الدهليز المناسب. فى المرة الأخيرة رأيتم أنى ظهرت ، مستجيبة لهواى، فى شقة تنتمى لطبقة متوسطة بلجيكية، وكما اعترفت لكم فإنها فى الحقيقة البيت الذى عشت فيه وأنا طفلة، ولا أعــرف من يسكنه الآن، ولا أرغب فى أن أعرف مطلقا. أحضر إلى هنا لأن هذا المكان يشكل عندى هوسًا، وأنا أحب زيارة هلاوسى. على أية حال لا تعتقدوا أن المجىء كان يسيراً، فلقد اضطررت إلى الاستعانة بخزانة صغيرة، لم أعرف ماهيتها، كمعبر ، ربما كانت حقيبة سيارة أجرة. وسمعت شخصين يتحدثان، أحدهما يتكلم من خلال نشيج البكاء، وربما كان السائق. كان يحكى للآخر أن زوجته تعانى منذ عدة شهور من خيالات تدمر حياتها العائلية. سأله الآخر:" خيالات من أية نوع؟" لذا شرح الرجل المسكين، الذى يبكى، أنه فى يوم عندما كانت زوجته تعد العجة سمعت ضوضاء داخل الثلاجة. فاقتربت وفتحتها وظهر لها بالداخل ملاك أخبرها بأن جورباتشوف هو المسيح الدجال وعليها أن تنشر هذه الرسالة للعالم أجمع حتى لا تنخدع النفوس الطيبة بالخطاب الزائف الحاصل فى روسيا. سمعت الراكب يقول" ياللعجب" فأجاب السائق" ولكن إذا أرادت الملائكة نقل هذه الرسالة إلى الإنسانية ستظهر فى كهف، فى رودس مثلا، وليس فى ثلاجة سيدة فقيرة. ولكنها ما تنفك مصرة على أن جورباتشوف هو المسيح الدجال، وهى إما واقفة تتحدث

مع الملاك أو قابضة على سماعة الهاتف تتصل بمحطات الإذاعة لتنشر هذه الرسالة الجليلة وتقول إن البقعة في رأس جورباتشوف هي التي سوف تفضحه. قدّم إليه الراكب، والذى كان على ما يبدو طبيباً، قرص فاليوم لتهدئته. ورغم عشقى للفاليوم، والذين لا يسمحون بشرائه بدون روشتة، أما هذا الرجل فبمجرد البكاء قليلا... وأنا أتأهب للخروج من هناك، كان قد فاز بقرص الفاليوم الثانى على ما يبدو، لأنه أخذ يحكى، أن ابنته الكبرى تسمع أصواتا تخرج من الميكروويف تهتف لصالح الطبقة العاملة. المسألة هى أننى لم ألتق بيسنته فى الداخل، ولا فى الخارج - الداخل والخارج - والأسوأ من ذلك أننى لا أستطيع العيش بدونه، كما لا أقدر أن أحيا بدون دولاب. لو كنت مشهورة وسألونى هذا السؤال الغبى عن ماذا سأحمل معى إذا ذهبت إلى جزيرة معزولة،سأجيب: دولاب بداخل الحائط، أتتخيلون دولاباً بداخل الحائط فى جزيرة معزولة؟ **(تُسمع أصوات آتيه من الردهة: صرير باب، نحنحة، كحة لمدخن شره، سيفون، ومواء قط. تتوتر وتخفض صوتها)**. يبدو أن شخصاً قد نهض ليشرب. حسناً سأمضى لأنى لا أريد أن يقبضوا علىّ، كذلك لا أرغب فى معرفة من يعيش هنا، قد يتحدثون الفرنسية ونصبح فى بلجيكا حقيقة. سأحاول الرجوع إلى غرفة الفندق، لعل بيسنته قد عاد وينتظرنى. **(تدخل الدولاب وبعد قليل تعود للظهور بالحركات الحذرة المعتادة. تحمل تحت إبطها صندوق أحذية ولن تدعه)** .

أف ، ما هذا الصقيع؟ ولكن هنا مستودع قمامة. تترك الناس الدواليب فى مناطق غير منطقية بالمرة. لا تعتقدوا أنى خرجت هنا

بمزاجي، لقد مررت بأربع دواليب حائطية وواحد آخر مكون من جزئين، ولكن كان على الاستمرار لأننى مررت بأشخاص بداخل الحجرات يتلفظون بترهات. لذا سأرتاح هنا لبرهة سأجلس فوق هذه الغسالة وهذا يكفى. **(تقفز فوق هذه الغسالة المهجورة وتخرج"سوتيان" جديد تمامًا. يعجبها وتضعه فوق ثيابها لتختبر إذا كان مقاسها. ثم تحتفظ به فى صندوق أحذيتها ووجهها يشى بالرضا).**

إنه يشبه أول " سوتيان" ارتديته وكان من الدانتيلا. تتصل الغسالات ببعضها البعض أيضًا. ولذا أحيانا عندما تخرجين الملابس لتجفيفها تكتشفين اختفاء بعض "الكيلوتات" والجوارب. دائمًا ما تنتهى فى غسالة أخرى، حتى لو كانت بالية مثل هذه. وفى هذا أيضًا كان بيسنته محقًا أليس كذلك؟ فالأشياء تتحرك فى هذا العالم بعشوائية، "كيلوتاتى" التى تخصنى اليوم يمكن غدًا أن تصبح ملكك أو ملكها. نحن لا نملك شيئًا، ولا حتى أفكارنا. كان بيسنته يعتقد أن الأفكار مستقلة كالطيور، التى تطير من مكان لآخر بدون أن تنتمى لأحد. لذا نقول باستمرار لقد طارت منى فكرة لأنها أحيانًا ما ترتحل للسكنى فى رأس آخر. الداخل والخارج. تعتبر الرأس بيئة الأفكار كالهواء والماء بيئتى الطيور والأسماك. ولكن ليست رأسًا معينة، وإنما الرأس عامة. ولذا أحيانًا نقول" هربت منى فكرة مثلما يفر الطائر من القفص. تسافر الأفكار من رأس لآخر مثل "الكيلوتات" عبر الغسالات ومثل الأجساد عبر الدواليب. حكى لى أبى أنه قديمًا كانوا يعتقدون أن الكون على هيئة جمجمة، وهكذا تكون الطيور أفكاره ونحن، ربما، أفكاره المهووسة. لهذا

فقد يخطئ الكون ونخطئ نحن أنفسنا. فالطيور ليست أفكار العالم، ولسنا نحن مالكين للأفكار التى تطير من رءوسنا ولا حتى للفيروسات التى تعشش فى دمائنا. إذا كنا لا نملك شيئًا حيال الفيروسات، فبالأحرى ألا نملك شيئا حيال الأفكار، بالرغم من أنها هى أيضًا تقتلنا.**(تحملق فى الأرض)**. ما هذا الذى يبرق؟ **(تلتقط شيئًا)** إنها مطواة تشبه واحدة كانت لى وأنا صغيرة، أحضرها لى أبى من بلجيكا، رغم أنها كانت مصنوعة فى سويسرا. ربما تكون بلجيكا وسويسرا متصلتين ببعضهما، مثل الدواليب، وكل ما يُصنع فى بلد منهما يسقط فى المحال التجارية للبلد الثانى، فالآن كل ما يُصنع فى تايوان يسقط فى محالنا. تايوان دولاب كبير. **(تضع المطواة فى صندوق الأحذية)**.

هل ترون ما أخبرتكم به عن الأفكار، بأنها ترحل عندما تريد. لقد هربت منى الفكرة التى أردت أن أقصها عليكم عن بيسنته أولجادو، ولكن يبدو أنها بدأت تعود. نعم قد جاءت: كان بيسنته على ما يبدو ينتمى إلى عالم الخيالات والأحلام، وهذا ما كان يجذبنى ناحيته. كانت طريقة تعارفنا غريبة. حين كنت أتناول غذائى يومًا على عجل فى مقهى بأحد المراكز التجارية الضخمة، لأنى أحب أن أتخيلنى وأنا آكل فى الأماكن العامة، لاحظت أن شخصاً يبعد عنى بمائدتين أو ثلاث يراقبنى. وبما أن هذه هى هوايتى المفضلة: أن أشعر بمراقبة الآخرين لى، أخذت أتناول الطعام ببطء أكثر وبطريقة شخص غارق فى التفكير، لأنقل الانطباع بأن لى عالماً داخليًا. يمكنك أن تحمل عالمك الداخلى فى الداخل أو فى الخارج – الداخل والخارج، بالفعل تحمل سيدات كثيرات عالمهن

الداخلى خارجهن، ولكنى أفضل أن تحتفظ به فى داخلها، رغم أنه فى هذه الحالة يكون أقل استعراضاً. ما حدث هو أنى تصرفت كما لو أنى لم أنتبه إلى الناظر، ولكنى أخذت فى الخفاء أتأمل هيئته تدريجيًا وأول ما لفت نظرى هو أنه أعور. يصعب عليكم تصديق ذلك؟ وهذا لم يخيب أملى بالرغم من أنه يعنى أنه سوف ترمقنى نصف عدد الأعين التى توقعتها. لا أعرف، ولكن كان مظهره غير واقعى بالمرة، كما لو كنت تخيلته لمجرد أنى لا أطيق أن أتناول الطعام بمفردى بدون أن ينظر إلىّ أحد. ولهذا أحيانًا كثيرة أتخيل، وأنا أقضم الساندوتش، شخصًا يراقبنى من ركن المطعم. وفى هذا اليوم، بالذات، كنت أتخيل أبى ينظر إلىّ، ولكن عندما رفعت بصرى إليه وجدت بيسنته. كان بيسنته الأعور، كما أطلقت عليه، وهكذا أيضًا كانوا ينادون والدى، يبدو منتميًا لعالم الخيالات أكثر من العالم الحقيقى: لا أعرف ، ربما بسبب ملبسه وإيماءاته. بعد قليل رأيته ينهض ويتجه ناحية مائدتى. حسنًا، طلب منى وهو يعانى، حيث كان من الملاحظ أنه شديد الخجل، إن كان يستطيع دعوتى لفنجان قهوة. نظرت إليه بوجه يحمل عالمًا داخليًا كثيفًا وراء العينين، ولكن دون أن أتفوه بشىء، رغم أنه فى الحقيقة كانت الطريقة صامتة ولكنها مانحة وقد اكتفى هو بذلك. حينئذ جلس بجوارى وكان شديد العصبية حتى إنه بدأ يتكلم ويتكلم عن أى شىء كما لو كان خائفًا من أنى سأتلاشى لو كف عن الحديث. وحكى لى أنه منذ أن لمحنى فى هذا المطعم، يذهب فى كل يوم على أمل أن أحضر ويتسنى له أن ينظر إلىّ، وكان يقنع بمجرد النظر إلىّ ولكن فجأة بدأ يشعر بالخوف من أن

أتوقف عن المجيء لأنه لم يعد يتصور الحياة بدون النظر إليّ. وفي كل مرة يتحدث عن النظر إليّ، كنت أرقب عينه العوراء وأتخيلها علبة فارغة، والتي بما أنها تفتقد العين، يمكن حفظ أشياء أخرى بها: قرص فاليوم مثلا، أو قرص إسبرين. كان جفنه في الحقيقة مسدلاً بطريقة غريبة تجعلها تبدو كعلبة دواء. إذا كانت توجد أجفانًا من الفضة، لكنت أهديته واحداً. وكان مدعاة للسخرية أن الرجل الذي على استعداد بأن يحول هدف حياته إلى النظر نحوي يفعل ذلك نصفيًا. كنت قد ذهبت في ذلك اليوم مرتدية قميص جينز جعلني أبدو أكثر شبابًا وكنت قد تزينت أكثر من المعتاد قبل الخروج. كما لو كنت قد شعرت بهاجس داخلي، فمن الهواجس أيضًا ما هو خارجي- داخل وخارج - وبالفعل كانت قسمات بيسنته أولجادو ترسم خطوطًا لهاجس ما.

حسنًا لقد تركته يتكلم ويتكلم بدون أن يظهر عليّ أي تأثير، أو كأنني لم أعبأ كثيراً بوجوده. التفت نحوه عندما لاحظت أنه بدأ ينهار، وأسدلت شعري هكذا، على نصف وجهي. وبابتسامة أخرى واهنة أستخدمها في الإغراء أيضًا قلت: " ولكن ألم تفهم ؟ من المحتمل أنك لم تفهم" سأل بفزع" أفهم ماذا؟" فأجبته بطريقة طبيعية:" أني ميتة والمرات التي رأيتني في المطعم كنت قد توفيت". بدا عليه الارتياح بلا سبب واضح، ربما لأنه كان يخشى ما هو أسوأ، شيئًا يعوقه عن النظر إليّ. بدت عني حركة كما لو كنت أشرح له أن علاقتنا مستحيلة نتيجة لحالتي كجثة، ولكنه لم يكن جاهزًا أن يقبل أن هذا قد يشكل حائلاً بيننا. حينئذ وبعد تردد دام لبضعة ثوان، قرر أن يكذب وقال:" هذا

لا يهم فأنا ميت مثلك". كان يبدو مستعداً لعمل أى شىء حتى يواصل النظر إلىّ. وعندئذ قبضت على شوكة الطعام وغرزتها فى فخذه. أصدر صرخة لفتت إلينا انتباه كل الحاضرين. قلت له:" أنت حى كما ترى، فالأموات لا يتألمون من هذه الأشياء" واضطر بيسنته إلى الاعتراف حتى لا أواصل البرهنة، وظل عاشقًا كما هو ولم يبد أنه ينوى التراجع . قال:" أنا لا يهمنى إذا كنت ميتة". أجبته : "الآن لا يهمك، ولكنك ستسأم بعد حين، رائحتى ملفتة للغاية، كما قد هجرتنى كل العواطف وأتحرك ببطء شديد لأنى لم أعد أذهب لأى مكان. أكد مؤملاً : "مثلى تمامًا، رائحتى غريبة، والشىء الوحيد المفضل لدىّ هو أن أستلقى على الأريكة لأتخيل حكايات أو لمشاهدة أفلام الفيديو، انظرى ها أنا قد استأجرت عدة شرائط لعطلة نهاية الأسبوع. سألته : "ما هى نهاية الأسبوع؟ بدأت أفقد معانى الكلمات هذه الأيام: أعرف ماذا تعنى لفظة نهاية وما هو الأسبوع ولكنى لا أتذكر معنى الكلمتين معًا". أؤكد لكم أنه كان شعوراً رائعًا بأن تكون ميتًا وتستطيع الكلام هكذا، من الجانب الآخر للأشياء. والآن عندما أسترجعه، أعتقد أنى أردت دومًا أن أكون ميتة ولكن ما كان يؤرقنى فى هذا الأمر هو أنهم على الفور سيكفون عن النظر إلىّ . سألنى : "أين تعيشين؟". قلت : "لا يهم ، فما دمت لا أشغل حيزًا فى الفراغ، يمكننى أن أحيا أينما اتفق." كم من الوقت لبثت ميتة؟" أعرف ماذا تعنى كم وماذا يعنى الوقت، ولكنى لم أعد أتذكر معنى كم من الوقت".

(تبدأ فى عمل حركات تفيد بأن ثمة شيء كريه الرائحة، تنهض وتبحث عن مصدر الرائحة بتعبيرات توحى بالقرف). بالنسبة لحضراتكم، لا تصل إليكم الرائحة، لأنكم فى الخارج، ولكن هنا فى الداخل - الداخل والخارج - يبدو أنهم رموا شيئا... ها هو، قط ميت، ياللقرف! يشبه ذلك الذى كان لأمى، والذى بدلاً من أن أدفنه ألقيته فى مستودع للقمامة. ربما كانت مستودعات القمامة متصلة ببعضها والشيء الذى نلقى به إلى أحدها يقع فى آخر. وهذه هى ميزة أخرى للأفكار المهووسة، بالمقارنة مع القطط، فعندما تموت لا تفوح منها هذه الرائحة العفنة، رغم أنهما يتحللان بالطريقة نفسها. اسمحوا لى فسوف أحاول الخروج إلى مكان أنظف، وإذا تأخرت قليلا فذلك لأنى سأبحث عن غرفة الفندق فربما قد عاد بيسنته.**(تختفى وتُظلم خشبة المسرح. ومع رجوع الضوء ثانية، نرى دولابًا، كالذى فى قمرات السفن، طافيًا فى وسط محيط. يُفتح بابه وتظهر مندهشة من رؤية البحر وتقوم بحركات توازن حتى لا تنقلب المركب أو الدولاب. وتلعب رياح البحر بشعرها)**.

اللعنة، من الذى قذف بدولاب إلى البحر؟ ولكن السفر بهذه الطريقة يعرضك لمخاطر جمة مع أن الطقس معتدل والنسيم عليل. لابد أنه البحر المتوسط.. يعكس البحر أمزجتنا باقتدار. تنظر إليه من الخارج فيخبرك بكل ما تحمله بداخلك. الداخل والخارج. ربما كان أبى محقًا ويكون هو الحساء البدائى، والكسرولة التى خرجنا منها جميعًا، ولهذا نحبه لهذه الدرجة، لأن عند النظر إليه نشعر أن شيئا فى أعماقه ينتمى إلينا. أو أنه يحفظ بداخله شيئا يخصنا، ولكنه يوجد خارجنا. ولنفس السبب كان

بيسنته أَولجادو يحبنى، لأن بى شيئًا يخصه. ففى رأيه، يحدث الحب، كالخوف، عندما نرى فى الخارج شيئًا نملكه بداخلنا. الداخل والخارج. ولهذا نحب كل ما هو جميل، ويجذبنا كل ما هو بشع، لأننا نحوى بداخلنا الشيئين، ولكن ليس فى كل الأيام وليس بنفس القدر. حسنًا، كان أولجادو يقول إن الشىء الذى عندى ويخصه هو العين التى تنقصه. لا أعرف إذا كنتم تستطيعون تمييزها من بعيد، ولكن، إذا أمعنتم النظر، فكل عين من عيني لها لون مختلف، شئ غريب يدل على أن واحدة منهما لا تخصنى. حسنًا، اسمعوا ما رواه بيسنته عن كيفية وصول عينه إلىّ: استيقظ يومًا فى فندق مدينة كان قد ذهب إليه لتخيل شئ، وبدلاً من أن ينهض فى الحال، كما هى عادته، بقى فى السرير يتخيل أشياء. يقول إنه كان مضطجعًا هكذا على جنبه، بطريقة تجعل إحدى عينيه مختفية بين ثنيات الوسادة، بينما أخذ يتخيل بعينه الأخرى، والتى كانت بارزة بعض الشىء، أن المرتفعات الناعمة التى يشكلها نسيج مفرش السرير تشكل منظرًا صحراويًا، ويوجد فى نهاية هذه الصحراء كومودينو، تقبع فوقه رواية بجانب علبة السجائر والولاعة. مثّلت هذه الأحجام الصغيرة إلى جانب التليفون، من وجهة نظره، مركزًا مدنيًا وفوضويًا بعض الشىء، تتقاطع شوارعه بعشوائية، مثل المدينة التى ظهر فيها. عكست الولاعة المعدنية شعاعًا من الضوء يستحضر مشهد الإضاءة فى الطرق السريعة. وقد بدت هذه الأغراض الموضوعة على الكومودينو، من زاوية الوسادة ومن خلال عين واحدة فقط تعمل، لا نهائية. فالولاعة يمكن أن تكون ناطحة سحاب وحافة الكتاب، محطة لقطار.

وبينما كان يلعب بعينه وأفكاره، أخذ ضوء النهار يغزو المكان ببطء، ولكن بحزم فكرة متسلطة. كان الضوء يتسلل كالسكين من الفتحة التى سمحت بها الستائر وكان ينتشر، كالدخان، عندما يصل إلى وسط مسيرته. حينئذ حرك بيسنته عينه حركة دائرية داخل مدارها وبدأ فى الحال فى تخيل أن هذه العين تتميز بقدرة غريبة على الخروج من محجرها والطواف فى الهواء. أغلق جفنه ليحصل على درجة الظلام الملائمة، وتخيل أن العين تهرب من مجراها وتتحرك فى بيئة خيالية. فى البداية طارت حتى سقف الحجرة، وبعثت له صورة لنفسه وهو مستلق على جنبه ومتوجه ناحية الكومودينو. وبعد ذلك، وصفت العين الهائمة، زوجًا من الدوائر، وفجأة، عبرت حاجز الشرفة بخفة وتسللت إلى الحجرة المجاورة. كان السرير فى هذه الغرفة غير مرتب وعلى الأرض ملابس داخلية لسيدة. وكانت العين، بطبيعة الحال، لا تستطيع السمع، ولكن بيسنته أولجادو استنتج من المعلومات المرئية التى أرسلتها له أن مالكة هذه الملابس متواجدة فى الحمام لابد. أصدر أمرًا للعين بأن تتوجه إلى هناك ورأى تحت الدش ظل امرأة يغطى الصابون جسمها. كان البخار يغشى المرآة، ولكن بيسنته تأمل من خلال طبقات البخار انعكاس صورة عينه المتكورة المعلقة فى الهواء كجرم سماوى فى الفضاء. أما الإثارة المتولدة عن رؤية جسم السيدة فقد انمحت فى الحال نتيجة منظر العين وهى خارج محجرها.

أمر العين أن ترجع للغرفة، ولكنها لم تطعه. وأخذ أولجادو المحصن أسفل البطانية مثل حيوان رخوى تحت صدفته، فى البحث عن براهين

لتهدئته: فى الحقيقة، كان كل هذا لعبة خيالية، يكفيه أن يفتح جفنه ليعود لحالته الطبيعية. ولكنه لم يجرؤ على رفعه خوفًا من أن يتحقق أن هذه العلبة، التى يغطيها الجفن، خاوية.

فى هذه الأثناء فرغت المرأة من الاستحمام وخرجت من البانيو. يقول بيسنته إن جسمها كان صلبًا وهشًا فى نفس الوقت، مثل جسمى، وهذا يذكره بأجسام التماثيل، بلون أقرب للبرونز منه للمرمر. وحتى تحصل العين على رؤية كاملة فقد تزحزحت حتى الحائط خلف البانيو، وهكذا، فقد رأت بشكل مباشر ظهر ومؤخرة المرأة – بينما كانت تتأمل خلال المرآة صدرها وبطنها. شعر بيسنته بالإثارة من جديد حتى إنه فكر أن هذا المنظر حقيقى وليس مجرد نتاج لخيالاته. كان يرى بالفعل جسم هذه السيدة وهى تجفف شعرها بفوطة تخفى وجهها. الغريب أن وجهها ظل المنطقة الوحيدة التى لم يستطع حتى هذه اللحظة رؤيتها عن قرب.

تركت المرأة الفوطة على غطاء المرحاض وفى حركة سريعة، وقبل أن يتسع الوقت لبيسنته لرؤية عينيها، ارتدت نظارة شمسية كانت ملقاة على الرف فوق الحوض. وحينئذ تذكر بيسنته أنه قد سبق له رؤية هذه المرأة فى ممر الفندق فى اليوم السابق. وكانت ترتدى ذات النظارة الشمسية التى وضعتها الآن وكان يبدو أنها تخفى بها شيئًا عن نفسها وعن الآخرين. فكر بيسنته أنه ربما قد غافله النعاس ومن المحتمل أنه يحلم وخاصة منذ تخيلاته تلك عن اليوم السابق. شعر عقب هذا الاعتقاد بالطمأنينة وانكمش من السرور داخل النفق الذى صنعته الملاءات.

حسنًا، ولكن أخذت العين في الدوران حول المرأة لتراقبها من جميع الزوايا. وفي واحدة من هذه الدورات، عندما اقتربت من صدر المرأة، أحكمت قبضتها حولها هكذا بحركة سريعة كالتي نصطاد بها البعوض وهو طائر. وهنا، خلعت السيدة، التي يعتقد بيسنته أولجادو أنها أنا، نظارتها، ورفعت جفنها الأيمن، وكان خاويا، ووضعت العين التي اقتنصتها منذ قليل. وتيقن بيسنته أنه لم يكن يحلم، وأنه نتيجة لهذا، فقد سطت عوراء لتوها على عينه. أخذ يبكي، ولكن الظاهر أنه بدلاً من الدموع، نزل من خلف الجفن الفارغ سائل أصفر كثيف، كالذي ينساب من شقوق ثمار بعض الفواكه بعد تمام نضجها. يالها من حياة.

أصبح أعور، وبدأ في رؤية أشياء لا تقع في محيط نظره، لأن عينه استمرت، من موقعها بوجهي، في إرسال المعلومات التي تدركها. هذا ما يقوله هو، ويقول أيضًا إنه عندما اعتاد على هذه النادرة: النظر بعين واحدة والرؤية باثنتين، قابلني مرة أخرى، هذه المرة في مقهى المركز التجاري حيث أذهب عادة لتناول ساندوتش. وحين نظر إلي – أو ربما كنت أنا التي نظرت إليه، لا أذكر – رأى نفسه في أعماقي. هذا ما قاله، وبالرغم من أنها حكاية غريبة لمغازلة امرأة، فقد نجحت معي، ربما لأنه قد نجحت معي في الماضي روايات الحساء البدائي والكون الذي على شكل جمجمة. وأعتقد أنها أنجزت مهمتها لأني شعرت أن شيئًا من مكوناته يخصني. لا أعرف، ربما كان هذا الهاجس الذي ترسمه قسماته يخصني أكثر منه. ذكرت من قبل أنه يمتلك وجهًا هاجسيًا، ولكن ربما لتحري الدقة يمكن القول بأن وجهه نفسه كان فكرة مهووسة، وأنا

شرحت لكم مدى الألفة التى أحسها مع الأفكار المهووسة. فكل ما ألمسه، أحوله إلى فكرة شاذة، زوجى، كمثال، لم يكن عندما تعارفنا سوى طبيب أنف وأذن وحنجرة عادى، هو الآن فكرة مهووسة. عادة ما أنطق هذه المهنة كاملة وذلك لأنى كنت الأولى فى جيلى التى تلفظ طبيب أنف وأذن وحنجرة بدون أن تتلعثم. كما أنى حين كنت صغيرة عانيت كثيراً من حلقى وأمضيت بصحبة أبى نصف حياتى فى عيادة طبيب الأنف والأذن والحنجرة كاشفة أمامه عن أعضائى الفمية الحميمة.

(مشيرة إلى الدولاب – المركب). يبدو لى أنه يهتز بشدة. انتظروا حتى أبدّل وقفتى. حسنًا هذا أفضل، كان الطبيب يكشف على هذه الأشياء اللينة التى نمتلكها هنا مستعينًا بعدسة مدورة، مردداً العبارة نفسها" عندما تكبر سيزول عنها المرض". لم أصدقه، لأن أمى كانت امرأة حريصة، أو أكثر من كاملة، وتقاسى أيضًا من جهازها التنفسى. حسنًا، ولما أصبحت امرأة ناضجة ولم تختف الأعراض، قرر انتزاع اللوزتين. فبموت الكلب يتوقف العواء. وما حدث أنه من ساعتها شفيت اللوزتين ولكنى أصبت بالتهاب مزمن فى الحلق. وربما أكون قد تزوجت من طبيب أنف وأذن بسبب شغفى بأن يلمسوا لى هذه الأجزاء اللينة بطرف العدسة المدوّرة. على الرغم من أنه بالطبع، كانت أيام زوجى مختلفة حيث أصبحت تُستخدم، بدلاً من العدسة المدورة، أجهزة لا تروق لى. حتى فقدت بعد أن تزوجت بقليل ولعى للإصابة بالتهاب الحلق، ثم وقعت فريسة لاكتئاب عميق وبدأت فى تخيل أشياء. وتصادف فى نفس الوقت أنهم منحونى النوبل فى الطب لاكتشافى أن بعض حالات

الالتهابات الحلقية يجب أن تعالج على أنها التهابات مهبلية لأنها فى الحقيقة حالات التهاب مهبلى متنكرة وربما كنت قد شفيت لهذا السبب، بفضل بعض الأقراص التى وصفوها لى لعلاج المهبل: عامة فإن كل ما هو مفيد للمهبل، مفيد أيضًا للحلق . كما أثّر فىّ أن أطباء الأنف والأذن والحنجرة يضعون المصباح الصغير على الجبهة مثل عمال المناجم، بدلاً من مسكه بالأيدى، مثل اللصوص. يمضى عمال المناجم نصف حياتهم بالداخل ونصفها فى الخارج. الداخل والخارج. وتعرفت وقتها على بيسنته وأدركت أن الأشياء التى يقولها تنتمى لى أكثر منه، كما أن عينى تخصه أكثر مما تخصنى. لأنه ربما، لا أعرف ، لم أكن أفكر فى الأشياء بطريقته، ولكنى كنت أعيشها، ومعايشة الأشياء طريقة للتفكير فيها.

كنت، مثلا، أعلم جيداً قبل أن أقابله الفرق بين الداخل والخارج، وذلك لأن أمى كانت دومًا تحشو الأسماك بشىء ما، كما لو كانت لا تكتفى بدمية العسكرى المصنوعة من الرصاص، فهى كانت تحشوها أحيانا بالزيتون: نوى الزيتون بالداخل، مثل عظامنا. فهناك أشياء تحمل هيكلها العظمى بداخلها وأشياء هيكلها العظمى فى الخارج. الداخل والخارج. السلاحف، كمثال، تحمل هيكلها فى الخارج، مثل سرطانات البحر أو الخنافس. وبطريقة أخرى، فإن هيكل هذه الحيوانات يحمى لحمها، بينما فى حالتنا فإن اللحم هو الذى يحمى الهيكل. ولا أعرف تفسيراً لذلك، ولا يهمنى أن أعرف. ما يلفت انتباهى أن هناك أشخاصاً آخرين يحملون فى خارجهم ما أحمله بداخلى: كالحياة الداخلية والوعى. وعندما أفكر الآن، أجد أن بيسنته أولجادو يحمل حياته الداخلية فى

الخارج. يكفى أن تنظر إلى وجهه وسرعان ما ترى كل حياتى التى أحملها فى داخلى. وكان الشىء الحاسم عندما حدثنى عن العلب، وهى واحدة من أفكارى المهووسة. وكنت أصدق كل ما يقوله عنها، والتصديق أيضًا أحد أفكارى المجنونة. فقد آمنت بأبى طيلة حياتى. وأعتقد أن من كثرة ما صدقت أبى فقد استنفدت هكذا كل قدرة على التصديق حتى أنه أحيانًا ما يشق علىّ تتبع منطق الأشياء وتوفير الانتباه الكافى للمسائل العملية. **(يُسمع ضجيج حلة إكسبريس، وتقوم بإيماءة ضجرة تدل على قرارها بعدم الاستجابة الآنية لنداء الواقع)**. كنت أقول إنى لم أسمع أحدا يتكلم عن العلب بنفس الدقة التى كان بيسنته أولجادو يتحدث بها. ولكن بدأ عشقى له، طبعًا، عندما أخذ يتحدث عن الدواليب لأول مرة وأخبرنى بأنه اكتشف عبرها إمكانية السفر فى العالم الكونى واسترسل قائلا إنه إذا دخلت فى دولاب وحالفك الحظ فى العثور على السرداب السرى، فيمكنك أن تظهر خلال عدة دقائق فى دولاب فى الصين مثلا. أو فى دولاب ملقى فى وسط البحر.**(تتجه إلى حافة المسرح كما لو أن شيئًا يسترعى انتباهها، وتضع يدها فى المياه وتُخرج سمكة)**.

جميلة فعلا. ولكنها ميتة مثل القط فى مستودع القمامة، ولكن لم تفح منها رائحة كريهة حتى الآن. **(تفحصها بتأنٍ، بإيماءات تجمع بين الاستمتاع والاستغراب)**. لن تصدقوا ولكن لهذه السمكة نفس ملامح أبى. ألا ترون هذا البروفيل بطرفه المدبب، كما لو كان لشخص يريد دائمًا التواجد فى مكان أبعد قليلاً مما يوجد فيه؟ وهذه النظرة الضيقة،

ولكن ذكية، التى تتجه للخارج، رغم أنها نابعة من الداخل - الداخل والخارج - هكذا كان أبى. ربما بعد أن مات وعاد إلى الحساء البدائى أصبح يتنزه بداخل الأسماك بعد أن خرج من نفسه. **(تنحنى لتبحث عن شيء داخل الدولاب ثم تُخرج المطواة السويسرية التى جلبوها لها من بلجيكا)**. على أية حال، هيا ننتهز عثورى على المطواة لنبرهن أن للأسماك داخل وخارج حتى أن داخلها ، أحيانًا، ما يكون أكبر من خارجها. **(تشق بطنها وتجد بداخلها شيئًا يفزعها. تخرجه، وتعرضه باشمئزاز ويتصادف أن يكون دمية العسكرى المصنوع من الرصاص)**.

ها هو أخيراً، إذا كانت هناك كارثة على وشك الوقوع، فلتحدث، قال هذه العبارة شخص لا أعرفه. تجنبت طيلة حياتى تناول الأسماك بسببه، وها أنا أجده فى المرة الوحيدة التى أفتح فيها، لاهية، واحدة من هذه الكائنات. **(تمعن النظر فيه، كما لو كانت تكتشف شيئًا جديدًا)**.

بالإضافة إلى - ستعتقدون أن هذه ترهات - أن هذا العسكرى له وجه بيسنته أولجادو، هذه هى الحقيقة وتنقصه عين مثله، بدلاً من الرجل المبتورة. أى أن أبى يحمل داخله بيسنته. ألم أقل لكم أن عشاقنا وآباءنا يتصلون عبر دهاليز سرية. اللعنة! ستمطر، سوف تهب عاصفة ضعيفة. **(تضع السمكة فى صندوق الأحذية، وهنا يضطرب البحر، ويتمايل الدولاب وتسقط فى قاعه وتختفى. تنطفئ الأنوار ومع عودة النور ثانية، تظهر الشقة البلجيكية، أو بيت طفولتها مرة أخرى. تخرج من الدولاب حاملة صندوق الأحذية)**. اللعنة مرة أخرى هنا... ولكنى أردت الذهاب إلى الفندق فقد يعود بيسنته ولا يجدنى. **(تضع الصندوق فوق المائدة**

وتخرج محتوياته تدريجيًا). شيء طريف، أمضيت حياتي كلها وأنا أحمي نفسي بتأليف قصص خيالية بداخلي كدفاع ضد عدوان الخارج - الداخل والخارج - والآن اتضح لي أن للقصص الخيالية منطقًا يماثل منطق الحياة. وإذا لم تكن كذلك فها أنا هاربة من نفسي من وقت طويل إلى بيسنته أولجادو، وفجأة أنا هنا مرة أخرى، في شقة طفولتي، مع صندوق أحذية يحوي التاريخ العائلي بأكمله، وسمكة هي في الواقع أبي ودمية عسكري أعور صورة طبق الأصل من بيسنته، بالإضافة إلى أنه يعيش داخل أبي وربما أكون أنا راقصة هذه القصة المشهورة، رغم أني لا أعتقد أنني عاهرة مثلها. **(وعند هذا، يُسمع في الخلفية صوت ذكري يسأل بالفرنسية: ماري، أين النافذة؟. تختفي بعض الوقت حتى تظن أن الخطر قد زال وتستمر في الكلام، ولكن بصوت خافت)**. أين النافذة، يسأل أين النافذة. وبالإضافة إلى أنه يتكلم بالفرنسية يسأل سؤالاً لا يخطر إلا لأبي، لأن أبي يجيد تحديد موقع الأشياء التي توجد بالداخل أو التي توجد بالخارج - الداخل والخارج - ولكنه يصاب بالجنون، مثلي، أمام الأشياء التي تقع على الحدود بين المنطقتين، أمام ما هو ليس في الداخل ولا في الخارج : كالنوافذ. الداخل والخارج. عندما كنت صغيرة كنت أقذف الأشياء من النافذة، ليس بدافع الشقاوة، ولكن لكي أتحقق إذا كانت تقع في باطن الشارع أو خارج المنزل - الداخل والخارج ، سقط القط في الخارج ومات . الأفكار المهووسة لا تموت كما أنها تصلح كصحبة أكثر من القطط. أبي المسكين. **(صوت وقع خطوات في اتجاه الصالون، تختفي وتدخل الدولاب ناسية صندوق**

الأحذية ومحتوياته. بعد قليل، تُخرج رأسها بحرص لكى تتبين أن الخطر قد زال، ولكن يتصادف ألاّ تظهر فى الشقة البلجيكية، بل فى غرفة الفندق). مستحيل! الفندق! أخيراً، يا للحظ. استطعت فى النهاية أن أعثر على الفندق. ربى، هل عاد بيسنته؟ أتراه قد وجد النفق الذى يؤدى إلى هذه الغرفة الخيالية؟ **(تنظر إلى حجرة الحمام وتصرخ)** بيسنته! أُخرج! من فضلك... لم يعد، ربما لن يعود أبداً، وإذا لم يعد، ماذا سيحدث لى، أو لنا. **(تقوم بعمل حركة كمن فقدت شيئًا)**.

أعتقد أيضًا أنه مع العجلة نسيت فى بلجيكا صندوق الأحذية والسمكة والعسكرى الدمية وسوتيانى الأول وصور أقاربى الفوتوغرافية أتذكرون؟ الأقارب الذين ضلوا أو ماتوا. فى النهاية فلقد نسيت حياتى فى هذه الشقة ولم أحصل على شىء فى المقابل. من الممكن أن أحاول العودة ولكن ربما أخرج فى مكان آخر وأقضى حياتى كلها هائمة. لا، سأبقى هنا حتى يرجع أو حتى أستطيع أن أعرف من أنا. ربما بدون الحاجة إلى التحرك كثيراً تبدأ الأشياء فى التحسن، تحدث الأشياء بالمصادفة، مثل العملات وهى تخرج من الصناديق الأتوماتيكية، لأنه لا يوجد من يصدق أمر هذه الصناديق الأتوماتيكية. بالإضافة إلى أن هذا الفندق مريح جداً، على الرغم من أنه فى بلد أجنبى. على أية حال، فأنت لا تعرف متى تكون فى مكان أو فى آخر. كانت شقة طفولتى فى بلجيكا ولم أعرف ذلك حتى نضجت. أردت أن أقول إنه على الرغم من أن البلاد الأجنبية توجد عامة فى الخارج، أحيانًا نحملها بداخلنا. الداخل والخارج. بالمناسبة، أتساءل الآن إذا كان هنا فى هذا الفندق

عندما سطوت على عين بيسنته، ربما نعم، لا أعلم. ولكن لا يهم، إذا كان هنا أم لا، إنى تائهة بين العبارات ، كما أضل بين الدواليب ولا أخرج منها، أو أدخل أى شىء منهما سواء. كنت أقول لكم إنه عندما بدأ بيسنته فى الحديث معى عن الصناديق والدواليب فقد تفهمته جيداً، لأنى لم أفعل شيئاً آخر طيلة حياتى سوى السفر بين الثغرات التى تحملنى من داخل الأشياء إلى خارجها؛ بشكل أنى أصبحت فى مرات عدة غطاء ومرات أخرى بطانة، دولاب وملابس، سطح وحشو: داخل وخارج، وفى النهاية الذى لم أستطع تحقيقه أن أكون الشيئين فى آنٍ واحد، كالنوافذ، وأحسب أنى ما كان يعجبنى فى بيسنته أنه ينظر للحياة من خلالى، وهى وظيفة النوافذ، النظر إلى الحياة. كما كان يروق لى لأنه على الرغم من أنه يأتى من الداخل – داخل السمكة، كما رأينا – كان يوجد فى الخارج، مثل الأفكار المهووسة، التى مع أنها تنتمى إلى الصندوق الدماغى يمكن أن تكون أثاثًا لحجرة النوم أو تصلح لتزيين المطبخ، يكتظ مطبخى بالأفكار المهووسة. ولكن هذا ليس الذى أردت أن أقوله، فالحقيقة أنى مشوشة. أعتقد أن المسألة الآن، أنى أملك عينًا تخص بيسنته، وأستطيع فى النهاية رؤية أشياء لم أكن أراها. وهذا هو ما تبقى لى منه، نظرته، والتى كما قلت، هى فى الحقيقة نظرتى أنا. تبقت لى مع حجرة الفندق هذه، والتى كانت قصته الخيالية وأضفت أنا إليها بعض التفاصيل: ساحة المقاعد ورؤوس بأعين مفتوحة ترنو إلىّ ، وكذلك أضفت إليها الصندوق، الهوس المسيطر علىّ ، لأن ساحة المقاعد هذه، هى ما يسميه الممثلون صندوق المسرح. ومن صندوق المسرح هذا أريد

أن أتوسل إليكم أن تنظروا جيداً الليلة، عندما تعودون للمنزل، داخل دواليب حجراتكم، فإذا وجدتكم داخلها رجلاً أعور، نحيفًا، بهواجس مرتسمة على وجهه، لا تتوانوا عن إخبارى، فهذه الهواجس تخصنى .

أعرف أنى إذا أقلعت عن تخيل وسرد الحكايات يمكن أن تحدث كارثة، أعرف ذلك، فلا تذكرونى به، ولكن بما أنى وجدت القط فى مستودع القمامة ودمية العسكرى وأبى فى الحساء البدائى، ربما لا يحدث لى شيئًا بعض الوقت حتى لو تركت التخيل لمدة. يمكن القول إن المصائب تريحنا لأنها عندما تقع نتوقف عن الانشغال بها. وبهذا المعنى، ربما كان الأفضل أنى نسيت كل شىء فى بلجيكا، لأن هذا يمنحنى حرية أكثر لأخرج من نفسى أو لأدخل إليها، من يعرف؟ **(يعلو صوت حلة إكسبريس أو صوت إناء صنع القهوة ويظهر على وجهها الاضطرار للعودة إلى عالم الواقع)**. إذًا وجب على أن أخبركم بالحقيقة فإن الشىء الذى يخيفنى الآن من التوقف عن تخيل الحكايات، هو أن يُسدل الستار، وهو غطاء هذا الصندوق، وتبقون أنتم فى الخارج وأنا فى الداخل. داخل وخارج.

(ستار)

لاورا تقص شعرها

طرأت شخصية أوليجاريو إكونيا لبيسنته أولجادو أثناء عودته من السينما، فى الأتوبيس. كان قابضًا على الحلقة، فى انتظار تأثير قرص المهدئ الذى تناوله منذ قليل، عندما عنَّ له فجأة هذا الاسم، أوليجاريو، ثم ظهر وراءه بعد جهد، كما لو كان يخرج من ثقب ضئيل جدًا بالنسبة لحجمه، لقبه: إكونيا. شغله لبعض الوقت قفا قريب، وحينئذ، لاحظ أنه يتنفس بصورة أفضل، بالرغم من هواء الأتوبيس الفاسد، فالمهدئ بدأ يؤتى أثره. كان القفا لفتاة شابة أقصر منه بقليل وفى داخلها حياة مليئة بالمفاجآت، رغم أنها حليقة الشعر. لم ير البتة قفا عاريا من هذا القرب، أو بكل هذه التفاصيل، وتنبه إلى أنه يشعر بهياج حتى أنه ابتعد قليلا عنها كى لا يثير الشبهات. فى تلك اللحظة خلا مقعد بجانب النافذة ونجح فى شغله بعد منافسة مع سيدة ترتدى "مايوه" تحت فستانها. كانت حركة المرور كثيفة، ولكنها لم تعد خانقة بعد أن تأمل رقبة الفتاة. فقد بدا عالم الواقع يميل نحو هذه الحالة المائعة المميزة للحظات الشعور بالسلام.

قرر التفكير فى أوليجاريو إكونيا لبعض الوقت حتى ينسى أمر القفا، وعرف فى الحال أنه طبيب، على الرغم من أنه لم يستطع رؤية وجهه المستتر وراء كمامة.

كان ذى جسم ضئيل، ولكنه عريض، ويحرك الهواء كثيراً وهو يمشى، كما لو كان يحمل مروحة خفية فى مكان ما. ويشف الروب عن "فانلة بحّمالات". وقد بدت هذه الملاحظة غير مريحة، مثل المايوه فى حالة السيدة، ولكن بما أنه طبيب فربما كانت الفانلة مكملة للزى، مثل الروب والكمامة.

أوليجاريو إكونيا الجرّاح. لا يعرف شخصاً باسم كهذا، بل إنه لا يعرف حتى أى جراًح. بعث قرص المهدئ بموجة من الاسترخاء فى اتجاه معدته، انغمس بيسنته فى المقعد وهو يبحث له عن شكل آخر يكون أقل توتراً. وبالرغم من أنه كان ينظر فى اتجاه الشارع، فقد كان يرى الجراًح يتقدم فى ممر لمستشفى ووجهه مخفى وراء كمامة خضراء. بالتأكيد كان متوجهاً لحجرة العمليات. قدّر عمره غير الواضح بأنه حول الخامسة والأربعين، على الرغم من أنه لم ير سوى عينيه وجبهته. أما شعره، إذا كان له شعر، فهو مغطى بقبعة تشبه قبعات قاتلى السيدات فى هامبورج.

فكر طويلا فى أوليجاريو إكونيا فى هذه الليلة، رغم أنه لم يحرز تقدماً فى معرفته. فمثلاً، لم يتحقق إذا كان متزوجًا أو يعول أولاداً، أو ما المركز الذى يشغله فى المستشفى، بالرغم من أنه كان يتحرك فى أنحائها بحزم جراًح كبير. مع ذلك استطاع أن يحسب دخله السنوى، فقد رأى وهو يتأهب للنوم مائدة مكتبه وفوقها مظروف يحوى نقوداً. كان يكسب أكثر مما يستطيع أولجادو أن يتخيل. فكر فى اليوم التالى، عندما

كان يتناول إفطاره، أن بهذا الراتب يستطيع الاثنان العيش معًا حتى يفرغ من تأليف الرواية على الأقل.

بينما كان يفتت قطع البسكويت ليبللها بالقهوة أخذ يلعب براتب أوليجاريو إكونيا، مقسمًا إياه إلى أجزاء عديدة، تبعًا لتخيله إذا كان يعول أولادًا أو لا، ودائمًا يتبقى لديه شئ للتوفير. فى أية أغراض يمكن لجراح أن ينفق كل هذه النقود؟ ربما يمتلك بيتًا فى الضواحى أو يختًا. ليس يسيرًا معرفة ماذا يفعل الناس بالنقود، غير مجرد امتلاكها. حاول أن يتخيل ماذا سيفعل إذا أصبح ثريًا. أجاب على الفور: سأكتب رواية، ولكنها بدت له إجابة آلية وأخذ يكررها دون أن يهتدى إلى إجابة أخرى. لم يكن هناك موقف متخيل أو حقيقى إلا ويجيب عليه برغبته فى تأليف رواية على الرغم من أنه لم يكمل واحدة قط. وفجأة، بدا له خانقًا عدم تفكيره فى شىء آخر سوى تأليف رواية، وتناول أحد أقراص المهدئ التى يحملها مفروطة فى جيب الروب.

وبعد ذلك تنفس بعمق عدة مرات وجلس على الأريكة ليرخى بعض مناطق جسده. وكان قد وصل إلى الإليتين، وأخذ فى استحضار صورة القفا العارى الذى شاهده فى الأتوبيس، عندما دق جرس الباب. عاد إلى الوعى بغتة ، واضطرب من فكرة أن يكون الطارق أوليجاريو إكونيا. فتح الباب وشفته مغضّنة علامة على الضيق. ولكنها كانت لاورا، الخادمة التى تأتى كل أربعاء، رغم أنها عادة تفتح بمفتاحها. كانت ترتدى بنطلون جينز وقميصًا أبيض محبوكًا بإتقان. وقد قصت شعرها تاركة القفا للهواء الطلق، كفتاة الأتوبيس.

قال بيسنته عندما دخلت لاورا:

– أنت؟. محاولاً إخفاء توتره، بينما أخذ يستوعب أن الحياة تتفكك إلى أيام، وهكذا كان اليوم الأربعاء. كان فى قرارة نفسه يسمى لاورا الأربعاء، وحول هذا الاسم،كعادة خاصة به، كان يسمى أيام الأسبوع.

أجابت: الحمد لله أنك هنا، لقد نسيت المفتاح فى المنزل أو فقدته، لا أعرف.

متقبلاً احتمالية حدوث ما هو أسوأ حتى لا تشعر لاورا بأنها فى حاجة إلى التبرير قال:

– من المحتمل أن يكونوا قد سرقوه منك.

– ولماذا يكونوا قد سرقوه منى؟

– لأنه من الأفضل توقع الأسوأ.

أجابها وهو يحمل فنجان قهوة الإفطار إلى الثقب الذى يوجد فى جانب من حجرة الصالون، المسمى المطبخ.

- وما السوء فى هذا؟

– لا أعرف، أن يكونوا قد اقتفوا أثرك، وإذا خرجت هذه الليلة يدخلون للسرقة.

– أولاً، أنت لا تخرج من هنا إلا للذهاب للسينما، وثانيًا، إنك قد استأجرت الشقة بالأثاث، أليس كذلك؟

– نعم.

– إذن ماذا سيسرقون منك، إذ لا يوجد سوى أثاث وكتب. وجهاز التليفزيون أبيض وأسود وأنا التى أهديته لك.

وافق بيسنته بهذا الخضوع الشرقى الذى يغرق فيه بعد حبات المهدئ، فمحاولته لإيجاد عذر للاورا كادت تأتى بنتيجة عكسية، ولكن تألّم من أنها تعتقد أنه لا يملك شيئًا جديراً بالسرقة.

– الرواية، يمكن أن يسرقوا منى الرواية، والآن أنا فى الصفحة الثالثة والأربعين، وفى يوم ونصف أو يومين من العمل العادى، يمكن أن أكمل حتى الصفحة الخمسين، هذا طبيعى، أتعرفين ماذا يعنى ذلك؟

شعر بأنها بدأت تنزعج بسبب تفاهاته فأخفض نبرة صوته.

– حسنًا، فى الحقيقة إن هذا لا يهمنى، ربما يقدمون لى معروفًا إذا سرقوها. أحيانًا أشعر أننى محبوس داخل مصعد كهربائى بدون أبواب، وكلما أنظر حولى لا أرى سوى أبواب الرواية، ولا أستطيع الهرب لأنه لا يوجد مخرج. يا لها من خنقة!

– سأذهب لأغيرّ ملابسى – قالت وهى تدخل الحجرة الضئيلة التى تتصل بحمام الشقة الصغير.

بقى بيسنته أولجادو بمفرده فى منتصف الحجرة، متحملاً وهو واقف نوبة جزع: فقد أيقظت صورة المصعد الكهربائى خوفه الغريزى من الأماكن المغلقة، وفجأة بدت له الرواية كمكان بلا متنفس، حينئذ فتح

الدولاب المعتم حيث يحتفظ بزجاجة " الأنيس " واحتسى جرعة جيدة حتى يعضد الكحول من تأثير المهدئ .

خرجت لاورا في الحال وهي تلبس روباً أبيض، يشبه رداء الممرضات، وبدأت تغسل الأواني الموضوعة في الحوض. بينما كان " الأنيس " يؤتي ثماره ووجد بيسنته نفسه مفعماً بتفاؤل جسدي غامض. أعد فنجان قهوة وتناوله على رشفات صغيرة، وهو واقف، بينما يتأمل القفا الحليق متخيلاً فوق قطعة اللحم الغامقة هذه مثلثاً ل"كيلوت" شفاف. جعله رداء لاورا، المنتمي لعالم المستشفيات، يتذكر أوليجاريو إكونيا وراتبه .

سأل :

– ماذا ستفعلين لو معك نقود ؟

لاورا لم تتردد لحظة واحدة .

– أشترى آلة اختزال .

– آلة اختزال ؟

– نعم، أستطيع أن أعمل في أي مكان أريده إذا اقتنيت آلة اختزال، بدون التقيد بالمواعيد، وهو ما لا أطيقه، بالإضافة إلى أنى سأسافر كثيراً لأنهم سوف يستدعونني لحضور مؤتمرات، وعلى هذا فإن آلة الاختزال... وأنت؟ ماذا ستفعل إذا كان معك نقود ؟

– سأكتب رواية .

– هذا ما تفعله الآن وأنت لا تملك خمس بيزتات.

– ولكن سأكتبها دون معاناة أزمات اقتصادية، كما أنى لن أنتهى منها أبداً.

– كذلك أنت لا تفرغ منها أبداً، وهذا لا يدهشنى فأنت تفضل العيش حبيساً.

لم يعجب بيسنته اتجاه الحوار، حتى تخيل أن فى هذه اللحظة سينتهى فصل ويبدأ آخر.

قال :

– سأذهب لأستعد.

– أين ستذهب فى هذا الحر؟

كان على وشك أن يجيب أنه ذاهب إلى دار النشر ليسلم قطعة ترجمة، ولكن دون أن ينوى طرأ له شىء آخر:

– عندى ميعاد مع الجرّاح أوليجاريو إكونيا.

– هل ستقوم أخيراً بانتزاع هذا الورم القبيح فى ظهرك؟

ظل بيسنته هادئًا بجوار المكتبة، كما لو كان يبحث عن عنوان لرواية، بينما أخذ يستوعب المعلومات التى يحتويها السؤال. وبعد ذلك، أدخل يده فى جيب سترته الأيمن، وأخرج قرصًا وبلعه بواسطة اللعاب، فقد نفدت القهوة.

سألها أخيراً:

– كيف عرفت بالورم فى ظهرى؟

– من الرواية. فبطل الرواية يعانى من ورم فى الظهر، وأعتقد أنه أنت، أليس كذلك؟

كان قد حلم كثيراً أن تقرأ لاورا أثناء غيابه فى أيام الأربعاء مخطوط الرواية الذى يتركه دائماً فى مكان ظاهر، ولكنه لم يجهز نفسه لاعتراف صريح كهذا. جلس على الأريكة، وقدّر عرض ظهرها، وهى محنية على الحوض، بدقة كاتب روايات.

سألها أخيراً: وما رأيك؟

– أعجبنى جداً فصل الورم .

استدارت لاورا وهى تمسك بطبق فى يد وليفة فى الأخرى.

– خاصة عندما تقول إنك لا ترتاد الحفلات لأن الورم فى نفس المكان الذى تضع الفتيات أيديهن عليه وهن يراقصنك.

– حسنًا، لا أقول أنا ذلك، ولكنه البطل.

– ولكننا اتفقنا على أن البطل هو أنت. وقد شرحت جيداً الخوف الذى يسببه اكتشاف ورم غير متوقع فى ظهر أى شخص، على الأخص فى ذلك المكان. لو كنت مكانك سأبدأ الرواية بهذا الفصل لأنه بدءاً من هنا نفهم جيداً سر حزن البطل. ففى البداية تظل تسأل نفسك ماذا يحدث له، ويضىء النور فجأة عندما تصل إلى سن مراهقته وتحكى أمره مع الفتيات والورم.

- طبعاً. قالها بيسنته وهو ممتلئ بشعور بالعرفان.

- ورم الظهر هذا كناية عن انحراف أخلاقى.

- تذكرنى الكناية بكلمة زوج أختى التى تعنى ظهور المرض فى أنحاء أخرى من الجسم (*) .

- عندما تكون الكناية متقنة لا يمكن تفريقها عن هذا.

التفتت لاورا منزعجة :

- ولكن الورم ليس خبيثاً. أليس كذلك؟

قدّر بيسنته كمية الشفقة التى يمكن أن تسببها إجابة مثبتة، ولكن الأقراص المزوجة بالكحول، أيقظت غريزة الصدق بداخله.

قال :

- لا. أعتقد أنه مجرد كيس دهنى.

- إذن فإنه من الأفضل أن تتخلص منه.

قالت لاورا وهى تبدأ فى وضع الأطباق على المصفاة.

فكر بصوت عال:

(*) وردت فى النص كلمة Metastasis وهى مصطلح طبى يعنى ظهور المرض فى بؤر جديدة من الجسم وهى تشبه كلمة Metafora الواردة هنا بمعنى كناية (.م.).

– نعم ولكن لا أعرف إذا كان من الأفضل أن أنزعه قبل أو بعد الانتهاء من الرواية. الورم هو مصدر الإلهام.

– أفضل، فهكذا تستريح من الاثنين معًا.

نظر بيسنته ناحية النافذة ورأى عصفورين يمران أحدهما خلف الآخر، مثل اللقب خلف الاسم. أوليجاريو إكونيا. كانت لاورا قد بارحت الثقب الذى يسمونه مطبخًا والآن تقوم بتنفيض التراب من فوق قطعة الأثاث حيث توجد الكتب وجهاز التليفزيون الأبيض والأسود. تظهر أحيانًا على روب المرضة الأبيض آثار ثيابها الداخلية.

سأل :

– من أين حصلت على هذا الرداء؟

– أمتلكه من وقت كنت أريد أن أدرس لأصبح ممرضة فى عيادة، ولكنى لم أستطع لأنه كانت تنقصنى الشهادة الثانوية – قالت هذا وهى ترفع منافض السجائر الممتلئة من فوق المائدة الصغيرة التى توجد أمام الأريكة

– هيا، ابتعد من هنا، فأنت لا تدعنى أعمل شيئًا، أريد الانتهاء سريعًا لأذهب إلى حمام السباحة.

– رأيت بالأمس، فى الأتوبيس، سيدة ذاهبة أيضًا إلى حمام السباحة. كانت تلبس "المايوه" تحت بدلتها.

– أنا أيضًا ألبس مايوه بكينى. فهو مريح أكثر.

كان بيسنته يفضل ألا يعرف عادة لاورا هذه على أية حال، فإن المايوه ذو القطعة الواحدة ليس بالتأكيد مثل البكيني: المايوة البكيني الجيد من الممكن عدم تمييزه عن الملابس الداخلية، بنفس الطريقة فإن كناية جيدة لا يمكن تفريقها عن ظهور المرض فى مناطق أخرى من الجسم.

قال :

– الطبيب أوليجاريو إكونيا يرتدى دومًا " فانلة " بحمّالات تحت الروب الأبيض.

– لا أطيق هذه الفانلات. بالمناسبة، ألست على موعد مع هذا الطبيب؟

– نعم، سأذهب لأحضّر نفسى، فإذا تخلصت من هذا الورم، ربما تشجعت يومًا للذهاب إلى حمام السباحة، لأرى كيف يكون.

انتظر حتى تستوعب لاورا التلميح، ولكنها اقتصرت على توجيه سؤال تعجبى:

– ألم تذهب البتة إلى حمام السباحة؟

– لا، بسبب الورم، وأيضًا بسبب الرواية، يجب أن أنهيها.

لم تضف هى شيئًا وبدأ هو فى النهوض بمشقة: فالأريكة منخفضة للغاية وكانت المهدئات قد أنهكت قدرته الحركية، وقبل أن يدخل الحمام، ألقى نظرة على المناطق الاستراتيجية فى روب لاورا، ليتحقق أنه لا يمكن

مـلاحظة أنهـا ترتدى "بكينى". فكر أن الناس ترتدى أسـفل مـلابسـهـا أشياء غير ضرورية.

بدلاً من نافذة الحمام، كانت هناك فتحة تهوية ذات قضبان حديدية والتى فيمـا يبدو كـان يصدر عنهـا الهـواء الرطب والكثيف المتركز فوق الحوائط المغطاة بالقيشانى حتى السقف. استنشق بصعوبة هـذا الهـواء الميت، وبعـد أن خلع الروب، وأصبح عـاريًا، ذهب ليـجلس على حـافـة البانيو، الذى كان دافئًا أيضًا. كانت المهدئات قد خلصته من حالة الفزع ولكنها أوقـعتـه فى حـالة من الخِـدر الحزين. بدأ يعـرق ويتلهى لفـتـرة وهو يتـأمل قطرات الماء وهى تنزلق على مـعدته فـى اتجاه الفـخذين كالدموع. وصلت الأخبـار المحلية المنبعثة من مذيا ع الشقة السفلية من بين قضبان فـتحة التـهوية الحـديدية: سـترتفع درجـات الحـرارة. وحينئذ رأى بيسنته أولجـادو البنطلون الجينز وقميص لاورا معلقين فى مسمـار البـاب والذى يسمونه مشـجبًا، وأخذ يبكى. ولكنه بكاء دون أية مظاهر أخـرى بخلاف الدموع. كان يبكى مثلما يعرق: بطريقة سلبية ومدهشة.

عندمـا يكون وحـيداً ، ومن الطبـيـعى أن يكون وحيداً، لا يـغلق باب الحمام لأن الأماكن المحكمة الغلق، كالرواية، تصيبه بالاختناق. كـان قد وصل إلى الصـفـحـة الثالثة والأربعين بفضل الأقراص المهدئة واسـتطا ع الآن، أيضًا، بفضل الأقراص أن يقمع بدون جهد كبير رغبتـه فى فتح الباب والخروج جريًا. فى هذه اللحظة رن جرس التليفون فهب واقفًا وقد تملكته نوبة تفاؤل، منتظراً أن تستدعيه لاورا، ولكنها لم تفعل لأنه لم يكن له. ألصق أذنـه بالبـاب وسـمـعـهـا تتواعـد مـع شـخص للذهاب إلى حـمـام

السباحة. بينما رأى قطرة بخار تنزلق على القيشانى، كما لو أن الحوائط بدأت تعرق أيضاً، وشعر بالتوتر لأنه يعرف هذه العلامة: ففى الحال، سيبدأ الحوض يتنفس خفية، وكذلك المرحاض وصنابير المياه سوف تتنفس بحذر بدرجة لا يتبينها سوى شخص شديد الملاحظة. ولكنه كان على دراية جيدة بالأماكن المغلقة - ولهذا يخشاها - ويعلم أن بداخلها، ربما نتيجة امتزاج الحر والرطوبة، تنمو الحياة باطراد، كما فى المناطق الاستوائية.

ويحدث نفس الشىء داخل الرواية، فعندما يدخل فيها، يبقى ساكناً لفترة، وسرعان ما يلاحظ التنفس المتوتر للأشياء التى انتهى من وصفها، وزفير الشخصيات التى ظلت فترة طويلة بدون حركة. ولكن الصوت الذى يُسمع بوضوح هو صوت تنفس الورم فى ظهر البطل، لأنه يستنشق ويطرد الهواء من خلال المسام، مسبباً عدداً لا نهائياً من الصفارات الخافتة التى تشبه خشخشة الالتهاب الشعبى. كما أن الدكتور أوليجاريو إكونيا يعانى من اضطرابات تنفسية بسبب كمامة العمليات.

أغلق عينيه ليرى إذا كان سيظهر إكونيا له أم لا، ورآه واقفاً تحت مصباح غرفة العمليات، عرقاناً مثله، بينما يشغل يديه فى جسم مريض. كان قد بدأ عمليته مبكراً جداً، وقبل أن يبدأ بيسنته فى الكتابة. فى الواقع لا يبدأ بيسنته الكتابة أبداً قبل حلول المساء وفى الغالب يؤجلها لليوم التالى.

دقق أكثر فى وجه إكونيا وتأكد أن بعض قطرات العرق التى تنزلق على وجهه حتى حافة الكمامة كانت دموعًا . يبكى عند إجراء العمليات، مثله عندما يكتب، ولكن بدموع لها خواص العرق، مثل دموعه. رأى بيسنته خلف النسيج الأخضر الذى يغطى فم وأنف الطبيب أثرًا للتغضن من الرطوبة على شكل الشفتين. قالوا فى مذياع الشقة بالدور السفلى إن رجال المطافئ أنقذوا سيدة عجوز حشرت فى مصعد كهربائى وإن العمدة سيفتتح حمام سباحة فى الغد، ثم بعد ذلك بثوا موسيقى. فتح بيسنته أولجادو عينيه وفى هذه اللحظة فهم أن الدكتور أوليجاريو إكونيا قد سقط فى الرواية بقميصه، وبكل شىء. وقد بدت له هذه الفكرة خانقة، حتى أنه رفع الروب، الملقى على الأرض، وبحث بداخل جيبه عن قرص ابتلعه بواسطة اللعاب حتى لا يقاطع تنفس الصنبور.

وبينما كان تأثير هذا القرص الأخير يلحق بإخوته، فكر فى لعنة أن كل ما يشكل جزءًا من حياته ينتهى بالسقوط داخل الرواية، فى هذا البئر، حيث يحاول الهروب منذ سنوات. وبدلاً من أن يخرج، فإن بقية حياته تسقط بداخله: لا يستطيع أن يرى أو يتخيل شيئًا إلا وسرعان ما يتسلل إلى هذا المكان الحكائى الضيق. كان يأمل منذ اليوم السابق أن ينقذه الدكتور إكونيا، كما لو كان ظهوره بشارة بحدوث شىء جديد، ولكنه الآن ليس سوى شخصية جديدة ستسارع فى الحال بالمطالبة بحصتها من الأكسجين، حصة مضاعفة، بالتأكيد، لتعويض حاجز الكمامة. عاد التليفون للرنين، لم يعتريه هذه المرة أى أمل فى أن يكون له

حتى أنه لم يتحرك وبينما كان يسمع صوت لاورا، والتى كانت تتحدث مع شخص عن كلمة زوج أختها التى تعنى ظهور المرض فى أماكن جديدة من الجسم، ارتعش من احتمال أن تنتهى هى الأخرى إلى السقوط فى الرواية فى مكان غير متوقع. فالروب الأبيض ورغبتها فى أن تدرس لتصبح ممرضة، يمكن أن تحولها من لحظة لأخرى إلى مساعدة للجراح أوليجاريو إكونيا. وصل الفزع إلى أقصى حد سمحت به الأقراص المهدئة ثم فتح صنبور الدُش، حتى يعلو الضجيج، رغم أنه لم ينزل تحته، وبدلاً من ذلك، تناول قميص لاورا المعلق على مسمار الباب، وهو حريص على عدم تجعيده، وقبَّله وهو يقسم أن يمنع سقوطها فى الرواية. تمثل لاورا الأماكن المفتوحة، حمامات السباحة، أيام الأربعاء، الأماكن التى ليست فى حاجة إلى الشُح بالهواء، ولم يكن مستعداً ليتخلى عن النافذة التى فتحت فى حياته. قبل أن يغلق الدُش، غطى فمه بأسورة القميص، ليجرب الصعوبات التنفسية المترتبة على ذلك، مما سيفيده عندما يضطر إلى وصف أوليجاريو إكونيا فى الرواية. قرر أن يصفه دومًا واضعًا الكمامة حتى تصبح سمة مزعجة. ثم بلل شعره بالماء، ليعطى انطباعًا بأنه استحم، وخرج عارياً إلى حجرة النوم الصغيرة. أغلق الباب، الذى كان مواربًا، وارتدى بنطلونًا وقميصًا وفضَّل عدم ارتداء سروال داخلى ليعوض الزيادة المبالغة الممثلة فى " فانلة " الجراح و"بكينى" لاورا. وعندما جلس على حافة السرير ليرتدى الحذاء، كانت أعضاؤه متعبة لدرجة أنه شعر بأنه غير قادر على الوصول إلى باب البناية. وعندئذ، اقترب من الدولاب، وأخرج من سترة شتوية

قرصًا منشطًا بلعه بواسطة اللعاب حتى لا يعود إلى الحمام. بعد ذلك، أخذ ملفًا من الصالون وودع لاورا بشىء من الألم :

قال :

– إلى اللقاء الأربعاء القادم.

عرضت عليه :

– إذا كانوا سينتزعون الورم اليوم واحتجت شيئًا، فاتصل بى.

سأل بدهشة :

– وستحضرين؟

أجابت :

– بالطبع. وإذا كنت تخشى الذهاب بمفردك، يمكن أن أدع الذهاب إلى حمام السباحة وأرافقك.

وصل بيسنته إلى محطة الأتوبيس منهكًا، ولكنه شاعر بالعرفان، أو ربما بالحب، حب لاورا. لن يسمح بأن تسقط فى الرواية، وفى هذه الحالة سيضطر إلى نسفها أو تحطيم نفسه. تأخرت آثار القرص المنشط فى الظهور، ولكنه زوّد نظرته بكثافة جعلت الشارع ينفتح أمامه ككتاب أسحار. كان هناك مستويان : تتحرك السيارات فى أحدهما؛ والآخر مخصص لسير المشاة. شكلت المبانى ديكورًا ملائمًا لحركة الأشخاص والأشياء، وصبغ شعاع نور مائع يأتى من أعلى جزء فى عالم الواقع

إشارات المرور والأشجار. ومن الأتوبيس، رأى سيدة تنفّض بساطًا فى نافذة مبنى عال، كانت تتحرك بقدرة وكأنها تشكل بمفردها مشهداً عظيمًا، مشهداً كاملاً وليست مجرد علامة. فقد العالم هذا الصباح كل معانيه، وربما كان هذا ما يضفى عليه مذاقًا شهيًا إلى جانب جعله مسوغًا.

دخل دار النشر بإصرار فاجأ الفرّاش الغاضب، فقد كان يعرف أن وجوده هناك لا يعنى شيئًا. كانت الحركة، فى الممرات، قليلة لأن غالبية العاملين فى إجازات. دخل مكتبين خاليين وفى النهاية توجه إلى مكتب الناشر، وكان يبدو أنه نهض فى هذا اليوم وهو فى حاجة إلى احتقار شخص ما.

– بيسنته، نحن فى انتظار هذه الترجمة منذ أسبوعين، ولا أعلم إذا كانت ذات فائدة الآن.

بدا لأولجادو سوء مزاج الناشر، كوقفة المرأة التى تنفض السجادة، مشهداً غريبًا. كان قد شاهده عدة مرات، ولكنه لم يكن يلتفت إلى افتقاره لمعنى، وهذا هو ما يعطيه الآن بُعداً فكاهياً.

قال :

– سأحضرها لك مرة أخرى بعد خمسة عشر يومًا أخرى. ربما تعود الأشياء إلى الوراء وتصبح ذات فائدة لكم.

نظر الناشر إلى أولجادو بحيرة وغيّر من أسلوبه. اتكأ على الجرح وقال :

– اتركها هنا . سألقى عليها نظرة. كيف حال روايتك؟

لم يؤلم بيسنته هذا السؤال لأنه يفتقد أيضًا لمعنى. على أية حال، فقد بدا له مسلياً أن يجيب.

قال :

– بخير، ظهرت شخصية جديدة، جرَّاح، وسيحل كل شىء فى الحال. ولكنى لن أستطيع الكتابة هذه الأيام لأنهم سيجرون لى عملية لانتزاع ورم فى ظهرى.

بدا على وجه الناشر الشعور بالذنب.

– لم أكن أعلم. هل هو خطير؟

– خطير، ولكنى أثق كثيراً فى الطبيب الجراح، يُسمى إكونيا، أوليجاريو إكونيا . أتعرفه؟

– أعرف من يسمى إكونيا من سانتندير(*). والده طبيب أمراض قلب.

– ربما كان هذا هو الابن.

كان الناشر قد غرق بالكامل فى الخبر السئ.

(*) ميناء فى شمال أسبانيا .

سأل :

– بالمناسبة، هل دفعوا لك حق الترجمة التى سلمتها الأسبوع السابق؟

– لا ، انتظرت الشيك سبعة أيام ، والآن لا أعلم إذا كان ذى فائدة الآن.

– انتظر لحظة.

خرج الناشر من المكتب وعاد بعد قليل ومعه ظرف وإيصال قدمهما لبيسنته.

فقال: حسنًا، هاته، وسألقى نظرة فيما بعد على النقود.

كان الناشر قد تحول من توقع السئ إلى القلق. استيقظ الرب بداخله!

– ومتى سيجرون العملية؟

– اليوم، غالبًا، تبعًا للفحص المجهرى.

ودعه فى الممر ودخل بيسنته فى إحدى حجرات المكاتب ليرى شيئًا لفت انتباهه. كانت على ما يبدو آلة اختزال. لف السلك ووضعه فى جيبه ثم أخفى الجهاز بقدر ما استطاع فى ملف الترجمة. خرج إلى الشارع شاعرًا بأنه ترك مشهدًا ديكوريًا ليدخل فى آخر. كان الوقت ظهرًا وخرج بعض الأشخاص من المكاتب القريبة ليتناولوا الغداء فى المقاهى المحيطة. لم يشعر بالجوع، حتى أنه هام على وجهه باحثًا عن حمام

سباحة. وفى النهاية هداه سائق التاكسى أين يجده واتجه إليه بعزم وتصميم.

لم يسمحوا له بالدخول لأنه لم يكن يلبس مايوه، ولكنه استطاع التطفل من الخارج وبدا له المشهد قمة السفسطة. كانت المياه زرقاء أو ربما خضراء، وأصوات الموجودين على الرغم من أنها كانت مسموعة جيداً، بدت كما لو كانت مدبلجة: كانت أصوات الشباب تُسمع بعد أن يغلقوا أفواههم. فكر أن الموسيقى التصويرية ليست منسجمة زمنياً مع المشهد.

بعد ذلك، استقل سيارة أجرة إلى المنزل، وكان نتوء آلة الاختزال بارزاً تحت إبطه. كانت لاورا قد رحلت تاركة الشقة مظلمة، وأغلقت الشيش حتى لا يدخل الحر. اتجه بيسنته إلى الدولاب، ووضع آلة الاختزال وأخذ قرصاً منشطاً آخر من جيب سترته الشتوية. هذه المرة سيتناوله مع فنجان قهوة ليشعر بحركة أصابعه وهو يستخدم المصفاة ويشعل الغاز. ببساطة، فإن دقة حركة العضلات عجيبة، لأنها لا تعتمد على شحنتها من المعنى. فى الأماكن المقفولة مثل الرواية، تنسجم جيداً الأشياء غير ذات المعنى: ولهذا لا يشعر بالراحة هناك بالداخل، لأن الأشياء لا تصبح بمثل هذه الإرادة التى تميز الشوارع والمبانى.

ملأ كوباً من الماء، وحمله إلى المائدة وبدأ يكتب فصلاً جديداً: وصل البطل إلى مستشفى يجرى فيها أوليجاريو إكونيا، أكبر جراح فى المستشفى، العمليات. كان الورم ذى أبعاد جسيمة، فلابد أن جذوره قد

تعمقت، ولهذا تردد الطبيب فى أن يجرى تخديراً كلّياً أو جزئياً. وفى النهاية، قرر أن ينوّمه لمدة قصيرة. بكى إكونيا طويلا أثناء العملية، ولكن لم يلاحظ مساعدوه شيئًا ، لأنه كان يعرق كثيرًا واختلطت الدموع بقطرات العرق. ومن بين الممرضات اللاتى يتحركن حول المريض، لم تكن هناك واحدة حليقة القفا أو تشبه لاورا.

استيقظ المريض بعد ساعتين ولم يصدق أنهم قد انتزعوا الورم لأنه كان ما يزال يشعر به، مثل تلك الأعضاء، التى بعد بترها، تستمر فى العمل كالأشباح. اضطروا أن يرينه إياه وقد اندهش من حجمه. تحدث أوليجاريو إكونيا مع المريض من وراء الكمامة وكتب له بعض المضادات الحيوية لمنع الإصابة بالعدوى، كما شرح له كيفية تنظيف الجرح.

سأل :

– وماذا سنفعل بالورم ؟

– سنحلله.

– ولكنه لم يكن سوى كيس دهنى.

– هذا هو الروتين. نحلل كل ما يخرج من الجسم من باب الاحتياط.

كان هذا الفصل طويلاً بالمقارنة بالفصول الأخرى، لأن بيسنته تلهّى كثيراً بتفاصيل العملية ووصف بكاء الجراح المقنّع. ولكن مع نهايته انتابه شعور بأنه أكمل الرواية لأنه أحس أنه خارجها، كما لو كان هناك

شخص قد سمع صرخاته وأنقذه من المصعد الكهربائى. من المؤكد أن ماهية الورم من الناحية الطبية ستظل غير محسومة لفترة، ولكن الورم كناية، وليس هناك تحليل قادر على تحديد خطورة أو سلامة كناية. وفيما يتعلق بالطبيب، كان من الأفضل تركه كما هو، مقتنعًا بالكمامة، لأنها كناية أخرى والكِنايات بغير وجوه تأثيرها أقوى.

عند قيامه، كان مجهداً وسعيداً. وعلى الرغم من أن اليوم كان أطول أيام الصيف، كان الظلام قد حلّ. أضاء الأنوار واتجه إلى الحمام، أخذ دشًا ووضع أمام المرآة مشمعًا للجروح على ظهره. ثم اتصل بلاورا، وهو عارٍ، وقال إنهم أجروا له العملية وإنه يعانى آلامًا شديدة.

سأل :

– أيمكن أن تحضرى؟

– سأكون عندك بعد نصف ساعة.

دخل السرير وبعد قليل سمع صوت مفتاح يدور فى القفل. كانت لاورا تفتح بمفتاحها الخاص. دخلت الغرفة وأظهرته لبيسنته:

– لم يسرقوه منى.

– أحسن. ها أنا قد قلت أن الأفضل ليس هو الأسوأ.

– كيف حالك؟

اقتربت لاورا من السرير وانحنت فوقه برصانة. كانت رائحة حمام السباحة تفوح من جسدها . وكانت ترتدى قميصاً بديكولتيه. رأى بيسنته من خلاله أنها لا تلبس البكينى وإنما ملابس داخلية وتبرز الدانتيلا من بين نهديها، والتى أصبحت كغشاء جلدى تنبض بداخله فراشة يوشك نموها على الاكتمال.

عرف بيسنته أنه يمكن أن يطلب أى شىء فى هذه اللحظة. قال:

– هيا، ارقدى بجوارى.

ابتسمت لاورا .

– هكذا؟ بملابسى؟

– نعم.

– أخلع حذائى على الأقل.

دخلت السرير وبدأ بيسنته، بعد أن نهض قليلا، فى خلع ملابسها برقة، ولكن بالدقة واليقين اللذين استأصل بهما أوليجاريو إكونيا ورم بطل الرواية. كان "السوتيان" و " الكيلوت" من نسيج ليفى، يشبه الغشاء الجلدى، وعند نزعهما، يكشفان عن تكوينين رائعين ولكنهما هشينً مثل القفا العارى ذلك.

أخذ بيسنته فى البكاء.

– لماذا تبكى؟.

- لا شيء. تذكرت أنى أحضرت لك هدية. توجد فى الدولاب.

خرجت لاورا عارية من بين الملاءات وعندما فتحت الدولاب وجدت آلة الاختزال فى الحال. التقطتها كما لو أنها حيوان صغير وعادت بها إلى السرير.

- آلة اختزال.

قالت هذا وهى شاعرة بالامتنان. كان على وشك البكاء وهو يداعب نهديها بالرقة التى كان أوليجاريو إكونيا يداعب بها مشرطه قبل العملية.

- وأنت قد أهديتنى التليفزيون.

- ولكنه أبيض وأسود. ولا يعمل.

- آلة الاختزال أيضاً مستعملة.

تركت لاورا الآلة فوق " الكومودينو " وبدأت تمسح جسم أولجادو بقبلاتها. وعندما وصلت إلى منطقة الظهر المغطاة بشمع الجروح، انتزعتهما برعشة مثل رعشته وهو يخلع ملابسها. فوجئت بعدم وجود أثر للجرح أو ورم. ابتسمت بمكر.

- كذبت، لم يكن هناك أى ورم.

- قلت لك إن الورم عبارة عن كناية. إن الشيء الذى انتزعوه منى هو الرواية.

- أنت أفضل هكذا. تبدو شاباً أكثر .

- وأنت، بشعرك القصير هكذا، تبدين طفلة.

أعطته ظهرها وتأمل قفاها بتشبث شخص ينتظر إجابة ملحة عن المستقبل. وقبل أن يناما، اتفقا على أن يذهبا معًا فى اليوم التالى، بعد أن تنتهى لاورا من موعدين، إلى حمام السباحة.

لا يعرف من هو

عندما وصل بيسنته أولجادو إلى مدريد، استأجر شقة فى وسط المدينة وأنفق أيامًا عدة فى مشاهدة التليفزيون وتناول زبادى الفراولة الذى يبتاعه من متجر الناصية. كانت تغريه فكرة الطواف فى الشوارع بلا هدف، ولكن خشي ألاَّ يعرف طريق الرجوع، أو أن يخطئ فى المبنى أو فى الشقة فيقبضوا عليه وهو يضع المفتاح فى مسكن آخر. كان قد سمع أنه فى مدريد، مثل غيرها من المدن الكبيرة، كثيراً ما يعتدون على المترجلين لسرقتهم، ولكن هذا لم يقلقه، لأنه كان يثق جيداً فى قدرته على الإقناع. كان يملك، بالفعل، العديد من الخطب المجهزة لمواجهة محنة من هذا النوع، وكان متأكداً أن واحدة منها كفيلة بإقناع اللص بالبحث عن ضحية أخرى.

بعد أن تحمَّل بيسنته خمسة عشر يومًا من الحبس حفظ أثناءها أسماء جميع الشوارع التى تتقاطع مع شارعه، قرر المغامرة أبعد من المتجر الذى يشترى منه الزبادى. انتابه فى البداية شعور بأن الناس ينظرون إليه، ولكن بعد أن سار لنصف ساعة نسى الأشخاص وتمكن من الاستمتاع بمشاهدة المبانى . دخل بنكين واستعلم عن فتح حساب جار مقلداً عبارات وإيماءات شاهدها فى الأفلام. مر كل شىء بسلام:

تفهموه وأعطوه كتيبات تشرح مزايا الأنواع العديدة المتاحة. كما دخل مطعمًا، وطلب طبقًا مخلوطًا، كما فعلت إحدى الشخصيات فى فيلم تسجيلى فى التليفزيون. كانت مكونات الطبق محبطة، ولكن بيسنته أولجانو شعر بالرضا لدرجة التواصل التى حققها مع النادل، والذى عامله بنفس الطريقة التى يتبعها، بلا شك، مع زبائنه الدائمين.

نضج بيسنته أولجانو بفضل هذه التجارب واستمر فى التجول بلا هدف منتبهًا خاصة لبالوعات المجارى وإشارات المرور. طرأ له أنه إذا كانت الشوارع ذات أسقف تصير حميمة ومألوفة أكثر، ولن يكون ضروريًا استخدام المظلات كلما تمطر. عندما يعرف اسم العمدة سيكتب له ليضع تحت تصرفه هذا الاقتراح والذى من شأنه أن يجعل المدينة بيتًا كبيرًا، وتصبح الشوارع، بدلاً من كونها شوارع، ممرات، والمنازل، بدلاً من ذلك، تتحول إلى حجرات لدار كبيرة تسمى مدريد.

توقف ليقرأ لافتة تعلن عن ندوة مجانية الدخول. نظر بيسنته فى خريطته وتحقق من أن المكان الذى يتردد فى الذهاب إليه يقع بالقرب منه. حتى أنه قرر الذهاب بنية تكوين بعض الصداقات. كانت المحاضرة الرئيسية قد انتهت عندما وصل، وصعد الآن إلى المنصة بعض الحضور يحكون ما يبدو تجارب شخصية ذات طابع متنوع. روى رجل أن إدمانه للكحول حطم كل ما هو جميل فى حياته: عائلته، عمله، علاقاته الشخصية، كبده، وعددا لم يحدده من خلاياه العصبية التى يفتقدها الآن بحكم عمله السابق كمحاسب، المهنة التى تعتبر الأعصاب مجتمعة قليلة العدد. ولحسن الحظ، كما أكد، أنه عندما وصل إلى حافة الهاوية تعرف

على " الجماعة " ومن يومها تحسنت حياته – وليس كبده وأعصابه – تدريجيًا . ثم صعدت امرأة نحيفة للغاية وشقراء حكت تجربتها الشيقة. قالت إنها كانت تشاهد يومًا فيلمًا عن السجون فى التليفزيون، وفى لحظة معينة احتلت قضبان زنزانة كل الشاشة. وعندها شعرت أنها سجنت. وهذا سبب لها نوبة ضيق هائلة. فيما يبدو، تبعًا لروايتها، أخذت تطمئن نفسها بأنها تستطيع التحرك فى كل الشقة، كما أنها يمكن أن تخرج للشارع، مما يبرهن أنها ليست حبيسة فى الحقيقة. ورغم ذلك، لم تنسجم مشاعرها مع أفكارها، كما لو كانت بينهما ثغرة، حتى أنها لم تستطع التوقف عن الشعور بأن الحرية توجد فى الجانب الآخر من الشاشة. شربت كأسى وسيكى لتسترخى قليلا، ولكن زاد الخمر من ضيقها. وفى النهاية خرجت تجرى إلى الشارع صارخة فى الناس بأنهم محبوسون، وأن الحرية توجد وراء شاشات التليفزيون. وأضافت أنها، لحسن الحظ، التقت أثناء طوافها المجنون فى الشوارع بأحد أعضاء " الجماعة " الذى شرح لها بصبر عظيم أنه لا يوجد شىء خلف التليفزيون، وأن أيًا من هذه الأجهزة، مهما عظم حجمه، لا يتسع لإنسان.

بالتحديد، أنقذتها " الجماعة " من السقوط فى مخالب الجنون، وتمتلئ الآن بمشاعر طيبة تجاه نفسها والآخرين. بعد ذلك تدخل من كان يبدو مقرر الندوة ، وشرح أن ما حدث لهذه السيدة هو أنها فقدت تصورات الداخل والخارج، حتى اعتقدت أن وجودها بالخارج يعنى أنها توجد فى الداخل والعكس. ولهذا وقعت فريسة لفوبيا الأماكن المغلقة فى

حين أنها يجب أن تعانى من فوبيا الأماكن المفتوحة. من الواضح، وفقًا لما أكده مقرر الندوة، أن الأشخاص الذين يعانون من شيء وهم فى الحقيقة يجب أن يعانوا من شيء آخر معرضون لمخاطر هائلة، حيث يجعلهم عدم التمييز بين الداخل والخارج يخلطون، كمثال، بين التهاب القولون والتهاب العينين، فينتهون عميانًا. وليختم شرح الاختلاف بين الهيكل العظمى الداخلى والهيكل الخارجى متوصلا إلى بعض الاستنتاجات التى لم يفهمها بيسنته أولجادو.

ثم طلب مقرر الندوة أن يصعد إلى المنصة شخص آخر ليروى تجربته الشخصية. هذه المرة لم يتحرك أحد وشاع فى القاعة جو من القلق والتوتر لبضعة ثوان، لم يستطع بيسنته أن يتحمله. فنوى أن يصعد إلى المنصة. عندما نظر إلى الجمهور ورأى كل هذه العيون المتطلعة إليه، شعر بأن مصيره يتقرر. وعندئذ قال إنه رأى نفسه عدة مرات هائمًا فى مدينة كبيرة غريبة. وشرح أن هذه الرؤيا تتجلى له عندما يكون بمفرده فى المنزل ومغمضاً عينيه، وخاصة عندما يتكئ على أريكة. يرى نفسه سائرًا فى شوارع بدون أسقف مرتديًا معطفًا أزرق عريض الياقة وفى أيام يكون له شنب وأيام أخرى بدون. وأضاف أن ما أثار انتباهه هو أنه على الرغم من معرفته أن ذلك الشخص هو نفسه، كان يجهل وظيفته. لم يعرف إن كان مهندسًا، أو خطيبًا أو خبيرًا زراعيًا أو محاضرًا، وأشار أنه اكتفى بذكر ثلاث وظائف فقط. كان كل ما يعرفه أنه هو نفسه، وأنه يرتدى معطفًا أزرق، ويتجه نحو مكان ما بحركة آلية حازمة. أحيانًا تهب رياح تشعث شعره، ولكنه يواصل المشى

ونظره مثبت على مكان لم يتضح بعد فى الرؤيا؛ ومرات أخرى تمطر ويبتل، ولكن لا يؤثر المطر على نظرته؛ وكانت فى بعض المرات لا تمطر ولا تهب الرياح، ولكنها تثلج وتتجمع فوق أكتافه ندف الثلج كما تتراكم على ثنايا التماثيل. لم يضعف ذلك أيضًا الماكينة التى تنظم مسيرته الجليلة. تردد بيسنته أولجادو فى أن يستمر مضيفًا إلى الرؤية مزيداً من التغيرات المناخية، فقد لاحظ انبهار الجمهور بها. قرر أن يتوقف، وأن من الأفضل، أن يختصر. كما أن الحديث عن الزوابع والأعاصير يؤثر بالقطع على مصداقية الحكاية. فضّل أن يشدد على مسألة الهوية. قال إن المشكلة أنه على الرغم من معرفتى أن هذا الرجل هو أنا، لا أعرف من أكون بالتحديد. ربى لا أعرف من أنا، أو إلى أى مكان أنا ذاهب. ربما أتجه فى الحقيقة إلى العمل، أو لإرسال تليغراف، ولكن من المحتمل أيضًا أن أكون فى طريقى لارتكاب جريمة أو اقتراف زنا. حاولت أن أتتبع هذا الشخص الذى هو أنا داخل الرؤيا، ولكنه يتوقف عندما يصل إلى ناصية ما، ويتلفت حوله وتتلاشى الرؤيا لتفسح مكانًا لرؤيا أخرى، عبارة عن إعلان مسحوق غسيل.

أسرت درامية العبارات الأخيرة الحاضرين، حتى شعر بيسنته أولجادو أنه متحكم فى الموقف. وتذكر أن المشاركين السابقين تحدثوا عن الخمر و"الجماعة" ،لذا قرر أن ينهى مشاركته بنفس الطريقة. وعندئذ أضاف، فأنهض من الأريكة وبدون أن تتلاشى رؤية الإعلان المبسوطة على أثاث الشقة، أتوجه إلى المطبخ وأتناول كأسًا من "المونو"؛ و فى هذه اللحظة، ينتهى الإعلان ثم أطالع وجوه جماعة –مثلكم– لديهم من الرحمة ما يدفعهم إلى الإصغاء إلىّ.

صعد بعد ذلك مقرر الندوة، وكان حائراً قليلاً على ما يبدو، وفسر بأن الشعور بالآلية يحدث عادة عند شاربى الخمور ومدمنى الماريجوانا. وأضاف أن إحساس الشخص بأنه كالآلة يميز الأفراد الذين تعرضوا لحادث مروع. ولهذا فإنه لم تكن هناك أية قوى مناخية فى رؤيا أولجادو قادرة على التأثير على تحركات الشخص المتخيل، لأنه آلى وليس آدمى. بدا لبيسنته تعقيب مقرر الندوة شيقًا، رغم أنه لم يكن يحتسى الخمور ولا يتعاطى الماريجوانا، ولا يتذكر أنه قاسى أى حادث أليم طيلة حياته.

انتهت الندوة وخرج الناس متحزبين إلى الشارع. اقتربت سيدة فى منتصف العمر من بيسنته وتأبطت ذراعه ماشية فى نفس اتجاهه.

سألت:

– أهذه هى المرة الأولى التى تحضر فيها الندوة؟

– نعم، ولكنها أعجبتنى كثيراً وسأحضر ثانية، هل ينظمها العمدة؟

– لا، هذه منظمة خاصة، طائفة تسمى "الجماعة". أنا لا أؤمن بأفكارهم، ولكنهم يعتقدون أننى كذلك. وهكذا أجد مكانًا أرتاده بعض الأمسيات. أنا عضوة عاملة؛ أو يعنى أنى داخلهم وخارجهم فى وقت واحد، لأنى لا أطيق أن يأمرونى ببيع المناديل الورقية فى إشارات المرور، كما يفعلون مع الأعضاء. كما أنى لست مدمنة للخمور، ولكنى أتظاهر بذلك، لأنهم مولعون بالإصلاح. سأل أولجادو:

- إصلاح المبانى؟ وكان قد قرأ قبل وصوله لمدريد كتيبات مجلس البلدية التى تتحدث عن إصلاح المبانى القديمة.

- لا، يا أخى، الإصلاح يعنى أنه إذا كنت سكيراً مثلاً، تنضم إلى "الجماعة" وتهجر الخمر.

- لم؟

- لتفعل أشياء أخرى، لن نقضى اليوم كله نشاهد التليفزيون ونرعى الأبناء. من الطبيعى أنه عندما تكون شيئًا ما ترغب فى أن تصبح شيئًا آخر. بالمناسبة، لقد أعجبت جداً برؤياك. أحياناً، عندما أرقد فى السرير وأغلق عينى، أرى رجلاً يشبه الذى وصفته. والحقيقة أنى لا أعرف من هو، ولا فى أى مدينة يعيش، ولا إلى أين يتجه.

- قد أكون أنا هذا الرجل.

- ولكنك ذكرت إنه على الرغم من معرفتك أنك أنت الشخص الذى تراه فى الحلم، لا تعلم من تكون.

- فعلاً، يحدث فى محادثة سريعة كهذه أن ينتابنى شعور بهوية ما وأعتقد أنى شخص ما، العمدة مثلا.

- يحدث لى أيضًا ألاَّ أعرف من أنا كما أنى لست متيقنة أن هذه المدينة هى مدريد. لماذا لا نكون فى كوبنهاجن أو فى باريس مثلا؟ من الذى يثبت لنا أن هذه المدينة هى مدريد؟.

– لا تقولى ذلك حتى لا تفزعينى، لأنى مؤجر شقة فى مدريد، فإذ كنا فى كوبنهاجن، أين أقضى هذه الليلة؟.

وهنا رأى بيسنته أولجادو شخصًا يتطلع فى خريطة اقترب منـ وسأله:

– عذرا، يبدو على حضرتك أنك مطلع ممتاز، أتستطيع أن تفيدنى إذا كانت هذه المدينة هى مدريد أم لا؟.

أجاب الرجل:

Ai Don undestan -

قال بيسنته أولجادو للسيدة:

– اللعنة، يبدو أننا فى بلد أجنبى.

– لا تقلق. تعال معى لنصطحب ابنى ثم سآخذك إلى اجتماع لطائفة أخرى يبدأ فى الثامنة.

رافق بيسنته السيدة حتى حضانة، حيث اصطحبا طفلا فى الثامنة يرتدى نظارة.

قالت السيدة:

– من المؤكد أنك مصاب بالحمى.

أكدّ الطفل:

– سعلت كثيراً، وتقيأت الطعام.

أصرّت:

- يتعمد ذلك ليغيظنى، يتظاهر بالمرض من حين لآخر لأنه لا يحب ذهابى إلى الاجتماعات.

أخرجت المرأة قرص أسبرين من حقيبتها وأرغمت الطفل على بلعه دون ماء.

علق أولجادو:

- قد يسبب له قرحة.

- لا يهم، بما أن هذا الوقح لا يعرف ما هو الداخل وما هو الخارج، ربما يبتلى بالتهاب فى العينين، بدلاً من القرحة، ويعمى. وهكذا لا نستهلك نظارات، فهو يكسر واحدة كل أسبوع.

علق أولجادو:

- العمى له مميزات.

قالت المرأة:

- من يحكمون الآن فى أسبانيا هم العميان.

- حقًا، رغم أنى أشعر أننا فى أمريكا .قال ذلك وهو يشير إلى مبنى معلقة فوقه لافتة " كينج برجر":

- ولكنى أكاد أقسم أننا فى كوبنهاجن.

استفسر الطفل:

- هل يوجد أيضًا في كوبنهاجن قناة التليفزيون الخامسة؟

عندما وصلوا إلى مكان الندوة، استأذنت السيدة بيسنته أن يبقى بالخارج مع ابنها، فهم يمنعون دخول الأطفال فى هذا اليوم لأنهم سوف يناقشون أمور الموت والحياة الأخرى.

ظل بيسنته مع الطفل فى الشارع، متعانقى الأيدى. كان الجو باردًا وهبت رياح مثل الرياح فى رؤيا بيسنته عندما كان لا يعلم من هو، ولا فى أى مدينة يعيش، ولا إلى أى مكان يتجه. مشى مع الطفل معانقًا يده وعبرا شوارع وطرقا بدون أن يعرفا من هما ولا فى أى مدينة يعيشان ولا إلى أى مكان يتوجهان. بدأ المساء يهبط فوق المبانى كستار معدنى، وتجمع الضباب حول فوانيس أعمدة الإنارة. دخلا شارعًا منعزلاً واستمرا فى المشى كآلتين حديديتين. بدأت تثلج وتراكم الثلج فوق أكتاف بيسنته والطفل كما يتجمع فوق تماثيل المتنزهات، بدون أن يؤثر على كيفية تواجدهما فى هذا العالم. أمسك الطفل بيد بيسنته بقوة، والذى شعر بتيار دافئ يجتاحه، كان هذا التيار هو الحنان، رغم أنه لم يدرك ذلك. وعندئذ توقف، وأغلق عينيه ورأى نفسه هائمًا فى أحد الشوارع مع طفل هو ابنه. ورغم أنه لم يكن يعرف فى أى مدينة يعيش ولا إلى أى مكان سيتوجه، كان يعتريه شعور أكيد بأن هذا الولد ابنه، وطالما بقيا متعانقى الأيدى، لن يجرؤ اللصوص على مهاجمتهما، ولن تبللهما الأمطار، ولن يعرقلهما الثلج. كانا سويًا فريقًا قويًا، فريدًا، لا يقهر. يستطيعان المشى للأبد بدون أن ينال منهما التعب حتى يبلغا المكان المقدر لهما؛ وعندما يصلان ، سيدركان ماهيتهما، مما يستحق

مشقة السير فى شوارع بدون أسقف، واجتياز مدن مجهولة. توقف ولمس جبهة الطفل براحة يده.

سأل :

– أتعانى من الحمى، يا بنى؟

– بلى، ولكنها تعجبنى فهى تجعلنى أشعر بإليتى.

– إذن، نسير قليلا.

– نعم.

فُتح على اليمين طريق ملىء بالأشجار. شعر بيسنته أولجادو أن أصابعه، المشبوكة مع أصابع الطفل، جذور شجرة بدأت تنمو داخل صدره وتتغذى على حمى الطفل. شرعًا في السير فى هذا الطريق الذى بلا نهاية وعرف بيسنته أنه لن يعود مطلقًا إلى الخوف من عدم معرفة طريق الرجوع.

تنتظرنى فى الصيدلية

أذهب إلى العمل متخذاً نفس الطريق دوماً، رغم وجود شارع آخر، كما أبدأ عادة بغسل الناحية اليسرى من فمى بالفرشاة، رغم أن لى أيضًا أسنانًا فى الجهة اليمنى. ليست مجرد عادات تافهة، ولكنها أفعال متعمدة تجنبنى النحس. أعيش وحيداً وأعمل فى شركة تضطرنى إلى السفر كثيراً، وأحارب هذا الاقتلاع من جذورى باختلاق وطن محمول أرضه ليست إلا العادات الغريبة. مثلاً أنهض دائمًا بساقى اليمنى، وأعد حتى خمسة وعشرين قبل دخول الحمام، لأفسح وقتًا للأشباح التى تقضى الليل هناك لتدخل جحورها. لا يهمنى أن أشارك شقتى مع مخلوقات أخرى طالما أن هناك اتفاق أساسى يحدد الأوقات التى يخرج فيها كل منا.

اكتسبت مع مرور الوقت عدداً معقولاً من الأفكار المهووسة، حملتها من مكان لآخر كحيلة دفاعية ضد الهجمات الذاتية المدمرة والتى تصيبنى-كالأنفلونزا- مرة فى العام عادة. اعتمدت على هذه الأفكار المهووسة والعادات الغريبة فى بناء قصتى النادرة وسيرتى الذاتية الفريدة وطموحاتى الشخصية بالمجد.

عندما نقلوني إلى هذه المدينة اكتشفت فور أن استأجرت هذا المنزل، أني أستطيع الذهاب إلى المكتب عبر شارعين مختلفين ومتوازيين، ولكني اخترت الشارع الواقع على يدي اليسرى، اليد التي أرتدي فيها الساعة، ونبع الاختيار عن تفكير خرافي بأني إذا سرت في الشارع اليمين سأتأخر عن العمل أو أتعرض لمصيبة. وداخل هذا الشارع الأيسر عادة ما أسير على رصيف الجهة اليمنى لإحداث نوع من التوازن. التعادل فكرة مهووسة أخرى تسيطر عليّ: فلا أطرف،مثلاً، بعين عدة مرات أكثر من العين الأخرى، حتى لا تعمى العين التي لم أفضلها.

اخترت شارع الجهة اليسرى، طريق الوصول في الميعاد، وكنت أروح وأجيء من وإلى العمل كل يوم حاسبًا خطواتي ومكونًا منها في مخيلتي مجموعات من خمسة وعشرين خطوة. ولكن حدث شيء ذات صباح: بدأت أتخيل أن هناك نسخة مطابقة لي تسير في نفس الوقت في شارع الجهة اليمنى، ولكنها نسخة أنثوية، رغم أنها تشبهني تماماً. كان هو أو هي سيدة، بالرغم من أن هي -أو هو- وأنا اللذان نعرف ذلك فقط. أصابتني هذه الأفكار التي تطرأ للشخص في نهاية اليوم، بالاضطراب. أمضيت ليلة سيئة، يسيطر عليّ هياج جنسي لا فكاك منه.

قررت في اليوم التالي عدم الذهاب إلى المكتب، ولكن بدءًا من الساعة العاشرة شرعت أتخيل نسختي المطابقة في شارع الجهة اليمنى، منتظرة أن أبدأ السير في شارع الجهة اليسرى حتى تبدأ بدورها، ولم أستطع المقاومة: ارتديت ملابسي، وخرجت، وبعد خطوتين

أو ثلاث تلاشى الضيق، وحلت مكانه إثارة جنسية غير محتملة. ومع كل خطوة على بلاط الرصيف كانت الشهوة تنمو سنتيمترًا أو اثنين بفضل "ديكولتيه" الثوب الأسود لنسختى، والتى كان جسدها يضطرم بالرغبة أيضًا فى الشارع المجاور لى. عجلت الخطى فأسرعت هى أيضًا، وتيقنت أنها، رغم تواجدى فى شارع آخر، تشعر بصعوبة ضم رجليها مثلما يحدث لى فى نفس المنطقة، كما كنت أشعر بين إليتىّ باحتكاك سروالها الداخلى. وفى لحظة ما، وصل الخلط بين أعضائها التناسلية وأعضائى أنى شعرت بثقل ثدييها الهائلين، وخشونة الجلد حول الحلمتين.

وصلت إلى المكتب فى حالة يرثى لها، ونجحت فى الاختباء فى حجرتى بدون أن يرانى أحد. انهرت فوق المقعد وأغلقت عينى، وعندئذ رأيت الشارع الذى تتحرك فيه شبيهتى - شارع الجهة اليمنى - ورأيتها، واقفة وسط الناس، تبحث عنى. عندما رأتنى ابتسمت وبحركة تطابق إيماءاتى أشارت لى لأتبعها. مشيت وراءها، وفجأة بدا لى الشارع الذى لم أسر فيه مطلقًا مألوفًا: ارتبطت صور أبواب المنازل، والدكاكين، وطريق الدراجات المهدم والمشاة المتعبين بشىء محفور فى ذاكرتى. مررنا بدكان فحم، حيث تهيأ لى أن هناك شخصًا يتأوه بالداخل. ثم توقفت هى أمام واجهة محل خردوات، وكانت على ما يبدو لوحة لرسام أمريكى، وحركت مؤخرتها وهى تعى أنى خلفها أحرك مؤخرتى. وهكذا، وبدون أن أترك مكتبى، كنت أقف فى نفس اللحظة فى هذا الشارع خلف جسد امرأة هو جسدى أنا أيضًا.

استمرت فى المشى وأنا أتبعها حتى دخلت صيدلية وتوقفت-أنا- أمام الواجهة، والتى بدأت مع مرور الوقت تتحول إلى لوحة فنية أيضًا، ثم دخلت مدفوعًا بالهياج الجنسى المسيطر علىّ. كانت تقف خلف منضدة البيع مرتدية روبا أبيض بدلا من الثوب الأسود، يلتف بنعومة حول ثنيات جسدها. سمعت صوتا كرنين الهاتف يأتي من عالم الواقع، ولكنى فسرته على أنه لا يخصنى وطلبت منها ضمادة.

قلت كاذبا :

– أعتقد أنى لويت معصمى.

قالت :

– اجلس هنا، وسأضمده لك بنفسى.

جلست على دكة، بجوار الميزان، وخرجت هى من خلف المنضدة، وبعد أن أغلقت باب الصيدلية بالمفتاح، ركعت بجوارى. وفى الحال راقبت أصابعها وهى تستكشف يدى، وكنت أعلم أنها لا تفتش إلا عن نبض الرغبة. لم أكن لأقايض هذا الحلم مقابل أى شىء مهما كانت قيمته، حتى إذا لزم علىّ أن أسلم لهذه المرأة كل أفكارى المهووسة مقابل القبلات، التى أخذت تطبعها فجأة على يدى. سأقدم على ذلك بسعادة، رغم يقينى أنى هكذا أسلمها أسلحتى وأنى سأبقى أعزل بعد ذلك فى مواجهة الجنون، حيث أنقذتنى صرامة العادات الغريبة هذه، من الجنون الذى أتهادن معه منذ وعيت.

كانت تمص أصابعي وهي تنظر لي بهياج يساوي شهوتي وأنا أتأملها، وحينئذ سمعت خبطات تأتي من ناحية الواقع، ثم أزيز باب يفتح. رفعت جفوني لأرى ما يحدث وشاهدت سكرتيرتي واقفة على باب المكتب في حالة فزع. أجهل ما رأت على وجهي، ولكني تظاهرت بالإغماء لأبرر تغير وجهي.

عندما مر كل شئ بسلام، اضطررت إلى اختلاق ألف سبب لتبرير حشرجات الموت التي صدرت عني ويبدو أني قد استخدمتها في مغازلتها، وبعد ذلك طلبت منها أن تتركني بمفردي واستسلمت ثانية إلى استرجاع هذه القصة الخيالية المقررة عليَّ، رغم أني لا أعرف من فرضها، والتي بلغت قوتها درجة الأحداث الحقيقية. فقد كنت ما أزال أشعر في بعض أجزاء جسدي الاستراتيجية بضغط ملابسها الداخلية، والأغرب أنها هي أنا: وكوننا غير متشابهين لا يستبعد أننا متطابقان أو متطابقتان.

لم أعد أستطيع التركيز ابتداء من ذلك اليوم، لأن مشاهد الصيدلية كانت تشغل خيالي بالكامل، وتتكرر عدة مرات بدون أن أشبع من تأملها. وكل صباح وقبل الذهاب للعمل، كنت أخرج للشرفة وأتطلع إلى شارع الجهة اليمنى باكتئاب، وكان يأخذ شكل أرض خرافية تشهد أحداثا غامضة . أحيانا أتخيل إمكانية الذهاب إلى العمل من خلاله، ولكن كلما زاد الإغراء ، زاد أيضًا رعبي الخرافي الناتج عن هذه الرغبة .

جاء يوم السبت وذهبت لشراء ملابس. منذ وقت طويل لم أجدد ملابسي، لأني لا أشعر بمتعة في الشراء. ورغم ذلك، فقد أحببت في ذلك اليوم الاقتراب من المنطقة التجارية والفرجة على واجهات المحلات. وبينما كنت أجرب السترات والبنطلونات انتابني شعور بأني ألبسها هي هذه الملابس. كنت أدخل البروفات مضطربا كولد مراهق، وعندما أنظر في المرآة لأرى كيف تبدو الملابس، أشعر بعرفان وامتنان صادرين عن نظرتها على ما يبدو. لم أعر قط أي اهتمام للملابس الداخلية من قبل، ولكني اخترتها ذلك اليوم بعناية، كأنها لها وليست لي.

ثم ذهبتُ إلى مطعم أنيق وطلبت محارا وشمبانيا. أتذكر أنه أثناء انزلاق لحم المحار في حلقي، شعرت بأنه يتجه إلى داخل جسمها وليس جسمي. بدأت الشمبانيا في إفقادي الوعي في الحال، ولكن كانت هي في الحقيقة التي تفقد الوعي. وفي لحظة معينة بدا أن سروالي الداخلي تحول وأصبح "كيلوتا" أنثويا خفيفا وبدأ يبتل. باعدت قليلا بين رجلي وتأوهت من المتعة وأنا أشعر باحتكاك الدانتيلا. كان أمرا محيرا، لأني في نفس الوقت شعرت بانتصاب، ورغم أنه يحدث في مكان آخر، فإنه يخصني كما لو كان يحدث بين رجليّ.

وصلت إلى المنزل وأنا على وشك الانفجار من النشوة، ومن الحب أيضا، ورقدت في السرير. عندما أغلقت عيني رأيت مرة أخرى شارع الجهة اليمنى ومسحته بعيني حتى وصلت إلى الصيدلية. كانت تنتظرني خلف المنضدة. طلبتُ ضمادة ككل مرة، وتحسست هي يدي، بعد أن أغلقت القفل، لتحدد المفصل المخلوع. كانت ترتدي الثوب الأسود ذي

الديكولتيه الواسع مثل اليوم الأول، والذى رأيت من خلاله نهديها، وهى تضمد يدى. ورغم رؤيتهما خارج جسدى، شعرت بهما فى جسمى، كما أشعر بلعابها داخل فمى أو بجنونها داخل رأسى.

طلبت منها أن تخلع ثوبها وتصعد فوق المنضدة، حتى أتمكن من رؤية كل جسدها، أطاعتنى بانقياد ينتمى لى أكثر مما يخصها. وهكذا تحققت فى الحال أن الذى يسيل لعابه وهو على أربع أرجل فوق المنضدة كان أنا، بينما هى – أو أنا – تطلب منى وهى بأسفل أن أموء كقطة غيرانة.

أمضينا نهاية الأسبوع فى السرير، أو فى الصيدلية، ونهضت يوم الاثنين مرهقا ومصابا بالحمى، شاعرا أن حياتى ليس لها معنى آخر سوى الخضوع لهذا الشارع الضيق المؤدى للصيدلية. ارتديت الملابس التى اشتريتها يوم السبت ورغم أن الملابس كانت رجالية، شعرت بملامسة بعض الدانتيلا الأنثوية. أغلقت عينى ورأيت فوق مؤخرتى جونلة سوداء تبرز منها أعضائى أو أعضاؤها .

وبما أنى خلال هذين اليومين تخليت عن طقوسى، حتى أننى دخلت الحمام عدة مرات دون أن أنبىء الأشباح عن وجودى، فلقد عاقبت نفسى، لأكفر عن هذا الإهمال، عقاباً صغيراً يتمثل فى الجرى ثلاث مرات فى ممر الشقة ذهابا وإيابا قافزا على رجل واحدة.

كان كل شىء جيدا فى البداية، ولكن فى المرة الثانية، ومع كل قفزة أخذت أتخيل ثدييها وهما يقفزان إلى أعلى وإلى أسفل ليهربا

من ديكولتيه بلوزتها. كان هياجى شديداً حتى أنى عدت إلى السرير قبل الانتهاء من هذا التكفير وقضيت فيه طول اليوم... أقصد قضيت اليوم فى الصيدلية.

اتصلوا بى هاتفيا من المكتب، ولكنى أخبرتهم بأنى مريض وكانت هذه الحقيقة، رغم أنى اضطررت إلى تقليد صوتى، لأن صوتها يخرج منى أحيانا بدون قصد .

كان الضباب كثيفا فى اليوم التالى يمنع رؤية أى شىء. ومن الشرفة حاولت أن أحدد الشارعين المؤديين للمكتب، ولكن اختفت الحقيقة كلها وراء هذه السحابة السميكة التى تدعونى للضياع.

نزلت إلى البوابة، وتظاهرت بأنى أخطأت بسبب الضباب، ودخلت فى شارع الجهة اليمنى وبدأت فى المشى وقلبى فى حلقى . عندئذ أصبح الضباب أقل كثافة واستطعت تمييز البوابات ووجوه الأشخاص التى تسير بجوارى. شعرت بضيق فى التنفس عندما أدركت أنه شارع طفولتى، ولكن كان فى هذا الضيق سعادة كبيرة، مثلما كان يحدث لى وأنا صغير: كانت الأحلام تخيفنى وتغمرنى بسعادة بالغة فى ذات الوقت. توقفت أمام دكان الفحم حيث مات بداخله ابن الفحّام لسوء حظه، رغم أنه كان يتباهى بخلوه من أفكار مهووسة، ثم توجهت بعزم نحو الصيدلية. كانت أمى بالداخل تعتنى بشخص تقول عنه إن مفصله مخلوع. عرفت أنها كذبة ولم أفهم لماذا تضمد يده وهى واقفة بطريقة تسمح له بالتطلع إلى ثدييها. وبينما ألعنهما من الجانب الآخر من المنضدة، كنت أحرك جفنى فى نفس الوقت حتى لا تعمى إحدى عينى،

وكنت أحصى زجاجات الدواء القابعة على الرفوف مكونا منها مجموعات من خمس وعشرين. وتخيلت فى نفس الوقت أننى أصبحت رجلا ناضجا يعمل فى بلد بعيد. وفى يوم وأنا أتجول عثرت على هذا الشارع حيث تملك أمى صيدلية.

ذاكرة رجل غيرى

حضر بيسنته أولجانو إلى مركز الشرطة وروى حكاية غريبة: فقد كان فى مكتبه على ما يبدو، ينظر فى دفتر مواعيده اليومية، عندما فاجأته ذكرى لا تخصه. رأى نفسه، فى هذه الذكرى، يساوم بنت ليل على ناصية شارع لا يعرفه. والأغرب من ذلك أنه كان يتحدث مع العاهرة بالفرنسية، التى يعرف بيسنته فقط بعض الأساسيات منها.

توقف رجل الشرطة، الذى كان يتلقى البلاغ، عن الكتابة على الآلة الكاتبة عند هذه النقطة، وتأمل صاحب البلاغ من خلف نظارته محاولاً التكهن من مظهره إن كان مجنوناً خطراً أو مجرد مجنون عادى. وعندما تيقن من عدم خطورته، نصحه أن يبعث ببلاغه إلى واحدة من المجلات العديدة المخصصة لنشر الموضوعات الخارقة للطبيعة.

خرج بيسنته مذعوراً إلى الشارع من فكرة فقده الإحساس بالواقع لدرجة حضوره إلى قسم الشرطة بحكاية كهذه. رغم ذلك فى الأسابيع التالية تفاقمت الذكريات عن نفسه وهو يفكر بالفرنسية ويسير فى شارع مدينة غريبة. كان طبيعيًا ألا يخبر أحداً بهذا الموضوع، بل حاول ألاَّ يشى سلوكه فى البيت أو فى العمل بهذه الحكاية الشاذة. من المؤكد

أنه شعر بالخوف من أن يجن لبعض الوقت، ولكن بعد أن اعتاد هذه الصور، وخاصة بعد أن تأكد أنها ليست دائمة، تعايش معها وأصبحت تشكل متنفساً للانفعالات فى حياة كالتى يعيشها: حياة منظمة بشدة على ما يبدو وخاضعة للقواعد والقوانين .

كانت لدى الآخر، الفرنسى، كما بدأ يطلق عليه، أوهامًا أقل منه. وكان يخرج بكثرة للعشاء مع أصدقاء صاخبين وبعد ذلك يرتاد أماكن ليلية للمتعة والجنس لا يجرؤ أولجادو أبداً على الذهاب إليها، ليس بسبب تصنعه للفضيلة، وإنما لرعبه الخرافى بأنه سينوب فى هذه البؤر مع أقل اتصال بها. أحيانًا كثيرة عندما يمر أمام المحال المخصصة لتجارة الجنس والبورنو، ومع إسراعه فى الخطى، يحلم بأن يلج معابد الخطيئة هذه. ربما يفعلها ذات مرة ليتعرف على مفردات التصرف عبر دهاليزها المظلمة.

مع مرور الوقت، اعتاد بيسنته، فى النهاية، على أن تسكنه ذكريات لأحداث لم يشهدها – لم يكن فرنسياً قط – كمن يعتاد على وجود دمل فى موضع خفى عن نظرات الآخرين. ورغم أنه أحيانًا يضطر إلى الاعتراف أمام نفسه أن هذا الفرنسى مجرد مرض معنوى، كان ينتهى بالاستمتاع بمغامراته العاطفية بنفس شغف متلصص فضولى بما يرى على الجانب الآخر: من عينيه ومن ثقب قفل الباب. كان واضحًا أن أولجادو ما لبث أن تحقق أيضًا من أن حياة الرجل الفرنسى كانت نظامية كحياته: نفس التسالى والنساء والخروج لتناول الطعام والخمر كل يوم، ونفس الوعكات التى تُصيبه بعد السُكر، ودائما نفس تأنيب

الضمير. كانت عادات الرجل الفرنسى وعاداته تتباين فقط فى نوع الأنشطة الخاضعة للنظام ولكن يجمعها نظام صارم واحد. تساءل أولجادو إذا كان الآخر يغبط حياته التقليدية كما يرغب هو فى تصرفاته الشاذة، وخاصة أنهما كلما تقدَّما فى السن، يبدو على الفرنسى أنه يجد متعة وسعادة أقل فى جولاته الليلية، كما لو كان يؤدى واجبًا، مثلما يذهب الآخرون للعمل.

بدأ بيسنته فى الاهتمام به مما جعله ساهمًا قليلاً. وبدأت أيضًا تزوره ذكريات، غير مكتملة، للفرنسى فى مكان يبدو مسكنه، وهو يتجادل دائمًا مع زوجة جالسة فوق مقعد متحرك وتحكم العالم من جلستها هذه. شعر أولجادو بمرارة من هذه المشاهد، لأنه على الرغم من عدم استيعابه لما يقوله الرجل وهو يتكلم بالفرنسية، حدس من اللهجة والإيماءات المصاحبة لكلماته أن هذه المناقشات ليست مجرد مشاجرات زوجية عادية.

وفى يوم بعد أن تقاعد عن العمل، وبينما يرقد فى الشرفة تحت أشعة الشمس، بدأت ذاكرته تعمل فجأة ورأى نفسه يخنق، بجورب من الحرير الطبيعى، زوجته الفرنسية وهى جالسة على المقعد المتحرك. كان المشهد مقززًا للغاية حتى أنه وقع مريضًا، ولازم الفراش لمدة شهر. وفى خلال هذه الفترة، لم يتذكر شيئًا عن شخصيته الفرنسية، ولكنه كان مرعوبًا بهذا التهديد: ألا يستطع احتمال المشاهد التى يتخلص فيها من الجثة أو قبول فكرة أن يقبض عليه بسبب هذه الجريمة وأن يسجن فى هذا العمر.

وبعد أن مرت هذه الفترة، نهض وبدأ يتمشى فى ممر المنزل تحت رعاية أسرته الدائمة. كان يتناول الحساء وبعض الخضراوات فقط: حيث فقد أثناء المرض شهيته للطعام، وكان كل ما يتذوقه له طعم التراب. ولحسن حظه استمرت الذكريات له عندما كان رجلاً فرنسيًا ولكن دون أن يشعر بها. وفى يوم، وهو يتأمل فى هذه العادة الغريبة المصاحبة له طول حياته، فكر أنه ربما لا يتذكر أى شىء لأن الرجل الفرنسى قد مات وهو يخنق زوجته، ربما نتيجة سكتة قلبية من المجهود، أو ربما استطاعت زوجته أن تطعنه بمقص كانت تحمله دومًا فى حجرها قبيل وفاتها. عرف فجأة لماذا كان كل ما يضعه فى فمه من وقتها له طعم التراب وسقط منهارًا على الأرض قبل أن يصل الرعب إلى درجة غير محتملة.

عن الرذائل

في واحدة من المناسبات العديدة التي ظهر فيها بيسنتة أولجادو للحياة، اكتشف أن الناس تستهلك جزءًا كبيراً من وقتها وطاقاتها في الحديث عن الكوليسترول أو عن الجهاد لترك عادة ما : كالتدخين، أو شرب الخمر، أو أكل الدهون.. إلخ. بينما هو - الذي أحيانا يرغب في أن يشبه الآخرين- ليس لديه ما يتخلص منه، كان يفتقد عادات تستحق الكفاح للتخلص منها، يستطيع فقط أن يتناول زبادي سادة بدلاً من زبادي الفراولة الذي يعشقه، ولكنها لا تعد تضحية مهمة. من ناحية أخرى، وجد أن معظم الناس، بعد التخلص من رذائلهم، يستعيضون عنها بعادات سيئة أخرى. فمثلا، يتحول المدخن السابق إلى أكول شره، والسكير المعتزل إلى قديس، ومحب المأكولات الدسمة إلى نباتي سرعان ما يتجه إلى إدمان الإبر الصينية. على ما يبدو كان العسير هو العيش بدون أي إدمان. ليست المسألة أن بيسنته لم يكن مدمناً لأية عادة، وإنما كانت عاداته هي كل حياته، بينما في حيوات الأشخاص الآخرين تختلط بالعادات الأخرى. فالمدخن، بالإضافة إلى حرقه التبغ، لديه عادةً عمل ثابت، ويكون متزوجًا، ويعول أولاداً، ويحضر قداس الأحد، ويزور والديه العجائز مساء السبت.. إلخ. ونفس الشيء يفعله السكير وآكل الدهون

أو جامع الطوابع. مع هؤلاء يصبح الإدمان مكملاً للحياة، بينما فى حالته يختلط بالحياة نفسها.

حاول عدة مرات التشبه بالآخرين. قضى وقتًا يجمع الطوابع ولكنه سرعان ما شعر بالملل، وتحوّل إلى جمع ملاعق قهوة. سرق أكثر من ألفى ملعقة من المطاعم والبارات كما اشترى بعضًا من البازارات السياحية. وعندما ملأ منها ثلاثة صناديق، حاول تصنيفها بلا فائدة. عندئذ قرر بيعها ولكن سخروا منه لأنها لا تساوى شيئًا. لم يكن المسكين يعرف أن فى هذا النوع من الهوايات يجب أن تكون الملعقة مصنوعة من الذهب أو الفضة. وبما أنه لم يدر ماذا يصنع بها، وإلى جانب تأنيب ضميره، قرر إعادتها إلى البارات التى سرقها منها. وهكذا فى كل مرة يحتسى فنجان قهوة، كان يترك خفيةً ملعقتين أو ثلاث فوق البار. أما الملاعق التى اشتراها فقد صنع منها شكلاً هندسياً لحشرة وضعه فوق التليفزيون.

ثم اعتنق التدخين والشراب. وكان أمله أن يصبح مدمنًا للخمر أو مدخنًا، أو الاثنين معًا، حتى يجاهد ضد هذه الرذائل ويستطيع أن يعلن، مثل الآخرين، أنه أقلع عن التدخين أو عن شرب الكحوليات. وربما بعد ذلك يتفرغ للإبر الصينية أو اليوجا، وبهذه الطريقة يتواصل مع أشخاص آخرين وهما لم يفعله من قبل .

بدأ يدخن التبغ الأسود، لأنه أرخص، ولكنه سرعان ما اكتشف متعة تدخين التبغ الأصفر، وأقبل عليه بشراهة. أما بالنسبة للخمر، فقد جرّب النبيذ الأحمر، حتى أدرك ما تسببه الخمور القوية من حرقان

المعدة . ولتكتمل الصورة، شرع فى تناول الدهون لأنه، كما سبق القول، يعلم أن الكوليسترول يقوى العلاقات الإنسانية.

فى يوم، بعد ثلاثة شهور من المواظبة على هذا النظام الغذائى القاسى، أجرى تحليلا للدم والبول أثبت أن جسمه منهار تمامًا. منعه الطبيب من أكل الدهون وأوصاه أن يقلع عن التدخين ويقلل من الخمر.

قال له:

– كبدك متورم وأكبر من كرة.

خرج بيسنتة أولجادو من العيادة فرحا للغاية. واتجه مباشرة إلى مطعم وطلب طبقًا من العدس مع سجق حارق وأعقبه بشريحة لحم بالصلصة واختتم بكأس حلوى بالآيس كريم يشتهر بها المكان. ثم أخرج علبة السجائر، وأشعل واحدة وطلب كأسًا من خمر قوى. وعندما بدأ الكحول يغزو عقله نادى الجرسون وقال له:

– جئت لتوى من عمل بعض التحاليل وقد أخبرنى الطبيب أن نسبة الكوليسترول مرتفعة. كما يجب أن أقلع عن الخمر والتدخين.

نظر إليه الجرسون مندهشًا

سأله: – وهل تحاول؟

– حسنًا، ليس سهلاً ترك هذه العادات عندما تعاشرها وقتًا طويلاً. سأضطر الآن أن أتحول إلى نباتي وأحضر جلسات الإبر الصينية واليوجا.

اقترح الجرسون:

– فيما يتعلق بمسألة الخمر، يمكنك حضور جلسات جمعية مدمنى الخمر المجهولين.

لم يكن بيسنتة أولجادو يعرف شيئًا عن هذه الجمعية، ولكن عندما أخبره أومأ بالموافقة فى الحال. فهناك سيوجد أشخاص يجاهدون، مثله، للتخلص من عادة سيئة ومعهم يستطيع الحديث عن أحوال الحياة وهو يتناول زبادى الفراولة، وهو الشىء الذى يدمنه فى الحقيقة. هجر الخمر والتدخين بسهولة، ففى الواقع لم يتعمق إدمانهما فى مزاجه.كما أنه شعر بتحسن عندما أقلع عن أكل طبيخ اللوبيا باللحم وعن الإفطار المتضمن للبيض.

أصبحت لقاءات مدمنى الخمر السابقين هى رذيلته الوحيدة . كان هناك أفراد يتحدث معهم عن الكوليسترول أو عن العواصف الكهربية، مقلداً إيماءات شاهدها لأشخاص آخرين. مر كل شىء بسلام حتى اكتشفوا أن أولجادو ليس فى الحقيقة مدمنًا للخمر، وإنما هو دخيل لا يعرف أين يقضى وقت فراغه. لم يطردوه، ولكنهم أخذوا يتهربون منه واضطر إلى الرحيل على أية حال. ولذا أخذ يتعلم حركات عصبية فى الوجه ونجح أن يقبلوه فى جماعة أخرى، حيث قدّم نفسه كمدخن ومدمن خمر معافى. انسجم معهم جيداً وشعر بالسعادة لبضعة شهور.

بيسنته يسافر إلى باريس

اضطر بيسنته أولجادو إلى تأجيل شهر العسل بسبب أعماله. أمره رئيسه في نفس ليلة زفافه بالسفر إلى باريس في اليوم التالي لإنهاء صفقة مهمة عمل فيها في الشهور الأخيرة. كان سيرفض في ظروف أخرى، ولكن كانت الشركة تمر بموقف عصيب ورأى أنه من التهور، رغم معارضة زوجته، أن يبخل بتعاونه في مثل هذا الظرف. يومان أو ثلاثة على الأكثر، ثم يكملان الأشياء كما خططا لها.

سبب له الجدال مع زوجته اضطراباً لم يستطع التخلص منه حتى الآن بعد وصوله إلى باريس. كما أنه تخيل في الطائرة سلسلة من الكوارث قادرة على إنهاء حياته الزوجية حديثة العهد. اتجه مباشرة إلى الفندق وقبل أن يخلع سترته تحدث معها في التليفون، وكانت بعيدة وباردة. شعر أولجادو أنها لن تغفر أبدا فعلته هذه وأعتمت هذه الفكرة حالته النفسية أكثر. أفرغ الحقيبة بحركات شخص يقوم بتشريح جثة وضع الملابس الداخلية والقمصان في أدراج الدولاب وترك واحداً فارغًا، كعادته. ثم جلس على حافة السرير وحاول أن يراجع خطة الاجتماع مع شركائه الفرنسيين.

ولكن بدلاً من التفكير أخذ يعد أدراج الدولاب، وكان ما يزال مفتوحًا. أحصاها فى كل الاتجاهات الممكنة، اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة، منتهيًا دائمًا إلى نفس النتيجة. كان يدرك أن عادة العد الغريبة هذه تتسلط عليه وتنفجر عندما يشعر بنذير ما. ولكن معرفته هذه لم تنفعه ليواجه ضيقه بطريقة أخرى. بقيت ساعتان على الاجتماع واعتقد أنه إذا تسلى عشر أو خمس عشرة دقيقة بهذه العمليات الحسابية التافهة سيهدأ بدرجة كافية ليجهز مشاركته فى الاجتماع.

وفى وضعه هذا، وهو يعد لمدة غير محددة الأدراج من أسفل إلى أعلى، اكتشف واحداً ناقصًا، وفسر ذلك بأنه نذير شؤم، أى واحد منها قد اختفى؟ أى منها يرمز إلى الفناء؟ نهض وأغلق الدولاب بعنف. ثم جلس على المكتب الصغير ولاحظ وجود أوراق وأظرف تحمل عنوان وشعار الفندق مرتبة فوق قطعة مستطيلة من الجلد. سيكتب لزوجته خطابًا ملتهبًا كى تنسى هذه الزلة الأولى فى حياتهما الزوجية.

ما كاد يكتب مقدمة الخطاب حتى اكتشف على يمين المكتب صفًا من الأدراج الصغيرة، قام بعدها أتوماتيكيًا: اثنين اثنين، ومن أعلى إلى أسفل. كان مجموعها دائمًا عدداً زوجيًا؛ ومع ذلك، عندما راجع العد فى اتجاه آخر اختفى أحدها ثانية. أعاقته موجة من الانزعاج عن مواصلة الخطاب. رقد محبطًا على السرير وتذكر مكتبه الأول: أهداه له والده مع بداية دراسته الثانوية وكان ذى أدراج ثلاثة قام بعدها طيلة هذه السنوات كرقية ضد أى خطر. كانت ثلاثة دومًا، وربما بفضل ذلك نجح فى النجاة حتى بلغ سن المراهقة ثم الشباب. أنقذه هذا الطقس

السحرى لعد الأدراج والوصول إلى نفس النتيجة دائمًا من عدد هائل من الكوارث. كان يغلق دائمًا الدرج الثانى بالمفتاح، رغم أنه فارغ: فقد كان يريد أن يعتقد إخوته أنه يملك أسرارًا. حاز هذا الدرج الفارغ مع مرور السنوات على مكانة معقدة وغامضة. كان يضع بداخله جوربًا ملفوفًا على شكل كرة عندما لا يريد الذهاب إلى المدرسة: ووفقًا للمكان الذى يضع فيه الجورب، كان بيسنته يدعى مرض جزء من جسده.

جاء وقت شعر فيه بالخوف من هذه العادة، فتخلص من الجورب، ولكن احتفظ بالدرج مغلقًا وفارغًا. وصاحبته هذه العادة طوال حياته، حتى أنه أبقى دائمًا فى كل البيوت التى عاش فيها وفى كل الفنادق التى نزل بها على درج فارغ كوقاية ضد الأمراض والنحس. يشعر الآن أن شخصًا وضع الجورب من جديد فى وسط هذا الدرج البدائى، إن الوسط هو المنطقة التى تخص الصدر وهنا يقبع الضيق متمركزًا كعقدة.

وصل إلى الاجتماع منهكًا، ولكن كان ما يزال يثق فى قدرته على الارتجال ليواجه الصعوبات التى قد تظهر فى هذا الجزء الأخير من الصفقة. ما لبث أن بدأ المناقشة حتى رأى فى أقصى القاعة قطعة أثاث مليئة بالأدراج، ورغم تركيزه فيما يقوله الشركاء، بدأ يعد الأدراج من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار، متوصلاً إلى نفس الرقم. بدا له أن الأمور يمكن أن تمر حتى الآن بسلام. ثم أخذ فى الحساب من أسفل، من صف اليسار، متوصلاً إلى نفس النتائج. خفت حدة الضيق وانفجر شىء يشبه الفرحة فى أفكاره. جرب كل الاتجاهات الممكنة،

وأخيراً تجرأ على العد فى خط مائل، ولكن اكتشف فى هذه العملية الأخيرة واحداً ناقصاً مرة أخرى.

فقد وعيه فى الحال واضطروا إلى إخراجه من القاعة. نمت غصة الضيق فجأة حتى شغلت كل منطقة الصدر. وعندما وصل إلى الفندق، نام على السرير وتذكر فجأة أنه ترك فى بيته الجديد أيضًا درجًا فارغًا، ولم يحذر زوجته من الاقتراب منه. حادثها تليفونيًا، وهى غاضبة ما تزال. عندما سألها بيسنته ماذا تفعل، أجابته أنها كانت ترتب الأدراج وأنها وضعت كل جواربه فى واحد وجدته فارغًا.

العين الكسلانة

اعتقد والدا بيسنته أولجادو لمدة طويلة أن ابنهما متخلف عقلى، ورغم أنهما لم يحرماه من عطفهما لهذا السبب، فهما لم يحاولا مساعدته لاجتياز الاختبارات العقلية فى المدرسة أو بعد ذلك فى المعهد. كانت معاناته فى فهم الكتب المدرسية تؤكد فكرتهما هذه عن الطفل، الذى يتأملانه بنظرة شفقة تحوى بعضًا من الألم. لم يتحدثا بينهما قط عن إعاقة ولدهما، ولم يكن هذا مهمًا؛ حيث سرى الاقتناع بعاهة الابن بين أفراد الأسرة بنفس السرعة التى تنتقل بها الأفكار عبر الصمت.

وصل أيضًا الخبر الحزين، المنقول عبر هذا الصمت البليغ من فرد إلى آخر، إلى صاحب الشأن، والذى انتهى إلى تكوين مفهوم حقير عن نفسه. كان أحيانًا يتأمل وجهه عندما يكون وحيدًا فى الحمام، فتؤكد له الجغرافية الوجهية ما يشى به اهتمام والديه المبالغ به وإفراطهما فى تقبيله، أنه متخلف، كما تشى هذه النظرة الكئيبة، وهاتان الشفتان المتهدلتان، والذقن التى تبدو مسرعة للانسحاب فى اتجاه الرقبة، كما لو كانت تخشى من منافسة الأنف، مركز جاذبية الوجه.

لم يواجه بيسنته أولجادومشقة كبيرة فى تقبل عجزه، ربما لأنه أدرك مبكرًا جداً مزايا هذا العجز؛ حيث يُطلب منه أقل من الآخرين، كما يتلقى رعاية أفضل، ولا يؤخذ رأيه بين زملائه عندما يتعلق الأمر بحل قضايا معقدة أو اتخاذ قرارات تتضمن بعض الخطر. عاش، إذن، على حافة يتأمل من فوقها عالمًا من مسئوليات لا تخصه، ولكنه يستفيد منها فى الغالب.

ومع ذلك فقد أغرم بالحكمة، رغم أنه لم يفهم جيداً ماذا يمكن أن تكون . فبالنسبة له كانت الحكمة مجسّدة فى أحد معلمى المدرسة المعروف بالطيبة الشديدة. كان هذا المدرس قسيسا، يرتدى نظارة ضخمة، وله لحية تغطى فكه السفلى وكل ذقنه. كما كان يقرأ دائمًا فى كتاب، أو على الأقل، يحمله تحت إبطه، ويشى مظهره بالتوهان، كما لو كان يراقب العالم من مكان مميز. أعجب بيسنته بشخصيته، أخذ يحلم به ويتخيل أن ذقنيهما متشابهتان.

بعد أن أتم عامه التاسع بقليل، خضع فى المدرسة لفحص طبى روتينى فاكتشفوا أن إحدى عينيه كسلانة. تنهد بيسنته بارتياح عندما سمع التشخيص: كان من الجائز أن يعرفوا أنه كله كسلان، ورغم ذلك، فقد اختزلوا هذه الصفة لتصبح فى إحدى عينيه فقط. كان واضحا أنهم لم يفحصوه جيداً. على أية حال، لم يؤنبوه لذلك: على العكس، تفهموا الموضوع على أنه عجز آخر وضاعفوا رعايتهم وحزنهم الذى كان بالفعل يشعر بهما من قبل.

أفضل شيء أنهم نصحوه بتغطية العين السليمة ليرغموا الكسلانة على الشغل، واستعانوا لتحقيق ذلك بذراعى نظارة قديمة حتى لا يضعوا قطعة القماش مباشرة على وجه الصغير.

وفى اللحظة التى رأى -أو الأفضل، أحس- فيها بيسنته بالهواء وهو يندفع من خلال العدسة الخالية للنظارة ليرتطم بوجهه، زاد توحده مع أستاذه الحكيم. كانت ما تنقصه فقط هى لحية يدارى بها التردد، الذى توحى به ذقنه، كى يصل إلى مرتبة الحكماء. يمكن القول إن هذه النظارة المحرومة من الزجاج جعلته، بدون أية مقدمات، ذكيًا. بدأ يهوى الكتب، ورغم صعوبة القراءة بعين كسلانة، أخذ يلتهم صفحات أى شيء مجلد يقع فى يده.

لوحظت نتائج نشاطه الجديد على الفور فى المدرسة، فبعد أن كان الأخير دائمًا بين زملائه فى الفصل، أصبح الأول فى كل امتحان. لم يستطع أحد أن يحل غموض هذا التغير الملحوظ، فهم بالتأكيد، لم يجرؤا على نسبته إلى تغطية العين السليمة: كان ضربًا من الجنون التفكير أنه يمكن الرؤية أفضل بعين واحدة كسلانة عن اثنتين. أما بالنسبة لأولجانو فقد أرجع سر قدراته المستحدثة إلى النظارة. كان يرى أن النظارة تحوى طاقة ما سمحت له برؤية وحفظ أشياء لم يكن يستوعبها سلفًا. إلى جانب هذه القدرات ذات الصبغة العقلية، ازدهرت فيه أيضًا عدة فضائل أخلاقية. أصبح عطوفًا مثل الأستاذ الملتحى، وبدلاً من الغرور بسبب تميزه، سعى إلى مشاركة الجميع فى ذلك.

بدأت العين الكسلانة فى التحسن بفضل المجهود الذى تتعرض له. وفى الفحص الطبى الثالث، بعد مرور خمسة أشهر على بداية العلاج، رأى الطبيب وقف العلاج، حيث أبدت العين نشاطًا تحسد عليه، انتزعوا قطعة القماش ومعها النظارة. حاول بيسنته أن يشرح لهم أن تحسنه يرجع إلى هذا الإطار، ولكن بما أنه أضحى ذكيًا أدرك أنها رواية لا تصدق، فتراجع عن عزمه فى الحال.

غرقت حياته من جديد فى الضباب الذى كان يتخبط فيه من قبل. لم يعد يفهم شيئًا وفقد ولعه بالكتب. وتحول ثانية إلى عبيط بالتدريج بدون أن يعرف أحد سر ذلك. عندما وصل إلى درجة غبائه السابقة، اصطحبه والداه إلى طبيب عطوف ليتحدث معه ويحل هذا اللغز. حكى له بيسنته روايته عن النظارة، ولم تفلح هذه الرواية إلا فى إثبات أن هذا الصبى عبيط لا محالة.

صورة فوتوغرافية مزعجة

تزوجت فى الخامسة والأربعين من امرأة فى الخامسة والعشرين. وبقيت حتى ذلك الوقت أعزب، بسبب الكسل وليس بدافع آخر. كان المضى فى علاقة عاطفية يبدو لى دومًا أمرًا معقداً جداً، خاصة عندما ندخل المرحلة التى تتطلب المزج بين الحب والمسائل العملية. اسمى بيسنته وهى ميلاجروس. تعرفنا فى بار، ينقضى عام هذه الأيام، ومن ساعتها لا نفترق.لا أريد القول إنه خلال هذه المدة بقينا معًا طوال الوقت، ولكننا لم نكن نصبر على أى فراق مهما كان قصيراً. فبالنسبة لى، الابتعاد عن ميلاجروس كبتر عضو، كما لو كنا جزأين ينتميان للمكان ذاته، ولذا لا نشعر أننا مكتملان إلا حين نجتمع سوياً. بدون شك، هذا هو الحب.

لم تعرف أنى قلق قليلا، لأننى لم أبح لها. حيث كنا سعيدين فى تلك الأيام ولم أرد تكديرها بأفكارى المهووسة. وحدث أننا قررنا الزواج سريعًا، فلم يمر أحد منا حتى ذلك الوقت بحكاية عاطفية تستحق الاهتمام، حتى أننا بمجرد أن تذوقنا الحب، خفنا من العودة للعيش وحيدين، لذا قررنا تجهيز الأوراق للوقوف فى المحكمة بأسرع وقت. فكرنا أنه من الأفضل أن أنتقل إلى بيتها، لأنه أوسع ويقع فى حى أرقى

من منزلي. والحقيقة أنني كنت أعيش في شقة رديئة التهوية اتفقنا على بيعها لمواجهة النفقات الأولى لحياتنا المشتركة. ومن ناحية أخرى، وبما أنني رجل متقشف جداً، لم أكن أملك أغراضًا أو قطع أثاث ذات ذكريات عزيزة، بعكس ميلاجروس. لدى فقط ساعة يد ورثتها عن أبى وعدة تذكارات صغيرة من أمى. يسع صندوق أحذية كل أغراضى الحميمة.

كانت ميلاجروس تهوى الأشياء القديمة والأثاث. بيتها، الذى أصبح بيتنا، كان يغص بأغراض ذات معنى، وأشياء يمكن أن تقص من خلالها فصول حياتها. تقوم بذلك كثيراً. أحب أن أصغى إليها وهى تلمس إناء، أو مفرش سفرة، أو ملعقة شارحة لى قيمتها. تحتفظ بشهادات المدرسة، والصور الفوتوغرافية لنهاية كل سنة دراسية، ومسبحة فضية أهداها لها قريب عندما تناولت القربان المقدس لأول مرة. عندما دخلنا بيتها بعد الزواج، عرضت علىّ كل أغراضها المقدسة لتجعل منى هكذا شريكًا فى أسرارها. ومن بين هذه المقتنيات، كان يوجد إطار فضى بداخله صورة فوتوغرافية لطفلة فى الرابعة أو الخامسة جالسة فوق ركبة واحد من الملوك المجوس، الملك الأسود. اسمه بالتاسار على ما أعتقد. حكت لى أنها تذكار لليلة أخذها فيها والدها لمتجر كبير لرؤية الملوك المجوس للمرة الأولى. أقعدها هذا الملك الطيب على رجليه وهمس فى أذنيها بأشياء حلوة جداً، حتى أنها وقعت فى غرامه. وأصبحت الصورة من ساعتها تشغل مكانًا خاصًا فى حياتها. وهى الآن تضعها فوق التليفزيون، بطريقة تجعل رؤيتها حتمية.

حاولت أن أجعل ميلاجروس تبوح لى بما قاله الملك المجوسى، ولكنها رفضت وهى تضحك وتومئ بإشارات غامضة ورأيت أنه من الأفضل عدم الإلحاح. على كل حال سببت لى هذه الصورة ضيقًا مبهمًا ازداد مع مرور الأيام. لم أتأخر كثيرًا فى اكتشاف السبب: هذا البالتاسار المتنكر هو أنا. بالفعل عندما كنت فى حوالى الخامسة والعشرين، وكانت ميلاجروس فى الرابعة أو الخامسة. عملت لفترة مؤقتة فى محل تجارى كبير، حيث قمت، من بين عدة أعمال، بتمثيل الملك المجوسى. كان ذلك لليلة واحدة فقط، لأحل مكان الشخص الذى يقوم عادة بهذا العمل، ونسيتها تمامًا. ومن جهة أخرى، جعلنى التنكر واللحية وهذه الصبغة السوداء التى دهنوا بها وجهى غير معروف، حتى لنفسى. كما أنى من هذا النوع من الأشخاص الذين عندما يشيخون يتغيرون كلية، ولم يعد يجمع بين الشاب ذى الخامسة والعشرين وهذا الرجل الناضج ذى الخامسة والأربعين الذى تحولت إليه سوى قليل من الملامح المشتركة.

حيّرنى هذا الاكتشاف المفترض. كان يبدو مستحيلاً أن يتصرف القدر بهذه المهارة، وأن ينسج من خيوط الزمن حبكة بهذه الدقة، مؤامرة يجب أن تتم فيها آلاف المصادفات حتى نلتقى أنا وهذه الطفلة بعد عشرين سنة مرة أخرى لنقع فى الحب. كنت أنهض فى الليل، وميلاجروس نائمة، وأذهب لأتأمل الصورة لكى أتحقق أنه أنا. ساورنى الشك أحيانًا، فالشواهد غير كافية للتأكد. وقد التقطت الصورة، من ناحية أخرى، فى المستوى الأول، ولا يظهر أى جزء من المبنى يمكن أن

أتبين بواسطته أنه ينتمى، على الأقل، لهذا المحل التجارى الكبير حيث عملت. أخذت المسألة تسيطر عليَّ. كنت أتأمل الصورة ونحن نشاهد التليفزيون وأحاول التكهن إذا كان قدرى مكتوبًا فيها. ضغطت على ميلاجروس مرتين لتحكى لى ما قاله لها الملك المجوسى، ولكنها رفضت، كما لو أن هذا الشخص قد أسمعها إلى جانب العبارات التى تقال عادة للأطفال، بذاءة ما.

انتهيت فى تخيلاتى إلى التفكير أنه ربما تتبعتنى وراقبتنى ميلاجروس منذ ذلك اليوم البعيد، حتى تتمكن فى النهاية فى لحظة مكر من غوايتى فى ذلك البار حيث تعرفنا منذ سنة. لم أتوصل لشىء، ولكن كانت حالتى تسوء فى كل مرة تنادينى ب"مليكى"، وهى لفظة تستخدمها مراراً. الآن جمعت صوراً شتى من أيام شبابى وأتفحصها خلال الليل لأتكهن من أية واحدة منها كيف ستكون شيخوختى، وهرمى، وموتى. ربما كانت حقيقة أن القدر ليس مكتوبًا، كما هو شائع، وإنما مصور ومحفوظ فى صندوق الأحذية حيث أحتفظ أيضًا بساعة يد أبى وبعض الأشياء الصغيرة عن أمى.

الباب السرى

يتحمل بيسنته أولجادو احتقارات الحياة لحد ما لأنه لا يقضى وقتًا أطول مما يجب فى عالم الواقع. يلج هذا العالم كل صباح عندما يعبر باب المكتب حيث يتكسب دخله، ويخرج منه مع انتهاء العمل. هذا لا يعنى أنه يستقر فى عالم الواقع طوال ساعات العمل، فمن المؤكد أنه أحيانًا، على سبيل المثال، يثبت نظرته على شق فى الحائط، ويتخيل أنه حشرة مدرعة تتلصص حول حواف شق بحثًا عن مدخل لنفق. وأحيانًا أخرى، وبينما يتناول زملاؤه ساندوتش الظهيرة، كان يمسك بعدسة ويفحص بها أركان أية ورقة، مما يضخم أجزاء الورقة التى يستحيل اكتشاف خواصها بواسطة النظر المجرد، وفوقها ينتظر أولجادو أن يجد آجلاً أو عاجلاً رسالة تهم الإنسانية.

كان كثيراً ما يتخيل بعد خروجه من المكتب أنه مراقب من أعوان رئيسه فى العمل، فيتحول طريق الإياب إلى مأزق يخرج منه دائمًا معافى، لأنه كان من النادر ألا يستطيع تضليل مراقبه بمحطتى مترو أو ثلاثة قبل الوصول إلى محطته.لم يكن يفتح باب شقته قط قبل التأكد أن قطعة الورق التى لصقها قبل خروجه لم تمس.

بمجرد دخوله الشقة، كان يتناول أربعة أو خمسة من علب الزبادى المنزوعة القشدة مع رغيف عيش، ويذهب إلى غرفة النوم حاملاً كيساً من الفستق لتخيل حكايات. كان يهوى، فى الغالب، أن يتخيل رئيسه، مراقبه، وهو يحتضر نتيجة مرض خطير ويذهب لزيارته بنفسه فى المستشفى ليتابع عملية تدهوره. ولكن عندما تطول الحكاية أكثر مما يجب يشعر بالذنب وتفسد ليلته. ولهذا أخذ يفضل تخيل أشياء أخرى بينما يلتهم الفستق، الذى يجفف حلقه ، وهو ممدد على الفراش.

كانت للحكاية التى يفضلها أساسًا ملموسًا على الحائط أمام الفراش. فهناك يوحى سلك الكهرباء بشكل باب، يتمثله أولجادو كمدخل سرى لهذه الأماكن التى ينشئها خياله. يغلق عينيه، وينهض فى مخيلته، متجهاً إلى الباب السرى، يدفعه فينفتح على شارع ضيق فى هونج كونج أو على شاطئ الكاريبى أو على متحف علوم، فى بلد غير محدد، حيث توجد الغوريلات، والتماسيح والحشرات المحنطة. كان هو مدير المتحف على أية حال، وله مكتب فى الدور الأول يحضر إليه العلماء المهتمين بتصنيفاته للأنواع من جميع أنحاء العالم. ولسبب ما، كان اليابانيون يفوقون بقية الجنسيات، مما أجبر بيسنته على بذل جهد أكبر كى لا يطارده رئيسه، حتى فى حكاياته الخيالية ،فهو يشبه هذه السلالة . كان يقضى أمسيات عديدة فى المتحف، وكان فى البداية لا يتعدى صالة وحجرة مكتب، ولكن مع مرور الوقت تكاثرت الصالات حتى أصبح ضرورياً التعاقد مع مساعد شخصى وتعيين مدير فرعى لإدارة شئون المتحف التجارية.

عندما يضجر بيسنته من البقاء داخل أية حكاية متخيلة، يعود من نفس طريق الذهاب حتى الباب السرى المفضى إلى غرفة نومه. يفتحه ويصل إلى السرير، ويلتقى بجسده المحاط بقشور الفستق.

قام يومًا بعمل التجربة التالية: تخيل أن الباب السرى فى غرفته يفتح على نفس الغرفة بمعنى أنه يصل من خلاله إلى نفس المكان الذى جاء منه، مع تغيير طفيف يجعل محتويات الغرفة الحقيقية التى على اليسار، على اليمين فى الغرفة المتخيلة، لأن العلاقة بين الغرفتين انعكاسية. تقدم فى الغرفة ورأى أن كل شىء يتماثل، ولكنه فى نفس الوقت مختلف بمعنى أن الأغراض أصبحت ذات بروز خاص وصلابة تفتقدهما فى الجانب الآخر. خرج من غرفته إلى الممر، وهناك أيضًا انتابه شعور بأن الممر كما هو، ولكن يميزه شىء جديد هو أنه يشع طاقة حولت تجواله إلى مغامرة شيقة. نزل بيسنته إلى البوابة وخرج إلى الشارع: كان لعالم الواقع كثافة معتمة ومثيرة. كان مجرد النظر إلى العابرين يثير جميع حواسه، كما لو كان يتطلع إلى قرية نمل من وراء زجاج يتيح له التطلع إلى خفايا هذه الكائنات. دخل كافيتيريا وطلب قهوة مع كرواسون. أعجب بدقة صنع أدوات المائدة: تقوس الشوكة فى النقطة المضبوطة لسند إصبع السبابة، إتقان حد السكين، عبقرية وضع مقبض فى أحد جانبى فنجان القهوة فقط. بينما هو غارق فى ذلك، أعادت بعض الضوضاء الوعى بأنه ما يزال نائمًا وبدون أن يفتح عينيه، بدأ طريق الرجوع حتى الباب السرى، بيد أنه لم يجده. بعد مرور عدة لحظات من الشعور بالضيق، رفع جفنيه ورأى أنه ممدد على سرير غرفة

نومه، وأصبحت فقط الأشياء التى كانت من قبل على اليمين توجد الآن على اليسار والعكس.

فى اليوم التالى، عندما حاول رئيسه فى المكتب، أن يرتكب أول حقارة فى اليوم، تأمله بيسنته بهذا الافتتان الذى تأمل به ممر شقته وأدوات المائدة. كانت بلاهة المدير بنفس الإتقان ونفس العظمة؛ وكان مسليًا رؤية هذا الوجه اليابانى تقريبًا وهو يتفوه بترهات متقنة. كان لهذا المشهد روعة الطبيعة المتوحشة. ولكن كانت رؤية كل هذا الغباء وهو يتدفق من جسد واحد مثيرة للاشمئزاز أيضًا.

لم يعثر بيسنته ثانية على الباب ليعود إلى الجانب الآخر، ورغم ذلك كان فرحانًا جدًا فى هذا الجانب وكان معجبًا بالتخلف العقلى لمديره ولون الخريف وشكل السيارات... وأصبح مشغولاً للغاية بالإعجاب بهذه الأشياء حتى كف عن تخيل أنهم يطاردونه أو أنه يدير متحفًا للعلوم الطبيعية.

كل أذى وأنت طيبة

عندما رفع بيسنته سماعة الهاتف ليجرى مكالمة، سمع محادثة تداخلت مع خطه.

قالت المرأة :

- الجو بارد بدرجة فظيعة .

سأل :

- لم إذن لا تتحدثين من مكتبك ؟

- لا يوجد سوى هاتف واحد، على مكتب المدير،ألا تمانع أن يسمع ما نقول ؟

- لا يهمنى .

- أريد أن أراك .

ولدّت رغبة المرأة فقاعة صمت سرت عبر الخطوط لتصب فى أذن بيسنته أولجادو، وانفقأت بداخله بنفس سكون فقاعة صابون عندما تنفجر. بعد صمت، سمع بيسنته ضجيج الشارع، الذى على ما يبدو كان يتسلل من الهاتف الذى تتحدث منه المرأة، وتداخل مع إيقاع تنفس

الرجل، وهو يتنفس بصعوبة مجيبًا عليها حتى لا يفقد النغمة الحيادية التى يرغب عن طريقها فى السيطرة على الموقف.

– من الأفضل ألا نتقابل.

قال ذلك بطريقة قد تعنى العكس، بشرط أن يأتى هذا العكس بإلحاح منها، مما يحرره من الالتزام الذى تفرضه مواعدته لها.

أجابت :

– لماذا اتصلت بى إذن؟ كنت اعتدت على غيابك، الذى كان يشعرنى دائمًا بأننى أحتفظ بالنيجاتيف بدلاً من الصور الأصلية، وعندما أستسلم، تعاود الاتصال بى. تفعل ذلك دائمًا.

– لم أتصل بك، تركت رسالة على "الأنسرماشين"، كأنى أبعث بطاقة معايدة، لأتمنى لك عامًا سعيدًا. بالفعل، أتمنى لك كل شىء طيب.

– الطيب، بالنسبة لى، هو أن أراك. الجو شديد البرودة هنا، كما أن هناك متلصص يرمقنى بكراهية لأفرغ من المكالمة.

– حسنًا، إذا أردت، فلننه الحديث.

– لا، فقد أشعلت سيجارة ليدرك أنى سأتحدث طويلاً.

استنتج بيسنته أولجادو أن المرأة تتحدث من كابينة. كانت الساعة العاشرة صباحًا وقد أذاعوا فى الراديو أن درجة الحرارة أقل من الصفر. حاول أن يتخيلها ملفوفة فى معطف، وكوفية حول عنقها مع قفازات صوفية ملطخة ببقع النيكوتين.

قال محاولاً الاستظراف:

- لا أناسبك.

- لم تعرف قط ما يناسبنى. بالنسبة لى عدم رؤيتك كقطع يدى، ولكن كلما أعتاد على العيش بدونها تنمو مرة أخرى.

- لهذا يجب ألا نتقابل ثانية. فأنت تنمو يدك وأنا تشتعل رغبتى لرؤيتك ثم أشعر بالندم.

- وعلام تأسف؟

- أحس أنه من النذالة أن أدفعك لعلاقة بلا أمل. لم أكن سأهتم إذا كانت مجرد مغامرة، ولكننا نعلم مدى الأذى الذى تسببه لك حكايتنا فى كل مرة.

فهم بيسنته أولجادو أن الرجل يرغب فى مضاجعة المرأة بدون أن يفرض ذلك التزامًا منه فى الأسبوع التالى. استهدفت ألاعيبه الشفهية تحديد موعد بهذه الشروط، مما يعنى تحرره من أية مسئولية للمستقبل. فمن غرفة مكتبه، بدا أنه يتحدث من مكتبه، كان يتحكم فى رغبتها كمحرك عرائس مع دميته.

- ما رأيك إذا قلت لك إنى أحب أن تؤذينى ؟ على أية حال لقد تركت لى رسالة تهنئنى بالأذى الجديد.

- ذكية جداً. ألا يزال هذا الشخص يحوم حولك؟

– بلى، يراقب الكابينة كحيوان مفترس. ويهيأ لى أنه عند خروجى سيلتهمنى على الرصيف.

– كم يتبقى معك من العملة ؟

– معى كثير جداً، فأنا أستخدم بطاقة.

تكهن بيسنته أولجادو أن الرجل متضايق بسبب هذا المتلصص، كما لو كان يتعاطف مع رغبته أكثر من تعاطفه بحاجة المرأة لرؤيته.

سأل :

– أيرتدى معطفًا ؟

– من ؟

– الشخص خارج الكابينة .

– اسمع، البرد داخل الكابينة كالخارج، كما أن فتحة التهوية بأسفل تبعث بتيار أبرد من كلامك، هل يشغلك هذا الحيوان أكثر منى؟

– تعرفين أنى أتوحد مع الأشخاص المتواجدين فى الخارج.

– أنا خارج حياتك الآن.

– ولهذا أحبك، لأنك لست بداخلها.

– كيف تطيق زوجتك إذن؟، فهى تدخل حتى المطبخ.

– لا تتحدثى عن زوجتى.

– قل لى كيف تتحملها.

– تتعلق المسألة بالتزامى الأخلاقى.

– ولا يوجد أى التزام تجاهى ؟

– لا، فأنت تمثلين جانب الحياة الخالى من الالتزامات.

– الجو بارد. متى نتقابل ؟

– بدون التزام ؟

خضعت المرأة :

– نعم، بدون التزام .

– غداً، فى نفس المكان، الساعة الرابعة .

وسألها بارتياح :

– ماذا ترين خارج الكابينة ؟

وصفت المرأة المنظر المتمدن الذى تراه من سجنها الزجاجى، وأدرك بيسنته أولجادو أنها تتكلم من الكابينة التى أمام بيته. عندئذ، أغلق السماعة، ونزل السلالم جرياً، وعبر الشارع ورأى صبية تخرج من كابينة هاتف وأنفها أحمر من البرد. اقترب منها وبدلاً من أن يسألها عن الساعة أو أن يطلب منها سيجارة قال لها:

لا تذهبى، فهو رجل حقير.



حكاية كلب لولو

ركبت سيارة أجرة فى طريقى لشراء بعض الحاجيات من وسط البلد. سرعان ما اكتشفت أن السائق يراقبنى بترصد فى المرآة الأمامية. اعتقدت أنه تعرف علىَّ، ورغم أننى لست مغروراً، فقد أعجبنى ذلك. أدعى بيسنته أولجادو، قد تكون حضرتك قد سمعت عنى أيضًا. أمتهن زراعة النباتات المنزلية وأنا خبير فى ذلك العمل. أشارك كثيراً فى بعض البرامج الإذاعية المخصصة لمفاهيم علم زراعة الحدائق وشاركت كذلك فى التليفزيون لأعطى نصائح أو أشرح أساليب هذا الفن الرفيع.

بعد التجوال قليلاً فى الشوارع باتجاه مقصدى التفت إلىّ السائق وقال :

– هناك سبب يجعلنى أعرفك.

سألت بسذاجة :

– أفندم ؟

– وجهك مألوف لى يا سيدى .

قلت بحياد حتى أترك فى نفسه أثرًا :

– حسنًا جائز أن تكون قد رأيتنى فى التليفزيون.

فى الحقيقة، كنت أفكر فى نصح السائق بوضع نباتات ظل داخل سيارته. إنها فكرة تلح على منذ بضعة شهور. التاكسى صوبة ملائمة لإقامة حدائق صغيرة. فى الغالب، يكون التابلوه الأمامى والرف الخلفى فارغين أو ممتلئين بأشياء غير مفيدة. تكفى طبقة طين مسمدة جيداً، توضع على ألواح صمّاء لتتحول عربات التاكسى إلى حدائق متجولة. يوصى بالاعتناء بالنباتات فى حالات التقلبات ذات الأصول العصبية، كالتى يعانى منها سائقو سيارات الأجرة، فهذه الحدائق، بالإضافة إلى تزيين عرباتهم، تكون علاجاً يومياً ضد أمراض المهنة وموضوعاً للحديث مع الزبائن. فى الحقيقة، كنت قد سجلت هذه الألواح كاختراع وفى انتظار ثروة من هذا المشروع فى السنوات المقبلة.

أجاب سائق التاكسى بعد تفكير استغرق لحظات:

–لا، لم يكن فى التليفزيون.

قلت :

– لا أعرف، هل حضرتك تهتم بزراعة الحدائق ؟

– أعتقد أنك قد ركبت معى من قبل.

أجبت مستاءً قليلاً :

– جائز، أستخدم التاكسى كلما أذهب إلى الإذاعة أو التليفزيون. عندى سيارة خاصة، ولكن لا أفضل القيادة داخل المدينة.

– ألم تركب حضرتك ذات يوم هذا التاكسى مع جرو بين ذراعيك ؟

أجبت غضبانًا :

– ليس عندى كلب. كما أنى أكره الحيوانات الصغيرة. أعتقد أن البيوت تصلح لزراعة النباتات، التى لا تتطلب الحركة، ولكنها تصبح غير محتملة بهذه الحيوانات التى تسمى أليفة.

نظر إلىّ السائق بعدم ثقة، كما لو كنت أكذب عليه. ثم شرح لى أن هذا الجرو تبول على فرش التاكسى ويجب على صاحبه أن يدفع تعويضًا. وبما أن من طبيعتى لوم نفسى على أمور لم أرتكبها، فقد بدا على وجهى الشعور بالذنب، وبدأ السائق، الذى أحس بذلك، يحكى بالتفصيل ماذا سيفعل مع صاحب الكلب إذا رآه مرة أخرى. كان باقى الطريق عذابًا، حتى أنى تنهدت بارتياح عندما أنزلنى أمام باب المركز التجارى الضخم لأشترى لوازم الكريسماس.

اتجهت مباشرة إلى قسم الحدائق بهدف شراء مقص صغير، كالذى يستخدم فى تشذيب زهور البونزاى. بمجرد وصولى حدث هرج بين البائعات، يتهامسن فيما بينهن مشيرات إلىّ كما لو كن قد تعرفن علىّ. قد تعرفن على بلا شك. كان طبيعيًا، بما أنهن يعملن فى قسم الحدائق، أن يهتممن ببرامج التليفزيون المختصة بهذا الموضوع، وربما قد شاهدونى فى المرات التى استضافونى كمدعو. جعلنى ذلك أشعر بتحسن بعد مرارة الفم التى سببتها واقعة سيارة الأجرة. ولهذا، فقد تلكأت قليلاً، بعد أن اخترت مقص التشذيب، لأتمتع بشعور أن يتعرف

عليك الآخرون والذى يفهمه أمثالنا ممن حققوا شهرة ما . فكرت أنه عند توجهى للدفع سيرفضون، فكيف يتقاضون ثمن هذه التفاهة من بيسنته أولجادو، خبير الحدائق بالراديو.

اقتربت أخيراً من ماكينة الدفع بثبات كبير، وطلبت أن يلفوا المقص فى ورق هدايا . كان واضحاً أن البائعة عصبية، لاحظت ذلك لأنها كانت تتحكم بالكاد فى ضحكة تميز هذه المواقف.

– هل تعرفت علىَّ ؟

أجابت :

– نعم. أين تركت جروك اليوم ؟

سألتُ بدهشة :

– أى كلب ؟

– الذى يشبه الفأر الغزير الشعر، وكنت تخفيه تحت سترتك. ولكن تعلم أنه ممنوع اصطحاب الحيوانات إلى مثل هذه الأماكن.

تحققت من أن شخصاً يشبهنى إلى حد كبير دخل منذ بضعة أيام مع جرو، وقد هرب الكلب مسبباً فوضى فى المركز التجارى، حتى ظن مرتادو المكان أنه فأر.

لأتخلص من هذه الخنقة، دخلت بعد ذلك مقهى وتكرر معى نفس الشىء. أخيراً، اضطررت للعودة إلى المنزل دون أن أنجز ما حددته مسبقاً، ففى كل الأماكن يتعرفون علىّ بأنى المختل صاحب الجرو. بعد

أن دخلت المنزل، وتوغلت حتى منتصف الردهة، اشتممت رائحة قوية لفضلات حيوان. وفى المطبخ رأيت كلبًا يتناول السجق الذى أعددته لغدائى. قذفته من النافذة فوراً . وأبلغ الجيران عنى الشرطة وظهرت صورتى فى الجرائد. وأنا موقوف الآن بعدة تهم. فبمجرد رؤيتى فى الجرائد، ظهر متضررون من جميع الأنحاء. سأضطر حتمًا إلى هجر مجال النباتات، فقد توقفوا عن استدعائى فى الراديو على أية حال.

جرس القط تيليسفورو

قبل أيام من سفرنا لقضاء الإجازة، كنت أتناول إفطارى واقفًا فى المطبخ، وسمعت زوجتى تصرخ من الردهة :

– بيسنته، هل تعلم أين القط ؟

لم أرد، رغم أنى أعلم أن السؤال موجّه إلىّ، ولكنى شعرت باستغراب هائل وأنا أصغى لاسمى. أريد أن أقول، رغم معرفتى أنى أدعى بيسنته، إلا أنها كانت معرفة نظرية لا غير، كما لو كانت معلومة يخبرنى بها شخص ما :اسمك بيسنته، ولكنها لم تنصهر بعد فى ذاكرتى ولا تمثل جزءًا من هويتى. ولنفهم هذا الاستغراب، كان على سبيل المثال، كشعورى إذا نهضت هذا الصباح وأنا لا أتعرف على قدمى اليمنى. أو حين نظرت فى المرآة اكتشفت أن أسنانى التى أصبحت بها ليست هى نفسها أسنان البارحة. بدا لى صوت كلمة بيسنته كعضو اصطناعى: هو جزء منى ويستخدم لتسألنى زوجتى إذا كنت أعرف شيئًا عن تيليسفورو، اسم قطنا، ولكنى أشعر به كعضو غريب عن جسدى، وبما أنه عضو تعويضى، كان يحدث احتكاكات فى منطقة شخصيتى التى رُكب عليها.

تكرر نفس الشيء في المكتب. ففي كل مرة يناديني فيها أحد باسمي، أشعر بانزعاج، أحسب أنه كالذي يشعر به من يستعمل رجلاً اصطناعية أو طاقم أسنان لأول مرة. كان موجعًا الاستجابة لنداء بيسنته لأنه لم تعد هناك أية علاقة بيني وبين هذا الاسم. على أية حال، تخفيت في البيت والعمل ولا أظن أن أحداً توصل خلال هذه الأيام إلى ملاحظة أن اسمي لم يعد بيسنته.

لم يظهر القط. كان أمراً غير مفهوم، لأننا نقطن الدور السادس، فإذا هرب من النافذة سيموت وهو يرتطم بالأرض. فتشنا كل خزانات وأدراج المنزل، وكذلك خزانة حقائب السفر في الممر. خشينا أن يكون الحيوان محشوراً في أحد هذه المخابئ وأن يتحلل أثناء غيابنا. ولكننا لم نجده في أي مكان. حزنت زوجتي وابني بشدة. بالنسبة لي فقد شعرت بالقليل، فرغم أني لم أكرهه، كانت علاقتي بالقط فاترة. لم أضع له طعاماً ولم أحمله إلى الطبيب البيطري يوماً. كل ما فعلته له هو حك بطنه في بعض المرات. كان يعجبه ذلك .

ما حدث أننا ذهبنا إلى الإجازة بدون القط، ولكننا كنا قد اعتدنا وجوده حتى أنني كنت أسمع أحيانًا صوت الجرس الذي كان معلقًا في رقبته. الطريف أن هذا الصوت بدا لي مألوفًا ومطمئنًا أكثر من اسمي ذاته.

بعد أيام قليلة من وجودنا على الشاطئ، نسيت زوجتي وابني القط وأضحت حياتنا طبيعية من جديد. وواصلت التخفي، كما لو أن اسمي حقيقة بيسنته، ولكن في كل مرة أجد صعوبة أكثر في احتمال هذا

العضو الاصطناعي، وقد سبب استعماله الدائم تقرحات فى مكان اتصاله ببقية العضو الأصلى من شخصيتي. كنت أنهض مبكرًا جدًا كل صباح، على خلاف عادتى، وأتريّض فى حديقة المنزل الذى استأجرناه . لم أفهم ماذا يحدث لى، وبدأ الاستغراب الذى ينتابنى تجاه اسمى يشمل مناطق أخرى من الحياة.

لم أصارح زوجتى، لأنى لم أرغب فى إضافة هم آخر، إلى جانب خسارتها للقط التى بدأت تنساها، يعكر صفو هذه الأيام التى ننتهزها للبقاء معًا وقتًا أطول من المعتاد. لتخفيف حدة الضيق الذى يلتهمنى من الداخل إلى الخارج، كنت أنزل فى أول ساعة من الصباح، قبل أن تنهض العائلة، لأجرى بطول الشاطئ. الجديد، أنى استمتعت بذلك. تعجبت زوجتى لرؤيتى بهذا النشاط، فلم أبد قط أى اهتمام بالرياضة أو العناية بالجسم. فى يوم، بعد الغذاء وأنا على وشك إشعال سيجارة كالعادة، أحسست أن التدخين، مثل اسمى، أحد الأعضاء التعويضية التى لا تنتمى إلى ذاتى الحقيقية، حتى أنى أقلعت عنه بلا جهد مما أثار دهشة عائلتى.

ما كان يحدث لى أثناء الجرى هو أننى أتخيل سماع صوت جرس القط المختفي، حتى اعتقدت أنه ربما كانت لى يد فى هذا الاختفاء، وأن الشعور بالذنب يتجلى بهذه الطريقة؛ بصوت رنين الجرس فى أعماقى.

بعد أن انتهت الإجازة ورجعنا إلى المنزل، تحققت أن دهشتى تجاه الأشياء المألوفة لى فى وقت سابق، مثل بيستنه – اسمى– قد تزايدت. أخذت أصعد فوق الخزانات والثلاجة بفضول أثار انتباه زوجتى وابنى،

وعندما أكون بمفردى فى المنزل، أسعد بالعبث فى محتويات خزانة الحقائب كما لو أنى أفتش عن شىء يخصنى، رغم جهلى ما هو. من ناحية أخرى، صاحبنى رنين الجرس إلى كل مكان، كما لو كنت أحمله فى عنقى. ويوماً، وأنا أنظم خزانة الطعام، عثرت على علبة طعام للقطط، وبدون أن أتمالك نفسى، فتحتها وأكلتها كاملة. أغرب ما فى الأمر أنى لم أتوصل بالضبط إلى معرفة ماذا يحدث لى حتى صرخت زوجتى فى يوم،عندما رأت فى التليفزيون قطاً شبيهاً بقطنا :

– تيليسفورو!

حينئذ التفت إليها وأجبت بطبيعية :

– ماذا تريدين ؟

ركبة مجروحة

رأت العرافة بيسنته أولجادو وهو يدخل، وربما لتترك فيه أثرًا إيجابيًا، خمنت برجه: "حضرتك برج الثور، أليس كذلك؟ ". تذكر بيسنته أن والده من مواليد برج الثور وفكر أنه ربما تحدث فى عالم الغيب مثل هذه التنقلات التى تتم فى أنظمة أخرى من الحياة. على أية حال، أجاب بيسنته بالنفى وشعر باستياء العرافة. سألت :

- لأى الأبراج تنتمى إذن ؟

توسل بيسنته :

- حاولى مرة أخرى، من فضلك. كان قد قضى وقتًا طويلاً حتى تغلب على مقاومته التى تمنعه من الحضور لقراءة المستقبل ولم يرد أن يفقد إيمانه بالعرافة قبل البدء.

تأملته بدقة من يحاول تثمين قطعة حلى مقلدة وأعادت الكرَّة :

- برج الحمل ؟

كذلك لم يكن حملاً ، لكنه تخوف من معارضة العرافة وتعريض نفسه لغضبها، مما يؤثر على قراءة قدره، حتى أنه أومأ بالموافقة وارتاح

عند رؤية الرضا مرسومًا على وجه الساحرة.من ناحية أخرى، كانت زوجته ابنة برج الحمل، مما أثبت نظرية التنقلات، لكن التنبوء فقط كان غير موفق قليلاً.

ثم فرشت العرافة أوراق الكوتشينة على المائدة واتخذت سمت من يفسر مجموعة رموز مرعبة. حدق بيسنته فى صورة الولد المشنوق وتأسف على مجيئه للجلسة. تصبب عرقًا باردًا نتيجة صمت العرافة ولم يتوقف ذهنه عن استباق وقوع نكبات.

قالت أخيراً بنبرة صوت لا تدع مجالاً للشك :

- تعانى من ركبتك؟.

لم يكن لبيسنته أية مشاكل مع الركبة، ولكن زوجته كانت تعانى منها. سقطت وهى طفلة من الدراجة وانغرز ذراع الفرامل فى مفصلها. أجروا لها ست عمليات وأصبحت تعانى من عرج ملحوظ وألم قاس ينشط مع تبدل الفصول.

- أرى أنك تعرضت لحادث عندما كنت صغيراً. ربما حادث دراجة ؟

أجاب بيسنته مذعنًا :

- نعم، حادث دراجة وانغرزت الفرامل هنا.

- وتؤلمك خاصة مع تغير الفصول، أليس كذلك ؟

- عندما تمطر على الأخص.

أضافت الساحرة راضية:

- حسنًا، أرى تغيرات كثيرة.

- تغيرات فى الطقس؟ سأل بيسنته مفزوعًا، فزوجته لا تطاق عندما تؤلمها ركبتها.

- تغيرات فى حياتك لم تواتك الشجاعة للقيام بها حتى الآن. أتوجس أنك ستتخذ قرارات قريبًا جدًا. أترى صورة الولد المشنوق ؟

تمتم بيسنته :

- نعم.

- هذا يعنى تغيير، تجديد، موت القديم وحياة جديدة.

- والركبة، هل سيزول الألم ؟

نظرت إليه المرأة بشفقة، كما لو كان لا يعى شيئًا. تعلن له عن مصيبة ويشغل باله بأمر الركبة. قالت :

- ألم الركبة سيكون أتفه ما سيحدث. قد يزول الألم أولاً. لا تشغل بالك، تذكرنا الندبات بالفناء فتنقذنا من بعض الأوهام. وهذا لا يهم. المهم أن هناك عزمًا يشق طريقه بداخلك وسيقلب حياتك. وها هو قد بدأ يقلبها. لا تكون الرؤية واضحة هكذا إلا فى مرات معدودة.

فتش بيسنته داخل نفسه ولم ير أى عزم يشق طريقه بين روتين حياته. كما أن حلمه هو العيش فى عالم لا يضطره إلى اتخاذ أى قرار.

يمقت الاختيار، والقرارات وعقد اتفاقات تستهلك بعض طاقته. ولهذا تأخر طويلاً فى الحضور للعرافة، لأنه لم يحسم أمره. لا يجدر بها الحديث عنه، بل عن زوجته، والتى تتماثل معه حتى هذه اللحظة وينتهى ذلك بدءًا من اليوم. بالتحديد، فهى منذ شهرين تحاول إقناعه بتبديل ستائر غرفة النوم. ربما عند عودته تكون قد غيرتها.

سأل :

– أترين تبديلاً فى ديكورات المنزل ؟

– أرى شيئًا آخر. أرى حقائب وأمتعة. ورقة الكوتشينة هذه تعنى رحلة، ولكنها قد تكون رحلة رمزية، رحلة داخلية.

يعلم بيسنته أن الأمر ليس كذلك، تريد زوجته منذ عامين، الانتقال إلى منزل جديد، وعارض هو هذه النزوة بكل المقاومة السلبية التى يقدر عليها. تثبط همته فكرة الرحيل، وطلب القروض، وتوقيع الكمبيالات. فكر أنه عند رجوعه للبيت سيشجع زوجته على تغيير ستائر كل النوافذ، وسيبدى حتى استعداده للقيام بأى تصليح– صغير– فى المطبخ ؛ أى شىء بخلاف الانتقال.

بعد أن ودَّعها، خرج يعرج بسبب الركبة حتى لا يحبط العرافة، وأدرك عند وصوله للشارع أنه لا يستطيع التخلص من العرج، وقد بدا له ذلك مسليًا. دخل المنزل وهو متأهب للنقاش مع زوجته لإجراء بعض التغييرات، ولكنها لم تكن موجودة. كان باب دولاب الملابس مفتوحًا وخاليًا من ملابسها. هام بيسنته حائرًا فى المنزل يتفقد مظاهر غيابها

وهو يجاهد لهضم الصدمة. دخل الحمام وبينما يفرّغ عضوه، رنت في رأسه كلمة لم يستطع التفوه بها: هجرتني. ثم عثر بعد ذلك على خطاب فوق الثلاجة يؤكد هجرها له وتتمنى فيه الأفضل لمستقبله.

ذهب بيسنته، وهو يعرج ما يزال، إلى الشرفة وتأمل أضواء المساء الخافتة. تعبّئ الأفق بسحب تنذر بعاصفة. ستمطر، عندئذ استيقظ ألم الركبة.



معتقدات بيسنته أولجادو

بعدما توقف بيسنته أولجادو عن الإيمان بالله، بدأ يؤمن بالحشرات. قرأ في مكان ما أنه في حالات الكوارث النووية تكون الحشرات الكائنات الوحيدة القادرة على النجاة. ومنذ ذلك الحين أخذ ينظر إليها باحترام شديد متعجبًا كيف تتمكن أشياء يسهل قتلها باليد، أو بالشبشب مقاومة إشعاعات الأفران النووية. وضع يومًا في جيب سروال متسخ يرقات حشرات، وعناكب، وفصائل عديدة من الخنافس، وأدخله الغسالة مستخدمًا برنامج مدته ساعة ونصف ودرجة حرارة ثمانين. كانت النتيجة مدهشة: نجا ثلاثون في المائة من الحشرات ورغم موت الآخرين، فقد بدوا في هيئة سليمة. لم يجسر بعد ذلك على قتل باعوضة، أو وطئ صرصار. استحق هذا النوع المنفرد بالنجاة - دوننا - إعجابه ورعايته لبضعة شهور. اشترى كتبًا وشرائط فيديو تشرح عاداتها وأطوارها ومستقبلها. ولكنه ضجر في النهاية، كما يمل كل شيء، وترك الإيمان بالحشرات.

عندئذ آمن بالفئران. قرأ في موسوعات وكتيبات أن من نصيب كل فرد في المدن أربعة أو خمسة فئران. ووفقًا لبعض المعلومات تتمتع هذه الحيوانات بقدرة عجيبة على التحول، ولهذا تتكيف سريعاً مع السموم

المخترعة لإهلاكها، مرغمة المعامل على البحث بلا هوادة فى سباق تفوز فيه القوارض حتى الآن. اكتشف أن للفئران تنظيمًا اجتماعيًا يشبه الآدميين، مع تميزها عنهم بالتكاثر بسرعة أكبر والتغذية على جثث أقرانها. إلى جانب أنها تحمل وباء الطاعون، القادر على إفناء شعوب متقدمة طبيًا فى فترة وجيزة، دون أن تتضرر. كما أن لذكائها وقسوتها طابعًا بشريًا، وتشن ، مثل الإنسان، حروبًا. وبمناسبة ذلك، عثر بيسنته أولجادو على وثيقة تحكى صراعًا طويلاً حدث فى نيويورك بين فئران الريف وفئران المدينة. فيما يبدو، توسعت نيويورك، حوالى عام ١٩٢٠، ووصلت حدودها إلى مناطق كانت ما تزال ريفية حتى ذلك الوقت، ونشبت حرب بين فئران الجانبين استمرت سنوات كثيرة وخرج منها فى النهاية فئران المدينة ظافرين، حيث كانوا مسلحين جيداً ومعتادين على تحمل الظروف الشاقة. انبهر بيسنته أولجادو بهذا العالم السفلى الذى نعيش فى منأى عنه، وينجو سكانه دوننا فى حالة وباء طاعونى يقضى على جميع قاطنى الأرض.

ولكنه ملَّ الفئران أيضًا. شرع حينئذ فى الإيمان بالأطباق الطائرة. قرأ كتبًا، وشاهد أفلامًا، واتصل بجامعات تهتم بأبحاث الفضاء، وانتهى إلى أنه المجال الذى يستهويه حقًا. كان مقتنعًا أن هناك كائنات من كواكب ومجرات أخرى تعيش بيننا جاءت لتنقذنا من أنفسنا، فهرع يتقصى بين جيرانه وأصدقاء العمل عن علامات تشى بأية خاصية فضائية. كان أقصى ما يطمح إليه فى هذه الأيام من حياته أن يتم اختياره كوسيط بين هذه الكائنات وسكان الأرض. تخيل نفسه وهو يبث

رسائل هذه الكائنات المجرّية العطوفة في الراديو، وفي التليفزيون، وفي ملاعب كرة القدم. لم ينجح في الاتصال بأي منهم.

ولكن، بدلاً من أن يفقد الحماسة هذه المرة، أخذ ينقح خططه. فكر أنه ربما يعثر على كائن فضائي، على الجانب الآخر من الخط، إذا اتصل بأرقام تليفون عشوائية، يكافئه على ليالي سهره، ويحمله أيضًا لزيارة طبق طائر. أمضى الأمسيات هكذا بجوار التليفون مؤلفًا أرقامًا ومستفهمًا من مجيبيه عمًا إذا كان يعيش في هذا المنزل كائن فضائي بالمصادفة. حرص، بطبيعة الحال، على عدم الاستعانة بأرقام عائلته أو أصدقائه، ولكن يبدو أن عقله الباطن قد خانه يومًا واتصل برقم هاتفي.

قال :

- معذرة، أريد أن أسأل فقط إذا كان يعيش في هذا البيت كائن فضائي بالمصادفة.

تعرفت على صوته في الحال وبعد بضعة ثوان من التردد قررت مساعدته. غيرت صوتي حتى لا يتعرف عليّ وقلت :

- أتتصل حضرتك من وزارة الداخلية أو من مجلس الأمن الأعلى؟

- لا ، أنا متخصص في الأطباق الطائرة وأرغب في الاتصال بكائن من مجرة أخرى.

– تتحدث الآن مع واحد منهم. أجهل كيف عثرت عليّ. جئت من مجرة هانسل، واسمى الحركى جريتيل وأنا على الأرض فى مهمة سلمية. أتذكر الرقم الذى اتصلت به ؟

– لا، ضغطت رقماً عشوائياً، ولا أذكره الآن.

– حسناً، هذا أفضل.

سأل ملهوفاً :

– أيمكن أن نلتقى ؟

أجبت :

– لا أستطيع، فى الحقيقة، أنا صرصار. رغم أننا نتواجد نحن الكائنات الفضائية هنا منذ وقت طويل، ولكننا لم نكتسب بعد هيئة البشر، نتجسد حالياً فى أشكال الحشرات ومحظور علينا الاتصال مع الآدميين إلا بعد أن تصبح لنا هيئات أسمى. وأود أن أبلغك قبل أن أتركك بأن تتعامل مع الحشرات بطريقة أفضل مما يفعله باقى جنسك.

أغلقت الخط. وهكذا عاد بيسنته أولجادو إلى الإيمان بالحشرات، وخصص لها نصيباً كبيراً من حياته. حتى أبلغ عنه الجيران لأن شقته غصت بالصراصير، والذباب، والدبابير، والعناكب، وثاقب الأذن... إلخ. وعندئذ وصلت فرقة من البلدية وأبادت كل الحشرات فتملك بيسنته الجنون.

لا يستطيع التفكير فى أمر آخر

لم يفارق هذا المشهد الخيالى رأسه : كان يرى ردهة واسعة بها مقاعد من القطيفة ومرايا مقوسة الإطارات على الحوائط. كانت هناك سيدتان تجلسان حول مائدة وتتحدثان معه، بينما يرقد على أريكة قريبة. كانت السيدتان مختلفتين للغاية حتى قد تكونان مكملتين لبعضهما. كان بيسنته يرى المشهد بوضوح، ولكن لا يقدر على سماع ما تقولانه. كانت حكاية خيالية بلا صوت؛ تُفتح الشفاه وتُغلق لتنشئ موضوعًا غير مرئى يدور بين الثلاثة ويثير ضحكات خرساء وغضب مكتوم. كان بيسنته يتأمل المشهد كما لو كان يحدث وراء زجاج حوض سمك.

كان واثقًا أن العلاقة بينه وبين هاتين السيدتين يحكمها الجنس. الطريف أو ربما المزعج، أن هذه العلاقة لا تتطور، كما لو كانت ديباجة أبدية. تخيل كتابًا بمقدمة لانهائية يتحتم قراءتها للوصول إلى مادة الكتاب الأساسية. الضمان الوحيد لقارئ هذا الكتاب أنه لن يعود مطلقًا إلى نقطة البداية. فكر أنه ربما كان كل شىء فى الحياة مقدمة، خطبة أولية، ديباجة، ولكن عندئذ ماذا تكون مادة الحياة ؟

لم يكترث بتفسير هذه القضايا ذات الطابع الفلسفي، فقد كان يحاول التلهي بها لينسى ذلك المشهد. ولكن بعد أن بدأ التأمل بقليل مرت أمامه كلمة أعادته إلى الردهة المتخيلة حيث يتحدث مع السيدتين. كل شيء ينتهي هنا، كما في حالة الإنسان العاشق الذي يجد صورة من يحبه في كل مكان. الفارق هو أن المحب يعيش على ذلك، بينما يشعر بيسنته بأن هذا المشهد يقتله.

كان يومًا واقفًا في الأتوبيس، قابضًا على الحلقة، وغارقًا في تأمل فيلمه الداخلي، قرر أن يحرك الشخصيات ليرى إذا كان هناك جديد. تخيل أنه هجر الأريكة حيث كان راقداً وترك السيدتين تتحدثان،ولكن تلاشى الباب في الجدار قبل وصوله ولم ير أولجادو أمامه سوى الحائط. كانت السيدتان تتأملان، من مكانهما، خيبة أمله وتضحكان بمكر. عندئذ توجه بيسنته في خياله إلى باب آخر، ولكن كانت كل الأبواب تختفي في اللحظة التي يصل إليها. حاول كذلك مع النوافذ وحدث نفس الشيء، عندما يرجع إلى الأريكة فقط يعود النظام الهندسي لعهده. فشرط أن تتمتع الردهة بنوافذ وأبواب هو ألا يطل منها أحد .

بينما هو في ذلك، انتهت إليه من عالم الواقع صرخة كانت تدوي منذ فترة . فتح عينيه ورأى سائق الأتوبيس يكرر له أنهم في نهاية الخط. نظر بيسنته حوله ورأى أنه لم يبق أي راكب. نزل وهو مذهول وبدأ يمشي على غير هدى باديًا عليه الانشغال . ضايقه احتمال أن تزداد عملية الامتصاص هذه، ولكن سرعان ما نسي هذا الاحتمال، حيث عاد وهو يسير إلى الردهة المتخيلة التي يتحدث فيها مع سيدتين

خياليتين. كان يعبر الشوارع وهو يعير السيارات والمارة اهتمامًا أتوماتيكيًا ، كما لو أن هناك قائدًا آليًا آخر يوجه جسده.

هنا، وضعت إحدى السيدتين ساقها فوق الأخرى، وارتفعت جونلتها لما فوق الجزء المعلن من الأفخاذ. اعتقد بيسنته أنه ربما تكون المقدمة الكلامية قد انتهت وأسرع خطواته بدون وعى مهتاجًا من هذا الخاطر. مع ذلك، استقر المشهد سريعًا، وفقدت هذه الحركة مغزاها. حاول التفكير فى أمر آخر وليتمكن من ذلك لجأ إلى عد خطواته، ودندنة ألحان معروفة ، وتلاوة نصوص محفوظة من أيام الطفولة. لم يجد ذلك، عادت صورة الغرفة تسيطر عليه كما لو كانت محور الوجود. أدرك بيسنته بغتة المعنى الوحشى لعدم القدرة على التفكير فى أمر آخر . التفكير فى شيء واحد فقط يعنى أننا محبوسون فى سجن قضبانه، بدلاً من أن نكون فى الخارج ، فى الداخل، وهذا لا يجعلها أقل فاعلية. لم يستغرق تفكيره هذا أكثر من خمس عشرة ثانية، واستدعته الحكاية الخيالية ثانية.

تعثرت قدمه، فجأة ، فى حفرة وأعاده ذلك للواقع.نظر حوله واكتشف أنه لا يدرى أين هو . على أية حال ، هو فى شارع مجهول، خال من علامات الإيضاح التى قد تسمح له حتى بتخمين المنطقة التى يتواجد بها. دخل مقهى بنية السؤال، ولكن قبل وصوله إلى البار رأى على جدار فى اليمين مرآة تشبه إحدى مرايا حكايته مع السيدتين. انتبه إلى أن المقهى صورة مطابقة للردهة المتخيلة. وبالفعل ، كانت هنا أيضًا،

فى العمق سيدتان تتحدثان. طلب أولجادو فنجان قهوة وذهب ليجلس على مقربة منهما ليتنصت على كلامهما.

قالت إحداهما:

– لا أستطيع التفكير فى أمر آخر .

أجابت الأخرى :

– ولا أنا، أظل أقلب الموضوع فى رأسى منذ استيقاظى حتى وقت النوم. سأجن.

أرهف بيسنته السمع، ولكن بدا عليهما ملاحظة فضوله، وبعد أن ابتسما بمكر، أخفضا نبرة صوتهما، حتى لم يعد يصل إليه سوى همهمات. ترك، محرجًا ،بعض العملات على البار، ونهض ليرحل. عندما وصل إلى الباب، ذاب الباب فى الجدار وأدرك بيسنته أنه حبيس.

كيف تفوز فى الحياة

كان بيسنتبه أولجادو ساذجًا. رأى يومًا كتابًا عنوانه كيف تفوز فى الحياة، فكر فى الحال أنه تكفى فقط قراءته ليحقق النجاح. اشتراه، وقرأه ولم يفهم شيئًا. لم تكن فكرته عن النجاح، رغم أنها فكرة مجردة قليلاً، على صلة كبيرة بما أطلع على هذه الصفحات. لم يعِ، خاصة، ما علاقة النجاح بالريجيم، حيث أفردت فصول عدة من الكتاب لهذا الموضوع. ومع ذلك، كان هناك ما شد انتباهه: كان ذلك فى الفصل العاشر، الذى يروى عبقرية بعض الأشخاص فى جمع الأموال: يحكى عن رجل نشر فى الجرائد الإعلان التالى:" إذا أردت أن تصبح ثرياً خلال خمسة عشر يومًا، أرسل خمسين دولاراً إلى صندوق بريد كذا". كان من الواضح أن الرجل قد استقبل آلاف الخطابات التى رد عليها بهذه العبارة القصيرة: افعل مثلى.

يذكر الكتاب أن هذا الشخص قد تمت محاكمته بلا طائل، لأنه برهن على ثرائه بالفعل خلال أسبوعين بهذه الطريقة البسيطة. أخذ بيسنته أولجادو يقلب الأمر فى رأسه لعدة أيام. لم يكن أبداً الثراء من بين طموحاته. ولكن أدهشته بساطة الوسيلة التى تمكّن المرء من تحقيق ذلك. إلى جانب أنه يهوى الخطابات، والإعلانات، والتليفونات، وكل

ما يساهم فى إقامة علاقات بين البشر عامة. تابع بحماس فى فترة من حياته باب المراسلة فى مجلة غير دورية وراسل أشخاصًا فى استراليا من هواة جمع الطوابع، ومراقبة الطيور، وتفسير الأحلام، والاهتمام بالنباتات.

كان يعانى هذا الشتاء من الإفلاس، لأنه مارس على حين غرة هواية اقتناء "الأنتيكات" وأنفق عليها نقوداً تزيد عما وفره فى الأعوام الأخيرة. لذا قرر أن يجرب حظه على الطريقة الأمريكية ونشر فى الجريدة المحلية، فى باب الإعلانات المدفوعة بالكلمة، هذا النداء" إذا أردت أن تحقق ثروة فى خمسة عشر يوماً، أرسل خمسة آلاف بيزيته إلى العنوان الآتى". وضع عنوان منزله الخاص، لأنه لم يكن يعرف ما هو صندوق البريد. واختار من الجريدتين الصادرتين فى بلدته الجريدة الأقل توزيعًا لقلة تكلفة الإعلان بها. استقر الإعلان فى باب الاسترخاء بين صالات التدليك والعاهرات اللاتى يعرضن خدماتهن للمنازل والفنادق. باختصار، لم يأخذ بيسنته فى اعتباره الفروق بين نيويورك والبلدة الصغيرة التى يسكنها، أو بين النيويورك تايمز والمطبوعة المتخصصة فى نشر أخبار المدينة.

كانت النتيجة أنه تلقى ستة خطابات من ظرفاء يستفسرون عن حجم عضوه وأوضاع الجنس الشاذة التى يفضلها، وخطاباً واحداً يحوى خمسة آلاف بيزيته مع رجاء عاجل بموافاته بالسبيل لاقتناء الثروة. شعر بيسنته بالتعاسة لبضعة أيام، لأنه لم يعرف بماذا يجيب الرجل المسكين. كما عذبه شعور بالذنب، فربما يكون قد استولى على

هذه الخمسة آلاف بيزيته من شخص في أشد الحاجة إليها. ولم يستطع، من ناحية أخرى، أن يرد عليه بأن يقلده، لأنه من الواضح أنه سيظل فقيراً كما هو.

عندما أصبح شعوره بالذنب غير محتمل، قرر أن يذهب ليرى الساذج الذى بعث النقود ليعيدها طالباً سماحه. كان الرجل يقطن منزلاً متهالكاً في الضواحي، ويدير دكاناً للخردوات يقع بجوار سوبر ماركت ضخم. حين دخل الدكان، سقطت روحه في قدمه، وهو ينحني لينتشلها، رأى الأرضية مشققة وزاخرة بحشرات من جميع الأحجام.

سأل رجلاً يقف خلف منضدة البيع:

-" هل أنت السيد فيليب جاكسون ؟"

-" نعم أنا" أجاب الرجل.

-" اسمي بيسنته أولجادو وأنا ناشر إعلان كيف تصبح غنياً."

-" أخيراً- أجاب الرجل وهو يخرج من خلف المنضدة- أنا أنتظرك منذ أسبوع. انظر إلى حالي. من وقت أن شيدوا السوبر ماركت المجاور وأنا لا أبيع حتى زراً واحداً. أخبرني، من فضلك، كيف يمكن أن أصبح ثرياً خلال خمسة عشر يوماً.

لم توات بيسنته الشجاعة ليعترف له بفشل الخطة، بالرغم من نجاحها في أمريكا. فأخذ يشرح له أنه من العسير أن يصير غنياً في أسبانيا خلال خمسة عشر يوماً إذا لم يكن ثرياً بالفعل. وأن هناك خطأ

مطبعيًا فى الإعلان، فقد كان موجهًا لأصحاب الملايين، ولكن سقطت هذه المعلومة سهوًا.

لم يستوعب صاحب الدكان تبريرات بيسنته ولم يقبل كذلك الخمسة آلاف بيزيته التى حاول بيسنته إرجاعها إليه. كان يرغب فقط أن يصير غنيًا، حتى لو استغرق ذلك أكثر من خمسة عشر يومًا. أحس بيسنته أنه لا يجرؤ على إحباطه ووعده بدراسة أمره. عمل دراسة جدوى لإمكان تحويل دكان الخردوات إلى حضانة لرعاية أطفال المترددين على السوبر ماركت للتسوق. كان كل شىء على ما يرام حتى عيّن بيسنته، المهووس بنجاحه، نفسه مديرًا للمكان. وبدأ يضع الأطفال فى صناديق ليستوعب المكان أكبر عدد، حتى أنه كان يعيدهم إلى ذويهم مختنقين أحيانًا. أُغلقت الحضانة، لعدم مطابقة المواصفات، ولكن بيسنته بقى بداخلها. وطيلة هذه الأيام، أكثر الأيام سوادًا فى حياته، تذكر بحنين وقت أن كان يكتب على بطاقة التعارف الخاصة به: مستشار للشركات وخبير فى دراسات الجدوى للفنادق والمنازل.

رحلة إلى البنكرياس

تلقيت في فترة ما دعوات لحضور بعض الندوات التى تنظمها واحدة من هذه الطوائف العديدة التى أخذت فى الانتشار، مثل فطريات عيش الغراب، نتيجة زوال الاحتفاء بالأديان الرسمية. تساءلت كيف توصلوا إلى عنوانى إلى أن تفجرت فضيحة تهريب المعلومات. قررت الذهاب إلى واحدة من الندوات يدفعنى نوع من الفضول المرضى. عندما وصلت، كانت الجلسة قد بدأت. جلست برصانة فى أحد الصفوف الخلفية واستمعت إلى الخطيب؛ وكان ينتقد بخشونة هؤلاء الأشخاص الذين يستنزفون نقودهم فى السفر إلى أماكن غريبة، وهم لم يكتشفوا بعد بنكرياسهم، أو قلبهم، أو أمعاءهم. ثم تحمس قائلا: "لماذا أريد الذهاب إلى أفريقيا، وأنا حتى الآن لم أتعرف على كبدى؟"

كانت الخطبة محكمة الإعداد وتجلى تأثيرها على وجوه المستمعين. قلت لنفسى من يضمن أن أمسية أفريقية تكون أمتع من مشاهدة مغص كبدى. تخيلت نفسى للحظة فى قلب هذه الغدة المضخة للصفراء وصدّقت على أن رؤية ذلك أروع من النظر إلى شلالات نياجرا. كانت المشكلة كيف أقوم بهذه الرحلة التى لا تتطلب جوازًا للسفر أو تذكرة من أى نوع.

أهدى لى الخطيب الجواب فى الحال. أمرنا أن نسترخى جميعًا مع أخذ شهيقين عميقين وأن نتخيل أننا نخرج من أجسادنا لبعض اللحظات ونعود للدخول من الفم أو من فتحتى الأنف، كنت أفضل الدخول من فتحتى الأنف، فقد كان يمكننى رؤية فمى بوضوح عبر المرآة، ولكنى كنت مزكومًا قليلاً، فتوقعت أنه سيكون صعبًا أن أشق طريقى عبر أغشية ملتهبة. وصلت بسهولة إلى الحنجرة، وهبطت بحرص داخل القصبة الهوائية. فوق بعض الحلقات الغضروفية، مستخدمًا إياها كدرجات سلم. وكلما توغلت فى هذا الأنبوب العضوى، أعاق الظلام الحركة. عندئذ أخرجت من جيبى مصباحًا كهربيًا وهميًا، متتبعًا إرشادات الخطيب، فظهرت أمامى إسطوانتان اتضح أنهما الشعب الهوائية. دخلت من اليمنى، المتهيجة بفعل التهاب شعبى مزمن، ووقعت فى الرئة، وهى حيز مزدحم بالفجوات والأغشية، حيث تمر تيارات هواء مندفعة. خشية أن يزيد زكامى، عدت من حيث أتيت. أثناء صعودى فوق حلقات القصبة الهوائية فقدت المصباح، الذى وقع فى تلك الأغوار العضوية بدون أية ضجة تسمح بتحديد موقعه عن طريق السمع.

تحسست فى الظلام بأمل فى العثور على أية أرض، ولكنى فشلت. أثناء ذلك، عضنى فيروس فى اليد اليمنى، وحاول فيروس آخر أن يشدنى نحو منطقة بدت، من واقع الخبط، موقع أشغال. استنتجت أننى قريب من القلب لابد. قررت، يائسًا، ألا أبحث عن المصباح، وبدأت صعودًا شاقًا فى الظلام، وبعد معوقات لا حصر لها، عدت ثانية إلى الفم. فتحت عينيى ورجعت إلى عالم الواقع. كان نبضى متسارعًا، ورغم

برودة القاعة المكيفة، كان العرق ينضح من كل مسام جسدى. كانت المغامرة شيقة بالفعل، وأشد إثارة من أية رحلة إلى قلب الغابات الأمازونية.

حين استرددت حالتى الطبيعية، نظرت حولى ورأيت باقى الحضور مايزالون مغلقى العيون ومسترخين. يستكملون فى دعة رحلتهم نحو البنكرياس، والله وحده يعلم ماذا سيفاجئهم هناك. كان الخطيب - الذى توقف عن الإنصات له، ربما لنقص خبرتى- ما ينفك عند الحلقة الخامسة من القصبة الهوائية، وكان يتحدث بصوت متأن وإيحائى. كان يرى أن الأمر كله يعتمد على قدرة التجسيد. فمن يستطيع تصور الجسم من الداخل مهتديًا بالأساليب التى تدربوا عليها فى ندوات سابقة، سوف يرى تفرعات شجرية، وشلالات من سوائل خضراء، وفوهات براكين كالتى فوق سطح القمر، ونجوم ومذنبات وكواكب، فما الجسم إلا كونًا مصغرًا. أوصاهم بالسير على مهل، والاستمتاع بمشاهدة الغدد والأحشاء والسوائل والتكوينات المتحجرة.

نصح أيضًا، أثناء هذه الرحلة بداخلنا، بالتوقف عند الأعضاء المعطوبة حتى تشفى بواسطة تقنيات التخيل. فإذا كنت تعانى من قرحة بالمعدة، يكفى أن تتوهم أن العضو المصاب سليم تمامًا ويبدأ المرض فى التعافى. واستنتجت أنه، من الطبيعى، ألا نحصل على هذه النتيجة بعد جلسة واحدة أو اثنتين، ولكن عند مواظبة الممارسة تصبح النتائج أكثر فاعلية من العمليات الجراحية كما أنها أقل تكلفة.

بعد قليل، بدأ المسافرون العودة وهم يقصون عجائب عن البنكرياس وشلالات العصارة التي يصبها في المعدة لتسهل عملية الهضم. لم يحظ الكبد بإعجابهم، بشكله غير المنتظم، رغم إجماعهم على أن جداول العصارة الصفراوية التي تخترقه تتمتع بجمال فريد. عندئذ لاحظ الخطيب أن أحد الموجودين مازال منهكًا. اقترب منه؛ وبعد فحصه، أعلن أنه قد ضل طريقه في مكان ما من الأمعاء الغليظة ولا يجد سبيلاً للخروج. شعرنا كلنا بالقلق ورحلت والخطيب يعد بأنه سيعاونه على الخروج عن طريق فتحة المستقيم.

أعاني منذ بضعة أيام من ألم حاد في الرئة اليمنى، كما لو أن شيئًا غريبًا يستقر بها. أفزعتني فكرة أن يكون المصباح، ولكني لا أرغب في الرجوع لالتقاطه، فربما أضل الطريق، مثل ذلك الرجل، واضطر إلى البقاء في هذا المكان المليء بالثغرات وتيارات الهواء.

الجسد كالسجن

سافرت مرة إلى مدينة، لا أنكر اسمها الآن، لأحاضر فى مؤتمر، وهناك أصبت بالأنفلونزا. شعرت بأعراضها فى الطائرة، عن طريق الإشارات المؤلمة التى ترسلها عضلاتى إلى المراكز العصبية. انكمشت قليلا فى مقعدى، وتلوت رُقيتين على أمل أن تزول الأعراض أو تتأجل حتى عودتى للمنزل. لم ينفع ذلك. عندما وصلت إلى الفندق الذى حجزه لى منظمو المؤتمر، كانت الحمى قد صعدت من الإليتين، وعبرت الفجوات المعدية والرئوية، واستقرت فى الجبهة. كانت الساعة الرابعة مساء، وموعد المؤتمر فى السابعة. لم أر داع للتخلف عن المؤتمر وقررت التحمل، لذا ابتلعت قرصاً مضاداً للحمى، وقرصين مسكنَين ونصف لتر ماء، واسترحت لفترة، وفى الموعد ألقيت بنفسى إلى الشارع وركبت سيارة أجرة لأنتهى من هذا الأمر فى أسرع وقت.

وأنا على المنصة والحاضرون أمامى، حفزنى شعور هاجمنى بأن المشهد ليس حقيقيًا، ولكنه كان شعوراً محفزاً. فتحت فمى وبدأت أتكلم كما لو أنى لست مسئولاً عما أتفوه به. بحثت، كعادتى، بين الجمهور عن شخص أتوجه إليه بنظراتى، وعثرت فى الصف الثالث على رجل مظهره مثير للضيق ليستقبل نظراتى. مر كل شىء بسلام، إذا تغاضينا عن آلام

أذنى، التى انتعشت فى المنحنى الأخير من خطبتى، وكذلك إصرار منظمى المؤتمر على دعوتى للعشاء بعد فراغى من المهمة. ابتلعت ثلاثة أقراص أخرى وعزمت على المواصلة كى لا أبدو قليل الذوق.

على العشاء تصادف أن يجلس بجوارى الرجل الذى كان فى الصف الثالث، ومع تقديم الطبق الثانى، كان قد حاز على كل اهتمامى. روى لى قصة عجيبة زادت من شعورى بعدم الواقعية الذى غذته الحمى والعقاقير. تبعًا لما قاله، كان جسمه مسكونًا بشخصيتين مختلفتين، ولكنها ليست حالة فصام، وإنما معايشة. كان أحدهما الذى حضر المؤتمر، ويبادلنى الكلمات، ساحرًا، اختفى منذ بضع سنوات أثناء عرض إحدى الحيل، فى نفس القاعة التى حاضرت فيها. بالتأكيد، كان يؤدى فقرة يختفى فيها من خشبة المسرح، ولأسباب أجهلها، لم يظهر ثانية. وقص لى أنه تشرد فى الشوارع لبعض الوقت، غير مرئى، على أمل حدوث معجزة تعيده إلى جسمه. ولكن انقضت الشهور دون أن تقع المعجزة. وفقًا لروايته، كان اختفاؤه فى البداية مسليًا، ولكن مع الوقت تحول تعطشه لجسد إلى حاجة ملحة. كان مؤلمًا أن يرى الأشياء ولا يستطيع أن يلمسها. حتى الأمراض، فى حالته غير المرئية هذه، أضحت مرغوبة، كان سيقبل بأى شىء بشرط أن يدخل ثانية فى جسد مرئى، وقابل للعطب، وفان.

فى تجواله كروح معذبة فى أركان هذه المدينة، مدينته، دخل ذات ليلة فى منزل موظف بريد يعانى سكرات الموت. أحاطت العائلة بالرجل المحتضر وتعبيرات الألم على وجوههم، بينما الطبيب، يائسًا، يدلك

صدره فربما يدق القلب من جديد. تأمل الرجل غير المرئى المشهد وهو يحسد الرجل المحتضر، فقد كان أى شىء أهون من غياب الجسد الذى جعله يفتقد الشعور بالألم، والمتعة، والجوع. حينئذ واتته فكرة: دخل فى فم الرجل المحتضر، ووفق أعضاء جسده غير المرئى على أعضاء الجسد الضعيف، كما لو كان يشف رسماً. فى الحال، فتح موظف البريد عينيه وأخذ شهيقًا وسط دهشة الحاضرين. فى الوقت نفسه، شعر الساحر بأحاسيس مادية. كان ذلك مدهشًا. ابتهج بشدة حتى أنه قفز من السرير، وأطلق صيحة فرح كادت أن تصيب السيدة، التى على وشك أن تحمل لقب أرملة، بسكتة قلبية.

تناول عشاءه بشراهة فى تلك الليلة، ومارس الحب مع زوجة الموظف سبع مرات. تولد عنده بعد استعادة المشاعر الجسدية، رغم أن الجسد ليس جسده، نشاطًا بلا حدود. لكن سرعان ما ظهرت المشاكل. على ما يبدو لم تغادر روح موظف البريد الجسد، وأخذت تتعافى مع مرور الأيام وتطالب روح الساحر بسلوك أكثر اعتدالاً. كانت شخصية الموظف روتينية. ينهض فى السادسة صباحًا ليمارس التمرينات الرياضية قبل الذهاب للعمل. أما الساحر فيهوى السهر ويمقت الاستيقاظ مبكرًا. كما تصادف أن الموظف نباتى، حتى أنه فى كل مرة يستولى على زمام الجسد يعرض الساحر، الذى بدأ يكره الجسد، للجوع، خاصة أنه لم يعد قادرا على الخروج منه. خلاصة القول، إن الحياة أصبحت لا تطاق، لأن الجسد يطيع أوامره فقط عندما تضعف مقاومة الآخر لمرضه أو لإصابته بالاكتئاب. اعترف لى: " الموظف مصاب

الآن بالأنفلونزا وأستطيع أن أفعل ما يحلو لى بالجسد، اللعنة كيف يستمتع جسد يلتهب بالحمى، كل ما أرغب فيه هو الراحة فى السرير " .

كان هذا أيضًا ما رغبت فيه، رغم أن روايته كانت شيقة. عندما وصلت إلى الفندق، كانت درجة حرارتى تسعة وثلاثين واجتاحتنى رغبة ملحة أن يعتنى بى أحد. لم أنم جيداً، وتقيأت العشاء فى الفجر. وحينئذ بدأت أتحسن، كما لو أنى طردت معه روحًا لا تخصنى، ولكنها عششت فى جسدى منذ زمن سحيق. كلنا نحمل فى داخلنا ساحراً وموظفًا متنافرى الأهواء. فى لحظة ما من حياتنا ينبغى أن نلقى بأحدهما إلى الشارع.

يوم عملية ماما

عصاني النوم ليلة إجراء العملية لماما، وأنا ملفوف بالملاءات، أيقظتني خبطة قوية، كما لو أن نتوءًا قد نما بداخل المرتبة بنفس حجم جسدي ويتحرك معي في نفس الوقت. بدون أن أفتح عينيّ، استمتعت برهة بهذا الإحساس الغريب إلى أن صار مزعجًا، حينئذ نهضت متضايقًا وانسحب الورم إلى العمق. شعرت بالعطش، وخفت من الذهاب إلى المطبخ، فعدت إلى الرقود وحاولت التفكير في أشياء لطيفة حتى أسترخي وأنام. كل ما طرأ لي، يكون لطيفًا في البداية ثم يحاط بأشياء تبطل هذا الانطباع الأول. تخيلت بكمثال، نفسي جالسًا على أريكة بجانب امرأة أعشقها دون أن تدري. كان المشهد رائعًا، رغم أن السيدة بلا وجه (لم أتمكن قط من تذكر وجوه السيدات اللاتي يعجبنني) تعانقت أيدينا ونظرنا إلى بعضنا، بينما يتحرك أشخاص حولنا بصمت مريب يدعو إلى الهمس والنجوى. تخيلت يديها وخواتم أصابعها، كما تخيلت ديكولتيه ردائها، بلا مشقة. أما الوجه، فقد استبدلت غيابه بجهاز تعويضي خيالي، ولذا كان متيبسًا قليلاً على خلاف بقية جسدها. كان كل شيء يسير بنظام بعض الشيء عندما، بدون إرادة مني، اتسع المشهد وكانت النتيجة أننا انتقلنا إلى حجرة تأبين الميت.

ومن هذه اللحظة، جمح خيالى حول منصة النعش وتضاعف أرقى. حاولت أن أخترع روايتين خياليتين أو ثلاثة منتهيًا إلى نفس النتيجة، حتى أنى فتحت عينىّ أخيراً وتلهيت بالبحث فى العتمة عن حوائط حجرتى بدون جدوى. نهضت ورفعت الشيش ليتسرب نور فوانيس الشارع. ثم أشعلت سيجارة وتسليت بتأمل الظلال المنعكسة على السقف. كنت سأتنازل عن أى شىء فى مقابل أن يطلع النهار، ولكنها الثالثة فجراً بالكاد.

بينما أدخن السيجارة، وأنا مستلق على ظهرى، شعرت تحتى، بشىء يتحرك داخل المرتبة بحثًا عن الراحة. بقيت هادئًا، أو متصلبًا، حتى التصق النتوء بظهرى وعندئذ توقف عن الحركة. كان انطباعى أنه يماثل حجم جسدى، ويفتش، لنفسه، عن هيئة مطابقة. رفعت بهدوء ساقى اليمنى وتحركت ساق النتوء بدقة صورة منعكسة فى المرآة.

أطفأت السيجارة واستدرت محاولاً تجاهل هذا اليقين. استدار النتوء أيضًا، حتى شعرت بأنى راقد فوق بروفيل لجسد يطابق جسدى ولا يفصلنى عنه سوى نسيج المرتبة والملاءة. بدأت الهلاوس تستغرق وقتًا طويلاً. نهضت بقفزة وأنا أشعل الإضاءة ورأيت فوق السرير حركات تموجية تشبه تحركات الماء عندما يهتز شىء فى أعماقه.

قضيت بقية الليلة جالسًا على مقعد، بجوار السرير، متأملاً المرتبة بافتتان من يتأمل المحيط .لحسن الحظ، كان الرعب قد وصل إلى هذه الدرجة التى يمكن أن تُحتمل.

نمت، منهكًا، على المقعد مع طلوع الفجر حتى رن جرس التليفون بعد أن زحف الصباح قليلاً. بدت لى، على ضوء النهار، الحادثة التى مررت بها سخيفة، تحسست المرتبة، كما تمرغت فوقها، بدون أن ألحظ شيئًا غريبًا. رغم إرهاقى شعرت بخفة ورغبة فى الحياة. تناولت إفطارى بشهية وتفقدت المنزل لفرض سيطرتى عليه، مندهشًا من عدم قدرتى على الذهاب إلى المطبخ أثناء الليل.

مع ذلك كان قلق مبهم قد تفجر بداخلى. فى المكتب تصرفت بطبيعية ولم ينتبه أحد إلى شرودى، وأنى لم أعد أهتم بالأمور المألوفة. كنت فى الحقيقة مهووسًا بالنتوء، وكلما كان النهار يتوغل، كنت أتيقن أنى أخشى عدم رؤيته أو الشعور به ثانية. كنت، إذن، أسيرًا بين وجود النتوء واختفائه كما لو كنت سجينًا لرعبين متماثلين ومتنافرين. بينما كنت أتناول غدائى فى البار الواقع على الناصية عرفت فى لحظة ما أن بقية حياتى سوف تحكمها هذه الحركة المزدوجة، مثل هذه الأمور الضرورية التى تتعلق بنا. ولكنى نسيت ذلك فى الحال.

بعد الظهر، اتصلوا من المستشفى فغادرت المكتب متعجلاً: حدثت لأمى مضاعفات غير متوقعة وكانت حالتها خطرة. عندما وصلت، كانت غارقة فى غيبوبة، ولكنى أمسكت بيدها على أية حال وأخبرتها بهذه الأشياء التى لم أتفوه بها قبل ذلك بسبب الخجل على أمل أن يسمعنى جزء منها. كان وجهها نحيفًا ومتيبسًا، حتى إنى تذكرت أوهام الليلة السابقة مع السيدة التى أحبها دون أن تدرى. كان هناك بين المشهدين

توازٍ مشؤوم، وكان صعبًا، على ضوء ما يجرى، أن أدرك أيهما حقيقى أكثر من الآخر.

ماتت أمى عند الفجر ولم أفترق عنها حتى لحظة الدفن. كان أمرًا مضنيًا وبسيطًا، بطيئًا جدًا وسريعًا جدًا: أستطيع أن أتذكره بانطباعات مختلفة كما لو أنى تابعته من عدة مناظير فى آن واحد. رقدت تلك الليلة فى السرير مجهدًا بشدة ومتيقظًا جدًا. أذكر أنه عندما شرعت فى النوم حلمت بأنى أستيقظ، وأدركت النتوء وهو يرتفع من أعماق المرتبة ليتصل بجسدى شعرت بطمأنينة هائلة وضيق خانق، وفى لحظة اتصالهما، انكشفت لى ماهية الحياة.

يخرجانهما للتنزه

لماذا أبتاع كلبًا؟ حتى لا يبقى وحيداً. اعتقد ذلك فى بعض الأحيان، وأحيانًا أخرى فكر أن السبب هو التزامه بواجب يومى يغير من نظام حياته الروتينى. بدا له اضطراره لإخراج الكلب فى الصباح، قبل الذهاب للعمل، وفى المساء، قبل الاستلقاء أمام التليفزيون، فكرة جيدة. يتمشى هو أيضًا بهذه الطريقة، مكافحًا هكذا نزعة الانزواء فى المنزل.

تأمل خلال الأيام الأولى، بين اللامبالاة والاستياء، فضلات الجرو التى يخلفها على الأريكة، وعلى أرجل المائدة، وفى المتنزه. حاول تدريبه، ولكن لم يعرف كيف وتكاسل عن شراء أحد الكتب المتخصصة لترويض هذه المخلوقات، حيث حسب الوقت الذى تستغرقه قراءة الكتاب وتطبيقه ورأى أنه يمكن استغلاله فى تعلم الإنجليزية، وهو فى حاجة إليها أكثر. لم يفعل أيًا من الأمرين. على أية حال، عندما وصلت درجة تدمير المنزل إلى حد معين، توقف الكلب عن قضم أرجل المائدة ونزع حشو الوسائد، كما لو أن تذوقه لفن الديكور أصبح يفوق أى تصور.

وجد متعة فى الخروج مع الكلب للتنزه لأنه هكذا يتعرف على أشخاص يخرجون أيضاً مع كلابهم للتريض. لذا انتبه إلى وجود أفراد أخرى مثله، غريبى الأطوار ويعيشون فى وحدة أو مع رفيق سئ المعشر. وعثروا بفضل الكلاب على جماعة ينتمون إليها. دار موضوع الأحاديث دائماً حول هذا الحيوان: ماذا يأكل أو ماذا يكره من أطعمة، كيف يعبر عن عواطفه، أفضل مكان لنومه...إلخ. انخرط «بالتدريج» فى مجتمع من الاهتمامات أعادت إليه حب المخالطة الاجتماعية. المؤكد أنه فكر فى لحظة ما أنه أخطأ، وبدلاً من اقتناء كلب يمكن أن يشترى مجموعة طوابع، ويتصل بهذه الطريقة أيضاً بأشخاص يدخل معهم فى مناقشات "طوابعية"، بعيداً عن الكلام عن الحيوانات. كما تمتاز الطوابع بزيادة قيمتها مع الزمن وعدم تناول أية أطعمة.

خفت حدة هذه الشكوك عندما تعرف على سيدة تخرج هى أيضاً مع كلبها فى ساعة مبكرة فى الصباح، مثله. كانت امرأة وحيدة، ناضجة، ومرهقة قليلاً، ولكنها تتمتع بجاذبية غامضة شدته إليها فى الحال. وبينما يلهو الكلبان فى المكان الخلاء الذى يحضران إليه عادة، كانا يتحدثان فى موضوعات محايدة فى حين تفعل المشاعر فعلتها داخل وعى كل منهما. حاول فى بعض المرات أن يحيد بالمحادثة إلى موضوعات شخصية أكثر، ولكنها – بعد أن تتبادل نظرة مع كلبها – كانت تتراجع إلى الأحاديث المعتادة. كانت تعطى انطباعاً بأنها خاضعة باستمرار لمراقبة سرية، وهذا الغموض هو ما جعلها مرغوبة أكثر.

أما هو فقد تعلم، بفضل حديثه معها، أن الكلاب تحتاج، مثل الإنسان، إلى غذاء متوازن. لذا، توقف عن شراء العلب المحفوظة وأخذ يعد له الأرز واللحم، وكان هذا هو طبق الكلب المفضل. بدأ الكلب، بهذه الطريقة، ينمو باطراد، ولوحظ أن سيده يسهر الليالى يتأمل جمال شعره وحيويته المتزايدة. أصبح يعيش من أجله. اشترى له أجود ماركات "شامبو" الشعر، وفيتامينات لتقوية أظافره، وزجاجات من المياه المخلوطة بالكلور لوقاية جسمه من التقرحات، وطوقًا كان موضع حسد الكلاب الأخرى. مع ذلك، لم تتحسن العلاقة بينه وبين الكلب أو أنها اتخذت منحى يصعب فهمه. كلما اعتنى به زادت طلبات الكلب، كما لو أن طموحاته للرفاهية لا حدود لها. فإذا كان الأرز يومًا غير ناضج كما يجب، يرفض تناوله، مسببًا شعورًا بالذنب فى نفس صاحبه، الذى فى مثل هذه المواقف يفكر بحنين فى جمع الطوابع. ولكن عندما يشعر أن الحيوان يراقبه، يغير من أفكاره فى الحال، لأنه أحيانًا ينتابه شعور بأن الكلب يسمع ما يتخيله وأنه يعاقبه عليه فى وقت لاحق بطريقة أو بأخرى. اكتشف أن لدى الكلاب، مثل الإنسان، قدرة على تخزين الأحقاد. عل سبيل المثال، عندما يرجع إلى المنزل متأخرًا عن عادته، لا يستقبله الكلب على الباب، كالعادة، وإنما يختبئ أسفل السرير ويظل هناك يومًا كاملاً رافضا الخروج إلى الشارع أو تناول الطعام.

فى غضون ذلك، كان عشقه للمرأة الناضجة يزداد وكان أحيانًا يمسك بيدها أو يقرب وجهها إلى وجهه ليسر إليها بنجوى ما. كان كلبها

فى هذه الأوقات يرقد أمام هذا الثنائى رامقًا إياهما بنظـرة حاقـدة أو بإيماءة تحذير مما يعوقهما عن التواصل بحرية. وكلما تطورت علاقتهما، شعرا بمراقبة الحيوان لهما أكثر، فهو لم يعد يركض فى الخلاء كالسابق، ولكنه يقبع بجوار صاحبته كما لو كان يرصد كل كلماتها وحركاتها.

بدأ يشعر باليأس وفى يوم اقترح، بصوت منخفض، حتى لا يسمع الكلب، أن يتقابلا بمفردهما أى مساء.

أجابت بخنوع :

- لا أستطيع .

- لم ؟

- عندما أتركه بمفرده فى المنزل، يحطم كل شىء ويعوى بلا توقف. ويثور الجيران.

صمت لأن كلبها بدأ ينظر إليه، وقرر أن يطرح الموضوع ثانية فى وقت لاحق. هو الآن يكتفى برؤيتها كل صباح، مع وجود الكلبين.

فى اليوم التالى لم تحضر فى الموعد المعتاد. حين بدأ يشعر بالانزعاج، رأى كلبها آتيًا، ولكن بمفرده فى أجمل طوق لديه وهو يقول بعينيه: لقد حذرتك من أنها ترهبنى. لعب الكلبان لفترة، وقضيا حاجتيهما وفى موعد كل يوم رحل الكلب من الطريق حيث أتى.

رحل هو أيضًا مع كلبه. عندما دخلا الشقة نظرا إلى بعضهما وتنبه فى جزء من الثانية إلى أنهما لا يخرجان الكلبان للتنزه، وإنما الكلبان هما اللذان يصطحبانهما. سرت رعشة جزع فى نخاعه الشوكى حيث حدس فى الظلام أنه سجين: يتبدى ذلك فى نظرة الكلب، فى ثقته، فى همهمته عندما يأمره بوضع الطعام. لم يجرؤ حتى على الحنين لجمع الطوابع خشية أن يعاقبه الكلب بمنعه من الخروج، مثلها.



الرجل الأجوف

يعيش بيسنته وحيداً في شقة قديمة عديدة الحجرات يخترقها ممر طويل يمارس فيه المشي. يهوى هذه الرياضة، ولكنه يمقت الشوارع، والمتنزهات، والطرق، والميادين، والأسواق. أو يكره كل الأماكن التي يتواجد بها أشخاص. لهذا اقتنى دراجة ثابتة وضعها أمام مرآة الحمام. "يبدّل" ساعة يومياً في مواجهة صورته المنعكسة متخيلاً أنها لراكب آخر يسير في اتجاه مضاد وقد يصطدم به إذا حرّك البدال بقوة كافية. أعجبته فكرة الاصطدام لأن الآخر ينتمي لصنف الناس الذي يمقته، وفكر أن يقضي عليه بضربة رأس عندما تصل الدراجتان إلى درجة التقارب القصوى.

شعر في يوم، في الربع ساعة الأخير المخصص لهذا التمرين، بالآخر قريب للغاية. وخشية أن يحاول الإفلات منه، وقف على البدّال وقام بمجهود خرافي ليلحق به. في وقفته هذه، كسرت ساقه اليمنى ووقعت على الأرض محدثة فرقعة جسم صلب يصطدم ببلاطة. بقي بيسنته مصعوقًا على مقعد دراجته الثابتة. لم يشعر بألم، ولكنه كان متحيراً لأن ساقه قد كسرت كقطعة الجص، وكذلك لعدم نزف الدم من العضو المبتور.

عندما عاد إلى رشده بعد صدمة الرعب الأولى هذه، نزل من فوق الدراجة وهو يثب على ساقه اليسرى وقرّب الساق النائمة على الأرض، أمسك بها من الجورب بشيء من التوجس وجلس فوق غطاء المرحاض ليشرع فى فحصها. كانت ساقًا، بالفعل، يكسوها الشعر، إلا أنها تتميز بكونها مجوفة. وإلى جانب أنها من اللحم، ذكّر نسيجها بيسنته بالكرتون الخشن. عندما تعوّد على شكل العضو المنتمى إليه، أدخل يده حتى وصل إلى أصابع القدم دون أن يرتطم بأية عضلة، أو عظمة أو حشا، أو أى شىء يذكّره بدروس التشريح فى الثانوية. بينما هو منهمك فى ذلك، حلت الحيرة مكان ضيقه. هل من الجائز أن يكون باقى الجسد أجوف؟

نهض على ساقه ووقف أمام المرآة. فحص ما تبقى من العضو المبتور، ولاحظ فى انعكاس المرآة ثغرة تصل إلى الفخذ. كان الظلام بداخلها كثيفا مما يحيل معرفة إذا كانت محشوة أو فارغة. عاد للجلوس وهو منهك من جهد الارتكاز على ساق واحدة، وفكر لعدة ثوان وساقه الأخرى تحت ذراعه. أخيراً، بحث عن صندوق العُدة، وأخرج شريطًا عازلاً ولصق جزئى الجسم المنفصلين بعد الحادث. وكتجربة مشى فى الممر وتحقق أنه يسير بلا مشقة.

سعى خلال الأيام التالية إلى نسيان الواقعة معتبراً إياها كابوسًا. استبدل الشريط العازل، الذى يتلف كلما أخذ دشًا، بلاصق خاص واستأنف حياته العادية، فيما عدا تمرين الدراجة، التى ألقى عليها مسئولية ذلك الحلم المفزع. انتهى به الأمر، على أية حال، بأن غزاه شعور بفراغه. ولم يعد يمارس تمرينات رياضية كعادته. يقضى الآن

وقتًا طويلاً فى النافذة مراقبًا نشاط متنزه يقع تحت منزله. ينظر إلى الأطفال وإلى الأمهات وهم يقضون الأمسيات هناك ويتساءل إذا كانوا مجوفين مثله. يتناول زيتونًا أسود، بينما ينظر من النافذة ويضع نوى الزيتون فى أذنيه سامعًا إياهن منحدرات داخل جسده حتى يصلن إلى قدمه. وأصبح الكابوس، فى حالة كونه كابوسًا، مركزًا لوجوده. والطريف، أن كونه أجوف لم يعطل أيًا من وظائفه الحيوية. استأنف تناول الطعام، ومشاهدة التليفزيون، وسماع الراديو، إلى آخره. هجر رياضة المشى لأنه خاف من تعثره فى زاوية من الممر فينكسر من جديد واستمر كل شىء آخر كالعادة إذا استثنينا بعضًا من الحزن أخذ يعشش فى نفسه والذى يمكن تفسيره على أنه عدم مبالاة بالحياة.

عنّ له فى يوم، فجأة، أنه ربما يكون كل الناس مجوّفين مثله. ربما كانت الأمعاء والجهاز التنفسى والطحال والكلى مجرد اختراعات لجنس آخر يشمئز من الفراغ. عندئذ أمسك ببندقية الصيد وأخذ يطلق الرصاص على الصغار فى المتنزه. استأنف الضحايا لهوهم بمنأى عن عدوانه. ربما يتوقفون للحظة إثر الصدمة، كما لو أن هناك شيئًا غريبًا يحدث لهم، ولكنهم يستأنفون الركض فى الحال. فكر بيسنته أن الرصاصات اخترقت جلودهم بدون ألم أو نزيف وهوت إلى أعماقهم الفارغة، مثل نوى الزيتون.

أُعتقل بيسنته بعد بضعة أيام، بتهمة قتل ثمانية عشر شخصًا بسلاح آلى من نافذة منزله. كان الأطفال والسيدات يمثلون نسبة عالية من الضحايا. أصرّ فى المحاكمة أن ذلك افتراء، فهؤلاء الأطفال مجوّفون

وكل ما فعله هو أنه أحدث بهم ثقوبًا يمكن تغطيتها بشريط عازل بسهولة. اتهموه بالجنون واحتجزوه في مصحة نفسية ليحمل فراغه كما يشاء. وهناك فتح "طاقة" في ركبته وأثناء الليل يلقي فيها أقراصًا يرغمونه على تناولها وتتجمع في قدمه، مثل نوى الزيتون.

وحيث إنه حاذق جداً، فتح كذلك بابًا في صدره وعلق، حيث توجد الضلوع عند الآخرين، رفوفًا يضع فوقها كتبه المفضلة. وبما أنه ما زال يكره الناس، كان يفتح باب صدره، ويتناول رواية، ويقضي الأمسيات في القراءة. استأنف محاميه، وهو أيضًا رجل أجوف، الحكم.

وحيد إلا من موتوسيكل

في الليل، عندما يرقد بيسنته في السرير، يعانق زوجته من خصرها، يلتصق بجسدها ويتخيل أنهما فوق موتوسيكل تقوده هي. في بعض الأحيان يسيران على طرق ضيقة ومليئة بالمنحنيات، تطوق جبلاً خياليًا يصعدان نحو قمته. ومرات أخرى يضلان بسرعة مائتي كيلو متر في الساعة في طرق سريعة لا نهائية مكونة من ثماني عشرة حارة. كان يهوى في بعض الليالي أن يتخيل الموتوسيكل وهو ينزلق بنعومة، وهوادة، على طرق درجة ثالثة يحمي جوانبها شجر الحور الذي يمس السماء. فكر أنه راكب متمرس، يوازن بحركات جسده الموتوسيكل، من موقعه الخلفي، في أصعب اللحظات، وعند الحاجة لزيادة السرعة، يلتصق بظهر امرأته بطريقة تجعل جسديهما يبدوان ككتلة واحدة .

كانا على أعتاب الكهولة، ومع ذلك كانت الصورة التي يراها له ولزوجته أثناء هذه الجولات لشابين نحيفين وخفيفي الحركة ما يزالان يؤمنان بالخلود، خلودهما على الأقل. في الصباح عندما يتأمل شعره المشعث في مرآة الحمام، كان يستمتع بإرجاع فوضى شعره إلى رياح المناطق التي اجتازاها في الليل.

لا يرتديان خوذة واقية لأنه يحب أن يشعر بذيل حصانها وهو يلطم وجهه. تخلو طرقهما المتخيلة من رجال الشرطة وإشارات المرور، وكذلك لا توجد عربات أو مركبات يتنافسان معها.

اعتاد، عندما يخرج للعمل، أن يتوقف لبضعة ثوان فى الشارع ليتأمل موتوسيكل "يركنه" جار له قرب بوابته. بالإضافة إلى كونه موتوسيكل، كان يبدو كقطعة نحتية ينسجم بداخلها اللون الكرومى لأجزاء المقدمة مع الأحمر المعدنى لخزان الوقود الهائل، والعجلتان السوداوان والمقعد الجلدى. كان يتفحص أجزاءه، ويدرس خصائصه، ليجعل نزهته الليلية أكثر واقعية. أصبح هذا النشاط الليلى بمثابة عاطفة تجتاحه. وصل فى وقت إلى عدم القدرة على التفكير فى أمر آخر. لم يكن النهار سوى مجرد دهليز يصل به إلى اللحظة التى يرقد فيها فى السرير، ويحيط بخصر زوجته، ويلتصق بجسدها، وينصت، مبهوراً، إلى سيمفونية المحرك.

اشترى منامة تستدعى على نحو ما " العفريتة " السوداء التى يرتديها عادة سائقو الدراجات البخارية المحترفين، ثم اقتنى نظارة وأخفاها تحت الوسادة وكان يضعها على عينيه عندما يتأكد أن زوجته قد استغرقت فى النوم. كان يتناول عشاءه على عجل، تحثه حاجته لدخول السرير سريعًا، وكانت تزعجه رغبة زوجته فى مشاهدة التليفزيون قبل النوم. شعرت زوجته، وخاصة بعد أن اقتنى المنامة السوداء، بأن شيئًا يحدث ولكن لم تدر ما هو بالتحديد. عندما يمارسان الحب بعض الليالى ، كان يتعجل الانتهاء ليصعد فوق الموتوسيكل .

لم يكن ذلك لأنه لا يرغب فى مضاجعتها، وإنما كان يفضل أن يؤجلها إلى حين يسافران إلى أماكن تملؤها الخضرة والطيور، يشقها نهر يرتاح على ضفته من مجهود الرحلة ويتفرغ لممارسة الحب على مهله. لم يكن يهتم إلى أين يتجهان، طالما يصلان دائمًا إلى نفس المكان المتخيل، حيث تتعرى لتثيره بشهوتها، كأيام شبابهما.

عثرت زوجته يومًا على النظارة تحت الوسادة، ولكنها لم تستفهم منه عن مغزى وجودها، لأنها اعتادت تدريجيًا على نوادر بيسنته. شجعه صمت زوجته على هذه الواقعة، على أن يقلل من احتياطاته الأمنية، وهكذا فى يوم آخر، وبعد أن ارتدى المنامة السوداء والنظارة، لف حول رقبته وشاحًا يحب أن يراه يطير مع الرياح وهما يشاهدان المناظر الخلابة. كان فى منتهى السعادة.

بدأ فى التردد على محال الدراجات البخارية وتعرف هكذا على خصائص كل ماركة. تكدس منزله بكتيبات مصوّرة وملوّنة. درس أيضًا الميكانيكا، فرغم أنهما لم يعانيا أية مشاكل مع الموتوسيكل، أفزعته فكرة أن يحدث لهما عطل ما وهما فى أحد الأماكن الخربة التى يرتاداها مؤخرًا. وفجأة، أصبح احتمال عودتهما نتيجة لعطل فى الآلة هاجسًا، أفقده مع مرور الأيام الاستمتاع نهائيًا بالنزهات. والآن هو الذى يرغب فى مشاهدة التليفزيون، حتى وقت متأخر، ليؤجل الرحلة على قدر ما يستطيع. ولا ينطلقان قط قبل أن يفحص كل أجزاء المحرك.

كما بدأ يطلب من زوجته أن تبطئ من السرعة ويلومها عندما ترتكب حماقات لم تكن تفعلها من قبل. وسرعان ما قرر أن يكفا عن

المضى إلى أماكن مهجورة ليسلكا طرقًا عادية، مزودة بلافتات تحذير وكبائن تليفون يستدعيان عن طريقها النجدة عند حدوث أى عطل. وكان طبيعيًا أن يشترى خوذة لوقاية رأسه.

بعد وقت قصير، ارتكبت زوجته تهوراً أثناء القيادة، إلى جانب تغريمها، سحبوا منها رخصة القيادة.ارتاح لذلك. ومن يومها وهو ينام حالمًا بأنه عصفور يطير فوق البحار حتى الفجر.

سأحاول الأحد القادم

أشارت الترمومترات إلى ما يزيد عن أربعين درجة في الساعة الثالثة والنصف من يوم الأحد ذاك. كانت المدينة تعاني من حمى واختفى كل سكانها. ارتديت نظارة غامقة العدسات وخرجت إلى الشرفة. كان الشارع مهجوراً، إما مجنون أو يائس من يغامر بالسير في ذلك الوقت ومن الأرجح ألا يذهب بعيداً. راقبت نوافذ البنايات المجاورة، ولكنى لم أر أى شخص. فكرت أن الناس ربما يفضلون أن يقاسوا داخل منازلهم، ربما أسفل الأسرَّة أو فى البانيوهات. كان المشهد من الشرفة يبدو غير واقعى. ظهرت المدينة كمسرح خالٍ وملتهب بنور لا يطاق.

قررت أن أعيش هذه التجربة غير الواقعية بالكامل، ونزلت إلى الشارع. شرعت فى السير فى أى اتجاه مراهناً نفسى على حجم الوقت الذى سوف يمر قبل أن ألتقى بشخص آخر. بعد أن خسرت عدة رهانات، ميَّزت على بعد ظلاً يتجه نحوى. أسرعت الخطى لأعجل باللقاء وحينئذ ذاب الشبح فى طبقات البخار الجاف المتصاعدة من الأرصفة. قبل أن أفيق من تأثير هذا الاختفاء، عاد الطيف للظهور، رغم أنه لم يكن مكتملاً، أعنى أن جزءه قد ظهر أولا ثم أخذت الأطراف تنبت حوله شيئًا

فشيئًا، مثلما يحدث عند تحميض الصور. على أية حال، كان الطيف ما يزال بعيدًا جدًا، كما لو أننا – هو وأنا – لا نحرز أى تقدم فيما يتعلق بالمجهود الذى تبذله أقدامنا. أثناء عملية الاقتراب اختفى الطيف كليًا أو جزئيًا عدة مرات، كما لو أن كل الجسد، أو جزءًا منه،، يدخل ويخرج من بُعد لا مرئى صنعته موجات الحر.

كان الإسفلت لامعًا كجبهة المصابين بالحمى. تساءلت إذا كنا – أنا والطيف – مجرد هذيان سببته الحرارة المرتفعة التى تعصف بالمدينة. عندما لم يتبق سوى خمسة أمتار على لقائنا، تيقنت أنه رجل فى الأربعين. كان يرتدى سترة شتوية ومعطفًا، ولم يكن يتصبب عرقًا أو يلهث مثلى. عرفت على الفور أنه ميت وشعرت باضطراب مبهم لحظة لقائى به.

فكرت أن أعود للمنزل، وفى أثناء عودتى لم يكن هناك ولا ظل واحد على طول الطريق. رغم ذلك، إذا ابتعدت قليلاً كان يمكننى الجلوس على " دكة " تحت شجرة. فعلت ذلك، وبعد أن جلست بقليل، وفمى مفتوح لاستنشق الهواء الذى يلهب رئتىّ، رأيت سيدة ميتة مارّة. كانت ترتدى ثوبًا يشبه زى المبتدئات فى الترهب وكان وجهها عابسًا، ولكن ليس بسبب الحر. فكرت أنه ربما يختار الموتى أشد أوقات الصيف حرارة – فى حين ينشد الأحياء برودة صعبة المنال داخل منازلهم – حتى يتجولوا فى الشوارع حيث عاشوا دون مضايقة.

كان الميت الثانى طفلاً، جلس بجوارى وسألنى كيف أعرق. كان يبدو أنه يفتقد ذلك.

قلت:

- المسالة هو أنى حيّ.

- منذ متى ؟

- منذ ولدت. كم مضى من الوقت وأنت ميت ؟

- لماذا تقول إنى ميت ؟

- لأنك لا تعرق ولا تحس بالحر.

أخذ الطفل يبكي. بالتأكيد مات لتوه ولم يخبروه حتى الآن. لم أعرف كيف أتصرف وشعرت بالذنب، وفى نفس الوقت لم أقدر على مبارحة هذا الظل العقيم الذى تجلبه الشجرة حيث أجلس. حينئذ ظهر ميت آخر، طوله متران تقريبًا، أمسك بيد الطفل وحمله بعد أن رمقنى بنظرة صارمة.

لم أدر ماذا أصنع وبدأت أتذكر أشخاصًا توفّوا ويروق لى رؤيتهم مرة أخرى. تذكرت عمة لى كانت مولعة بطهى العجة، ولكنها لم تجسر قط على كسر بيضة. عاشت فى منزلنا وأنا صغير وكانت عندما تعد هذا الطبق تنادينى لأكسر البيض. على ما يبدو كانت تخشى أن تجد داخل القشرة شيئًا مختلفًا عما هو متوقع.

سألتها:

– لكن ماذا يمكن أن يخرج ؟

– لا أعرف، تخيل أسوأ شىء.

– بلح بحر كبير ؟

– أو شىء مقزز أكثر.

الطريف أني ورثت هذا الاشمئزاز. ففى كل مرة تقع بيضة فى يدى تطرأ لى هذه الأفكار المقززة فأحفظها فى النهاية فى الثلاجة وأبقى بدون طبق العجة. كما أن عمتي قد توفيت بعد تناولها " مايونيز " فاسد، والذى لم يكن سوى درسًا آخر لى، لمعرفتى بعلاقته الوثيقة بالبيض .

وأنا أفكر فى ذلك لم أنتبه إلى أننى قد توقفت عن العرق. قال لى ذلك أحد الموتى وكان قد جلس إلى جوارى.

– إنك توقفت عن العرق.

– هل أحتضر؟ سألت مفزوعًا.

– من الجائز. إذا كنت تعيش قريبًا، إبدأ فى الركض حالاً. وإذا وصلت المنزل قبل أن يتوقف العرق كلية فلن يكتمل الاحتضار. ولا تخرج ثانية إلى الشارع فى الصيف أيام الآحاد فى الساعات المخصصة للموتى.

انطلقت أجرى ووصلت إلى المنزل ولسانى خارج. بمجرد أن أغلقت الباب بدأت أعرق وشعرت بالعطش. شربت كوبى ماء وتركت نفسى أسقط فى أعتم ركن من الصالون. استمرت درجة الحرارة فى الارتفاع. سجلت ترمومترات الحرارة الموضوعة فى إليتى المدينة أكثر من خمس وأربعين درجة. عانت الشوارع من الحمى واستخدمت جسمى فى الهذيان. أظن أنى كنت أفضل الموت. سأحاول ذلك الأحد القادم.

هدية تقاعد

بمناسبة خروجه إلى المعاش، دعاه زملاؤه ومرؤسوه إلى الغداء وأهدوه قطًا. كان يكره كل أنواع الحيوانات، وخاصة القطط، ولكنه أمسكه بيديه كما لو أنه ممتن بالفعل وألقى كلمة عرفان قصيرة. حمله إلى المنزل وهو يعي أن هذا الحيوان بمثابة الانتقام الأخير لهؤلاء الذين اضطروا طيلة تلك الأعوام إلى تحمل تقلباته المزاجية واستبداده في تنفيذ سلطاته. فكر أن يتخلص منه أو يحنطه. كانت المخلوقات الوحيدة التي لا يزال يطيقها هي الحيوانات المحنطة، كان لديه، بالفعل، ثلاثة سناجب، وحجلتين وأرنب محنطة في صالون بيته. قد تبدو هذه المجموعة شؤمًا بعض الشيء، ولكنها كانت تؤلف - بالنسبة له - العائلة.

ما زاد الطين بلة، أنه بعد يومين من العيش مع القط الحي، بدأ يعطس. استنتج أن شعر الهر يسبب له حساسية ووضع خططًا عدة للتخلص منه على الفور. كانت أيسر طريقة هي أن يسرحه. قرر أن يضعه في صندوق أحذية في اليوم التالي ويلقي به خفية إلى سلة مهملات في أحد المتنزهات. حسب احتمالات نجاة القط ووجد أنها ضعيفة. لم يكن ليشغله ذلك في وقت سابق. لكنه بدأ يسبغ على الحيوان قدرة خرافية. إذا قتله، نحس؛ وإذا لم يفعل، أخطر. كان القط مستودعًا

للأحقاد التى أخذ يخزنها بحرص أثناء المنحنى الأخير من وجوده المهنى، هو رمز البغض المضمر ضده من المخلوقات الوحيدة التى تحتم عليه أن يتعامل معها. كذلك فهو قنبلة موقوتة، لأن الرموز ما تلبث أن تنفجر فى وجوهنا آجلاً أو عاجلاً.

الحياة معه تعنى، إلى جانب أشياء أخرى، الإصابة بزكام مزمن بقية حياته. عمر القط شهر والأمل فى حياة هذه المخلوقات يصل إلى اثنتى عشرة سنة. لديه خمس وستون عامًا والتهاب شعبى مزمن يهدده هذا الزكام. الأرجح أن القط هو الذى سيدفنه. لكن قتله أو هجره فى متنزه أو فى أرض خربة يعنى قتل أو هجر مصيره ذاته. كان يحس أن بداخل القط تحتشد قوى شريرة أطلقها هو بنفسه، ورأى أنه من الأسلم أن يتحكم فيها والقط تحت ناظريه.

وأما ليحد من اختلاطه بالقط، وبالتالى يخفف من الأعراض الزكامية، فقد خصص له جزءًا من البيت لا يقترب منه إلا لإطعامه أو لتغيير الرمل تحته. بيد أن هذا الانفصال لم يدم طويلاً، لأنه بدأ يحب أن يقرب القط منه أثناء الليل، وهو يشاهد التليفزيون. وسرعان ما تنبه -مفزوعًا- أن عاطفته تجاه هذا الحيوان آخذة فى النمو، بل قد تفوق، بكثير، الحب الذى يكنه للأرنب المحنط، حيوانه المفضل فى المجموعة العائلية. بدا منظرهما دراميًا وهو يحتضن القط ثم تدمع عيناه ويسيل أنفه. يمكن القول إن الحب والعَرَض قد امتزجا حيث كان مستحيلاً أن يوجد أحدهما دون الآخر.

فى ليلة أيقظه صوت الغسالة، وبما أنه لم يتذكر أنه شغلها قبل النوم، نهض مندهشًا واتجه نحو المطبخ. كانت الإسطوانة تدور بسرعة كبيرة طاردة لشيء لم يتبينه، لكنه كان يبدو كقطعة جلد. انتظر حتى توقفت، وفتح الغطاء، وأخرج ما تبقى من الأرنب المحنط. عاد إلى الفراش وهو يبكى من الزكام المزمن أكثر من فقدان الأرنب. حاول أن يتذكر ما حدث فى الليلة السابقة. من الجائز أنه بعد العشاء جلس لمشاهدة التليفزيون والقط فى حجره وكأس كبير من " الويسكى " فى يده، حتى ثمل قليلاً وقت أن دخل الفراش، ولكنه لم يصل إلى هذا الحد من فقدان الوعى الذى لا يتذكر معه إذا كان قد شغل الغسالة أم لا، وخاصة، إذا كان ألقى الأرنب بداخلها. لم يعرف النوم طريقًا إلى جفنيه وشعر بتعب شديد حتى الفجر، لأنه كان عليه أن يعترف أنه عاين مؤخراً فى النظرة الزجاجية للأرنب المحنط لومًا على العناية التى يوليها للقط الحى.

قرر أن يقلل من الخمر رغم أنه مهدئ، وليس فقط مهدئًا، وإنما مخدراً. بالفعل يخمد الكحول جميع حواسه، كما ينوِّم ضميره. لذا فى الليالى التى يدخل فيها السرير بدون إفراط فى الشراب يظل يتقلب بين الملاءات مهمومًا بحزن يبدو نابعًا من الذاكرة، ذاكرة حياة، مع أنها حياته، لا يستطيع التعرف عليها كحياة خاصة به. لم يفهم، على سبيل المثال، لماذا تنازل طواعية عن الحب والمشاعر، فى حين يستمتع الآن بالملامسة الدافئة للجسد الحى للقط. تخيل كيف يمكن أن تكون حياته وهى متخمة بالعواطف، والملامسات الجسدية، والنظرات. تساءل من

سكن جسده ليتخلى عن كل هذا، بخلافه هو الذى فى المنحنى الأخير من حياته يراه مرغوباً.

نتيجة لذلك كله دامت نواياه لهجر الخمر لمدة قصيرة. رجع إليها أقوى من قبل. ينام ثملاً بإرادته ويوقظه صوت الغسالة فى الفجر. يذهب إلى المطبخ، أنفه سائل، وباكيًا من احتقانه، ويرى من فتحة الغسالة واحداً من السناجب أو من طيور الحجل المحنّطة. بعد أن سقطت كل الحيوانات المحنطة، جاء دور القط. استيقظ يوماً، نظر فى فتحة الغسالة ورآه يلف مفتوح العينين وشعره منتصب. لم يحتمل جزء منه مقاومة كل هذا الحب. على أية حال، احتفظ حتى مماته بالزكام المزمن. العَرَض.

امرأة اللوحة

شاهدت وأنا فى الأتوبيس امرأة تحمل لوحة مزعجة الأبعاد. لم تمطر طيلة العام، بيد أن السماء أظلمت فى منتصف نهار هذه الأمسية الربيعية، ورغم مرور نصفها حتى الآن لم تسقط قطرة مطر واحدة. حركات الناس الغريبة فى الشوارع تنم عن قلق ، كما لو أنهم يشتمّون العاصفة الوشيكة. حين رأيت المرأة حاملة اللوحة، سقطت القطرات الأولى ؛لم تكن غزيرة؛ ولكنها هائلة الحجم، وتضرب المارة بقوة تدفعها رياح دافئة قادمة من أفريقيا على ما يبدو .

هبطت من الأتوبيس ؛ رغم أنها ليست محطتى المرجوة واتجهت للاختباء أسفل مظلة محل تجارى، والتى كانت أيضًا ملجأً للمرأة حاملة اللوحة. وعندئذ شقّ برقٌ عنان السماء، وكأنها إشارة البدء ، فقد اشتد المطر خلال ثوان. وكما ذكرت كان الوقت ربيعًا؛ ولكن رائحة الجو كانت خريفية؛ وكأن العاصفة ستأتى مشبعة بكآبة ونذر هذا الفصل. انعزلت مع امرأة اللوحة ، خلف ستار مائى ينحدر من مظلة المحل. أمعنت فى فحصها للتيقن مما شاهدته من نافذة الأتوبيس: من أنها امرأة غريبة الأطوار، رائعة الجمال إذا نظر إليها المرء من زاوية وهمية، أو فى حلم ، ولكنها منفرة عند النظر إليها من زاوية تقليدية. سعيت إلى الوقوف فى

زاوية تقليدية تجنبًا للتعقيدات. وكلما التقت عيناى بعينيها بدتا تحملان رسالة ما موجهة لى. لم تكن اللوحة مقواة الأركان، كغيرها من اللوحات، وإطارها رقيق قابل للتلف نتيجة أى صدمة. كافأت جرأتى تلك ومضتان من عينيها ساقتا انتباهها إلى منطقة تقع بين قلبى وفمى، وعندئذ تأكدت أن هاتين العينين لا تحملان فقط رسالة لى، وإنما تتوقف حياتى على هذه الرسالة. لحسن الحظ، تكاثف ستار المطر، مما كان سيتيح لى شعورًا بالألفة إلى جوارها لعدة دقائق. تفوهت بصوت خافت بتعليق عن حالة الطقس، تجاوبت هى معه بابتسامة فاتنة. ثم طلبت منها أن ترينى اللوحة التى كانت قد أسندتها على الجدار: كانت لوحة زيتية سوريالية ، يظهر بها دهليز تطل عليه غرفتان يتسلل منهما شعاع ضوء أبيض كاللبن، يماثل ضوء القمر، وكانت توجد فوق الجدار المرئى من الدهليز لوحة زيتية ، بينما تغرق بقية اللوحة فى تهديدات مبهمة، ناتجة عن التفصيلات الدقيقة والمبالغة للخلفية أو لإطارات الأبواب، وربما ترجع إلى المنظور الأفقى للدهليز مما كان يضفى عليه هيئة بئر سحيقة.

تودعنا بحميمية ،بعد انتهاء العاصفة، وافترقنا كل فى اتجاه مخالف. كانت رائحة الهواء طيبة وتشيع عند استنشاقها تفاؤلاً يفسر فى حالتى هذه على أنه يقين من عودتى لرؤية هذه السيدة التى يتوقف مصيرى على نظرة من عينيها .

استيقظت فى تلك الليلة عند الفجر وحلقى شديد الجفاف ، كما يحدث عندما أفرط فى التدخين أو الشراب، رفعت جسمى فى الفراش ونظرت عفويًا نحو النافذة، حيث يتسلل شعاع ضوء أبيض يماثل شعاع

الضوء في اللوحة. كان القمر بدراً. نهضت دون أن أشعل الإضاءة ، ووصلت إلى الدهليز والحيرة تتملكني: المسألة أن إدراكي للفراغ المحيط كان جديداً عليَّ، كما لو أنى أسير فوق سطح منبسط تتقاطع معه خطوط متقاربة تعطى شعوراً ببعض العمق.وصل بى التفكير إلى أنى ميت، فقد قرأت أن أحد الأشياء التى يمكن للمرء أن يتحقق عن طريقها من وفاته هو، بالتحديد، فى طريقة إدراكه للفراغ. كان بابا الغرفتين مفتوحين ويتسرب منهما ضوءاً قمرى، مما يعطى مظهراً غير واقعى. تقدمت فى اتجاه المطبخ لكى أشرب ولم يفارقنى ذلك الانطباع بأنى أتحرك فوق سطح مستو، بل إننى نفسى مسطح، كما لو كنت قد فقدت الأبعاد المميزة لأى كتلة. وعندما دخلت المطبخ، تأكدت باندهاش حقيقى أنى لست عطشاناً، لذا فقد بدأت طريق العودة. وعندئذ أدركت ما يجرى: أنى بداخل لوحة، أو بدقة أكثر، داخل اللوحة التى رأيتها هذا المساء.

وخشية أن أسقط إلى الخارج فأتحطم، هبطت حتى الإطار ومن هناك تأكدت من أن اللوحة معلقة فى غرفة نوم هائلة الأبعاد بالنسبة لى. وبينما أخذت عيناى فى الاعتياد على هذه الأبعاد ، ومن هذه الزاوية بدأت أميز بعض التفاصيل. فمثلاً، مع أن فى اللوحة كان المساء هابطًا، كان الفجر قد انبلج فى الغرفة. حينئذ اهتز السرير الكبير أسفل اللوحة ومن وسط الملاءات خرج وجه المرأة التى تعرفت عليها أثناء العاصفة. أشرت إليها كى تنقذنى من هذا الوضع، ولكنها لم تلاحظنى البتة. كانت ضخمة لدرجة أنها عندما أخذت تتحرك من مكان لآخر فى غرفة النوم

كنت أدرك فقط شظايا هندسية؛ الطريف هو أنى المحبوس داخل لوحة سوريالية، كنت أطالع الواقع على أنه لوحة تكعيبية. لم ترنى، وأعتقد أنها لن ترانى أبدًا؛ ومع ذلك فقد عثرت داخل اللوحة، محل إقامتى حاليًا، على غرفة بها أوراق وآلة كاتبة. كل يوم أسطر أوراقًا كثيرة وأدفع بها لتسقط إلى خارج اللوحة، وما يحدث أنها تكتسب أحجامًا متناهية فى الصغر، وتقوم هى بكنسها مع الأتربة. ولكن لا يهم، لأنها ساعة ما ترقد فى السرير أثناء الليل، تولد لحظة أستطيع فيها أن أراها كاملة، وهذا يكفينى لأحتمل حياة مسطحة هكذا.

رجل يتخيل كوارث

كان جسده دائمًا متأخرًا عن عقله. فإذا كان، مثلاً، يحلق ذقنه، يفكر فى القهوة، وبينما يحتسى القهوة، يتخيل نفسه فى السيارة محشوراً فى الزحام، ينصت إلى أخبار الصباح الأولى فى الراديو. ما يحدث هو أنه لا يصغى أيضًا إلى الأخبار، لأنه يبدأ فى التفكير فى المشاكل التى تنتظره فى المكتب. يجرى وراء الأحداث كالحمار وراء الجزرة، دون أن يصل إليها قط.

إذن كان جسده وفكره يشغلان حيزين جغرافيين مختلفين، وسبب له هذا الانفصال حالة قلق دائمة، كما لو أنه يطارد نفسه طوال الوقت. يتناول، فى الليل، حبوباً منومة ليخفف من هذا التوتر، وعندئذ تتقلص عضلات جسده كقطعة مطاط مرنة مهملة على مائدة. ينعس وهو يتخيل أنه مسافر فى الفضاء بدون مركبة فضائية أو بدلة أو جهاز تنفسى، ولكنه يستطيع أن يتنفس ويتغلب على انعدام الضغط بفضل كبسولات من اختراعه يتناولها مع الماء، تنفع، أيضًا بجانب السفر إلى الفضاء، عند النزول إلى أعماق المحيطات، حيث يضل أحيانًا فى الخيال قبل النوم. ثم يحلم بأنه حاز على جائزة نوبل فى الطب لاختراعه تلك

الكبسولات ويصحو وحلقه جاف وجسده ثقيل. يبتلع فى الصباح قرصاً أواثنين من الأقراص المنشطة ليقضى على أثر المهدئات الليلية.

كان مع عشيقته يومًا وشرع يفكر فى زوجته، وفهم أن مشكلته تتمثل فى وجوده دائمًا فى مكان آخر غير مكانه الحقيقى وهكذا لا يستمتع فى أى من المكانين. استنتج أنه إذا نجحت أفكاره ورأسه فى البقاء معًا فى وقت واحد، تختفى كل همومه. حاول ذلك، ولكنه لم يفلح. كان يقول لنفسه، على سبيل المثال وهو يحلق : " حسنًا، ها أنا أحلق، أقوم بذلك ولا أفعل أمرًا آخر، كما سأستمتع بهذا الأمر الآخر عندما يحين وقته ، ولكنى معجب الآن بفعل الحلاقة، وملاحظة ثنيات وجهى فى المرآة، وتحسس جلدى فى لحظة لن تتكرر، ستأتى أيام وحلاقات أخرى، ولكن لن يكون هناك مثل حلاقة هذا الصباح... ". كان ما يحدث هو أنه وراء هذه الكلمات تعبر فى مخيلته صور لا علاقة لها البتة بما يفعله فى هذه اللحظة، وإنما تتعلق بما يجب أن يفعله بقية اليوم. هكذا تبدأ ماكينة الضيق فى العمل ويختفى وجهه من المرآة، ويتخيل نفسه فى المكتب وسط أناس تدخل وتخرج وهو يحل المشاكل ويتخذ القرارات. حينئذ يهجر الحلاقة ويرتدى ملابسه على عجل، ويحتسى فنجان القهوة فى رشفة واحدة ويقود السيارة كالمختل حتى يصل إلى المكتب، وبينما يوقّع بعض الأوراق أو يتحدث فى التليفون، يفكر فى غذاء العمل أو فى العشاء مع حبيبته، حيث يذهب دائمًا منهارًا ويحلم بلحظة دخوله الفراش.

لم ينجح فى اللحاق بنفسه مهما ركض، ولكنه اعتقد أن أشخاصاً كثيرون يحيون على هذا المنوال، لذا يمكن اعتبارها وسيلة، مثل أية وسيلة أخرى، لاحتمال الوجود. ما زاد الأمر سوءاً، أنه أخذ يتخيل استباقات سلبية. لم يعد يرى نفسه - وهو يحتسى قهوته على عجل - فى السيارة منصتًا لأخبار الصباح فى الراديو، وإنما وهو يصدم طفلاً أو يرتطم بشاحنة تزن مائة طن. عندما يدخل السيارة، يتبدد هذا الرعب، وتحل محله مشاهد كوارثية أيضًا تدور فى المكتب: يدخل رئيسه ليخبره أنهم قد استغنوا عن خدماته، أو يتصلوا به هاتفيًا ليبلغوه أن إحدى الطائرات قد سقطت فوق منزله منذ برهة. بلغت درجة واقعية هذه الخيالات حداً جعل تقلصات وجهه تثير هلع من حوله. كان ذات مرة عائداً إلى منزله، بعد يوم عمل شاق، وأخذ يتخيل أنه سيفاجأ عند دخوله المنزل بزوجته وهى مضرجة فى دمائها ومقتولة فى غرفة الاستقبال، أو سيلقى الخادمة مشنوقة فى المطبخ، والأطفال وهم مخنوقين بأكياس بلاستيكية فى غرف نومهم. تصبب عرقًا من الخوف، وهو يحاول أن يفسر لنفسه هذه الفاجعة التى لا تبدر إلا عن شخص مختل . ثم رأى نفسه وهو يستدعى الشرطة ثم والشرطة تستجوبه. انتبه إلى أنه فى حالة اتهامه بارتكاب هذه الجرائم المريعة، لن يستطيع إثبات غيابه أثناء وقوع الجريمة، حيث قضى وقتًا طويلاً خارج المكتب وتناول الغداء بمفرده فى مطعم لا يعرفه فيه أحد. وصل بيته وهو شاحب من الرعب وبقى عدة دقائق واقفًا دون أن يجسر أن يفتح الباب أو يرن الجرس حتى سمع ضجة بالداخل. فى البداية فكر أنه ربما يكون صوت القاتل، الذى لم يفرغ من مهمته بعد، ولكنه سرعان ما سمع صوت أحد أبنائه

فدخل جرياً واحتضنهم جميعًا كما لو كانوا قد نجوا من كارثة لتوهم. أصابته حمى لازم على إثرها الفراش أسبوعًا، ظل يحلم أثناءه بأن أعز أصدقائه قد استولى على منصبه فى العمل.

أى أنه كان قبل ذلك يرهق نفسه فى مطاردة ذاته، ولكنه كان يهدف من هذه المطاردة العثور على السعادة، ولم يصل إليها أبداً، والآن، دون أن يتوقف أيضًا عن مطاردة نفسه، أصبح يعى أن لحظة عثوره على ذاته ستتصادف مع مصيبة محققة. لم يكن مرحاً قط، ولكن بما أنه كان يجرى دائمًا وراء ذاته، اعتقد الآخرون أنه عصبى، مفعم بالحيوية والطاقة. الآن هو محبط، وجعله الترقب المستمر لحدوث مصيبة مطرقاً، حزيناً، ومنطوياً. انتهى به الأمر مريضاً، رغم عدم معرفته ماهية هذا الداء، حيث لم يشعر بألم فى مكان معين. فحص الأطباء كل جسمه، واكتشفوا، بعد فترة، إصابته بمرض خطير. وهم يبلغونه بالحقيقة بمنتهى الحرص، قفز فى الهواء من شدة الفرح وسط دهشة الجميع. وقعت البليّة، أخيراً، وبما أنها شديدة هكذا، فهى تعنى راحة أكيدة. ولأول مرة فى حياته نجح فى اللحاق بذاته وكان سعيداً خلال الوقت القليل الذى عاشه.

المسكن المهجور

بعد مرور عامين على وفاة زوجته، هجره أولاده أيضًا، كما لو أنهم قد نضجوا فجأة. تحول المنزل، بغتةً، إلى فراغ كبير بالنسبة لتحركات شخص يعيش بمفرده. باعه وانتقل إلى شقة تسهل السيطرة على أبعادها، ويغمرها ضوء النهار من خلال شرفة زجاجية، حيث يقضى الأمسيات، مكتئبًا، يراقب الحياة، كما لو أنه حبيس فى حوض سمك.

سرعان ما انتبه إلى وجود مسكن خاو فى البناية المقابلة. كان شيش النافذة مواربًا دائمًا وتخلو الشرفة من أية قطعة أثاث. نجح فى أن يتعرف إلى حد ما على بقية سكان البناية. كان يراقبهم، من مرصده، وهم يتجولون من مكان إلى آخر داخل الشقق. لكن فقد اهتمامه بهم بعد وقت قصير، فلم تتميز عاداتهم بأى فعل جذاب أو جدير بالمراقبة. كان فعلهم روتينيًا ويمكن توقعه، كتأمل الحركة الآلية للساعة.

توقف عن التدخين فى تلك الأيام، ليس لأن الطبيب قد أوصاه بذلك، وهو ما قد حدث، وإنما لأنه بمجرد أن يجلس فى الشرفة يكسل حتى عن القيام بالحركة اللازمة للتدخين. أصبح يراقب البناية المقابلة بدون حماس ، ثم يسقط نظرته على الشارع، حيث الأحداث تتكرر، ويغرق فى

أحلام رخيصة ومستهلكة. رغم ذلك، كان، من حين لآخر، يراقب شرفة المسكن الخالى، كما لو كان ينشد مفاجأة مثيرة. كان يشعر بأنه لم يعد هناك هدف آخر لحياته سوى هذا المنزل مترقباً أن يحدث جديد.

تخيل يوماً أن شيش نافذة " المسكن المهجور "، كما بدأ يطلق عليه، قد أزيح وظهرت فى الداخل امرأة شابة فى ملابسها الداخلية. شاهدها عبر النوافذ وهى تتحرك فى الحجرات. بعد ذلك ظهرت فى الشرفة الصغيرة. كانت تمسك بمقشة وأخذت تكنس. كانت تهتز بطبيعية. راقبها بعناية فى الوقت الذى بدأ يرسم خطوط صورتها. كانت تزين ملابسها الداخلية، بلونها الأبيض، قطع من الدانتيلا. توصل إلى أنها ليست شابة تماماً، ولكنها ما زالت سيدة ناضجة تحتفظ بنحافة ومرونة فتاة فى سن المراهقة. سمح له شعرها بالكاد أن يتبين ملامح وجهها، حيث استطاع فقط أن يرسم الشفاه وطرف الأنف، وبقيت عيناها لغزاً.

أصبح يهوى هذا الحلم الذى يتكرر يوميًا مع تغييرات طفيفة. هو الآن أمر روتينى مثير، ليس فقط لأنه يسبب له هياجاً عنيفاً، وإنما تذكُّره صورتها بشىء غامض وربما قديم، شىء يتعلق بحياته، كما لو أن هناك شبحًا قديمًا يتجسد فى هذه المرأة ومعه يستطيع تصفية بعض الحسابات فى نهاية الأمر. نما الحلم مع مرور الأيام، ورغم أن الأحداث الرئيسية لم تتغير، فقد أضيفت لجسد المرأة وملابسها الداخلية تفصيلات تجعلها فى كل مرة تبدو حقيقية أكثر. ظل وجهها فقط محتجباً دائماً وراء شعرها ومحيراً وغير تام، يشع بعض الومضات.

في يوم، بعد أن جلس في الشرفة وهو مستعد لاستحضار قصته الخيالية، لاحظ تغيراً حقيقيًا في " المسكن المهجور ". بالفعل لم يكن الشيش على وضعه المعتاد وكان بداخل الشقة ظل يتحرك. بعد قليل رأى، مفزوعًا، باب الشرفة يفتح ويطل منه رجل في الخمسين، يرتدي سروالاً و"فانلة داخلية". لم يطق ذلك، وانسحب إلى داخل شقته.

تقصى عن هذا الرجل طيلة الأسبوع التالي، وتفرغ لتعقبه في كل المدينة وهو يحمل في جيبه مطواة يمتلكها من وقت أن كان متسلقًا للجبال. كان الرجل يتحرك بمواعيد غاية في الدقة ويرتاد دائمًا أماكن زاخرة بالبشر مما يجعل الهجوم عليه عسيرًا. بعد خمسة عشر يومًا من هذه المطاردة، تواجد الاثنان في مقهى، وذهب الرجل إلى الحمام. مشى خلفه إلى هناك، وغرز مديته في ظهره، في موقع القلب، وأخفى الجثة في إحدى حجرات الحمام. ثم قضى عدة أيام بدون قراءة الجرائد أو سماع الأخبار. ولم يرجع، طوال هذه المدة، إلى الجلوس في الشرفة.

في النهاية عندما تيقن من ضياع الحقيقة. اقترب يومًا من مبنى " المسكن المهجور " وتحدث مع البواب، الذي أطلعه أن هناك شقة للإيجار. أجَّرها، بطبيعة الحال، ولكنه لم يقدر على سكناها. أي أنه أرجع الشيش إلى وضعه الأول، وأوارب باب الشرفة ليبسر على قصته الخيالية المرور، وعاد إلى شرفته ليراقب الحركات البيتية للسيدة التي ترتدي دائمًا ملابس داخلية بيضاء تزينها الدانتيلا.

حاول لعدة شهور أن يرى وجهها دون أن يسمح شعرها بذلك. بدأ ينزعج جديًا من احتمال أن يموت قبل أن يعرف من هي. عبر يائسًا،

ذات مساء، الشارع، وصعد إلى " المسكن المهجور " وفحصه شبراً شبراً بحثًا عن الشبح.عندما دخل الشرفة، رأى مشهدًا محبطًا لنفسه فى الشرفة الزجاجية المواجهة. رأى نفسه جالسًا على مقعد من البامبو، ويرنو بيأس إلى هذه الشرفة حيث يقف الآن وفهم أن الحياة قد انتهت.

غادر " المسكن المهجور " وألقى بالمفتاح فى بالوعة مجارى، ثم عاد إلى شرفته. أدرك أن أيامه المتبقية معدودة وأن الوقت لن يكفى ليكتشف هوية هذه المرأة، ولكنه قد عشقها إلى حد جعله يقتنع بأنها لن تختفى قبله.

ساعى البريد يدق الباب مرتين دائمًا

دخل حجرة الفندق، وبدون أن يفرغ حقيبة السفر، استلقى على الفراش مائلاً، حتى لا يلطخ مفرش السرير بحذائه. أغلق عينيه، وحاول أن يتذكر لماذا هو مجهد إلى هذا الحد، ولكن لم ينجح فى أن يردَّه إلى سبب معين. على أية حال يسافر منذ سنوات عديدة، ورغم أنه استمتع بذلك فى البداية، يمقت الآن الفنادق، والمطاعم، والسيارات، والقطارات، وأى شىء يذكره بمهنته.

فتح عينيه، وهو على وضعه لا يزال، وألقى نظرة على الغرفة : لم تكن رائعة، فكر أن الفندق قد يكون درجة ثالثة. كانت المدينة صغيرة للغاية ولا تنتمى إلى نطاق الأماكن السياحية. لم يكن التليفزيون مزوداً بجهاز للتحكم عن بعد وبدون " بار ". كان وقت الغذاء، ولذا سيتناول أول كأس "ويسكى " فى اليوم. سيضطر إلى النزول للمطعم. تكاسل أن ينهض ويخرج، ربما لو غفا قليلاً...

عندئذ نهض والهلع مرسوم على وجهه: لا يتذكر لأى غرض قصد هذه المدينة. أمسك بدفتر مواعيده، ولكن لم يجد أى إيضاح، قدّر من حجم الحقيبة أن المدة المتوقعة للرحلة يوم أو يومان على الأكثر. ولكن

لماذا جاء؟ لم يحدث مثل هذا من قبل. حاول التركيز: ليس في هذه المدينة، لحجمها الصغير، مركز طبي كبير ويبيع هو الأجهزة الطبية؛ ولا يبدو أن المجال بها متسع للبيع، رغم احتمال أن يكون على موعد مع طبيب خاص. توجد أحيانًا في المدن الصغيرة عيادات خاصة مجهزة بوسائل أحدث من مستشفيات التأمين الصحي.

وبينما هو مستغرق في ذلك، رن جرس التليفون وأخبره شخص أنهم في انتظاره في ردهة الاستقبال. عدّل عقدة ربطة العنق وغسل وجهه وهو يجتهد من جديد لأن يتذكر ماذا يفعل في هذه المدينة بحق السماء. فكر، أخيرًا، أنه يستطيع أن يستخلص بمكر معلومات من زائريه.

كان ينتظره في ردهة الفندق رجل وامرأة في منتصف العمر، أو ربما كانا غير محددّي السن، كان كل ما بهما محايدًا بدرجة مزعجة. ابتسما وهما يصافحانه وسألاه إذا كانت رحلته مريحة وإن كان يفضل مطعمًا يقدم السمك أو اللحم للغذاء. كان يبدو أن اللقاء مرتب بعناية، حتى اطمئن إلى أنه أثناء الغذاء سيقال شيء يدير ماكينة ذاكرته.

لم يحدث ذلك، تكلم الرجل والمرأة طوال الوقت عن أمور محايدة كمظهريهما. كما أنهما بعد تناول القهوة، تظاهرا بالعجلة وأوصلاه ثانية إلى الفندق. " ربما تفضل أن تستريح قليلاً " وأخبراه أنهما سيعودان لتناول العشاء معه. استلقى ثانية مائلاً على الفراش، بحرص حتى لا يلمس مفرش السرير بحذائه، ومارس تمرينًا آخر للذاكرة دون نتيجة مجدية كالسابق. فكر أن يتصل بالمكتب أو بزوجته لكنه صرف النظر عن

هذه الفكرة لتخوفه أن تكون رحلة خاصة مستترة تحت غطاء العمل. لم يعد يفعل مثل هذه الأمور، والتى كان مولعًا بها بشدة فى وقت من حياته، ولكنه لا يستبعد أى احتمال. فى حالة عدم توفر معلومات، فإنه من الأفضل أن يظل ساكنًا.

أزاح ستار النافذة ورأى أن الغرفة تطل على زقاق ضيق فى حى قديم من المدينة . كان بإمكانه أن يلمس بيده البيوت على الرصيف المقابل. وكان يرى من موقعه إحدى الشقق من الداخل، وهى تشبه البيوت اللعبة التى تفتح من السقف لتغيير قطع الأثاث. كان المشهد كالكابوس، ولكنه يتمتع بجاذبية مَرَضية منعته من الابتعاد عن زجاج النافذة.

سمع أصواتًا عالية، قادمة من الردهة، شتت انتباهه، وارب الباب بحذر ورأى نزلاء الغرف محتشدين. سأل عما يحدث وأخبروه أن نزيل الغرفة ٤٣٤ المجاورة له قد مات.ثم شاهد جمعًا من الأشخاص يخرجون من هذه الغرفة حاملين " لفَّة " كبيرة، ربما تكون الجثة ملفوفة فى ملاءة. انسحب إلى غرفته وهو فى حالة سيئة وفى لحظة إغلاق الباب بدا له أنه تعرّف، بين الأشخاص المسكين بالملاءة، على الرجل والمرأة اللذين تناول معها الغذاء.

قضى المساء فى حجرته بالفندق مطمئنًا أنه سيتلقى مكالمة توضح له أو تذكره بأسباب إقامته فى تلك المدينة الصغيرة. لم يحدّثه أحد فى التليفون، ولم يسأل عنه أحد، ولم ينجح أيضًا فى تذكر الغرض من رحلته. أخيرًا ظهر الثنائى المحايد باحثين عنه للعشاء وتحدثا معه فى

موضوعات فقيرة كالمرة السابقة. تركاه ثانية فى الفندق، وهما يؤكدان له أن سيارة ستقله فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى إلى محطة القطار.

عاد، إذن، إلى مدينته دون أن يفهم مغزى هذه الرحلة العجيبة. لم يفسر له أحد أى شىء فى الشهور التالية، واستحوذ عليه قلق هائل. اضطر إلى العودة ليعرف ماذا حدث، رغم أن جزءًا منه قد عرف. جهّز حقيبته الصغيرة وعاد إلى تلك المدينة حيث - عرف الآن - أنه على موعد مع الموت، الذى قد أخطأ الغرفة فى المرة السابقة. عند نزوله من القطار، وجد الثنائى المحايد فى انتظاره. كانا فى عجلة من أمرهما هذه المرة ولم يدعواه على الغذاء.

رجل يخرج فى الليل

أثناء عودته ثملاً فى تلك الليلة إلى البيت فى الرابعة صباحًا، عثر فى صندوق قمامة على دمية خشبية عارية على هيئة رجل. خطرت له فكرة سخيفة وهى أن يحمله إلى البيت، وهناك أخفاه فى خزانة حقائب السفر .

فى الليلة التالية، وفى الساعة التى يخرج فيها عادة لتناول الشراب، وجهت له زوجته نظرات حانقة. ولكنه تظاهر بأنه سيمكث فى البيت هذه الليلة، فهدأت العاصفة فى الحال. شاهدا التليفزيون حتى الساعة الحادية عشرة ونصف ثم دخلا الفراش. عندما اكتسب صوت تنفسها الإيقاع المميز للنعاس، نهض فى صمت وغادر الفراش بعد أن تأكد أنها مستغرقة فى النوم وأخذ الدمية على عجل ووضعها بجانب جسد زوجته. تقلبت دون أن تستيقظ ووضعت يدها فوق خصر الدمية.

ارتدى ملابسه بدون ضجة، خرج إلى الشارع وتحقق من أن الليل على درجة من الدفء التى يتوحد معها أكثر، ربما لأنها تذكره بحرارة الليالى الأولى من شبابه. تنفس بعمق وأخذ يمشى فى اتجاه حاناته المفضلة. شعر بأنه فى حالة ممتازة، كما لو أن إحساسه بالذنب قد

اختفى نهائيًا. مع الكأس الثانى تذكّر الدمية ، ورغم شعوره بوخز من الغيرة، فكر أن وجود " قرين " له يهيئ له مزايا عدة، يكفى أنه يجنبه المشاجرات الزوجية الناجمة عن شغفه بالخروج ليلاً.

على أية حال، رجع إلى البيت حوالى الساعة الثانية والنصف، قبل موعده المعتاد بقليل. اتجه بحذر نحو غرفة النوم وتحقق أن كل شيء على ما يرام، لا تزال زوجته محتضنة الدمية. أبعد يديها عن الدمية بعناية شديدة وأخرجها من الفراش. قبل أن يضعه فى خزانة الحقائب، دخل معه الحمام وبينما يغسل وجهه أجلسه فوق غطاء المرحاض. لاحظ أن وجه بديله يشى بالرضا، والذى لم ير له أثراً حين عثر عليه فى صندوق القمامة، ولكنه عزى هذا الشعور إلى تأثير الشراب. بعد أن خبأ الدمية، رقد فى الفراش واحتضنته زوجته، غريزيًا، فى الحال.

أعدت له زوجته فى اليوم التالى إفطاراً فاخراً، كما لو أنها تكافئه على عدم خروجه فى الليلة السابقة. بما أن جولاته الليلية كانت المثير الوحيد لمناقشات تعكر صفو حياتها، فقد تحسنت الأمور بفضل الدمية. بيد أنه لم يعد يستمتع كما فى السابق. كانوا يرونه فى الحانات متوتراً وكئيباً؛ وتهرَّب منه رفاق مغامراته الليلية وصار يسكر الآن وحيداً فى أقصى منضدة من البار، مردداً أغانى الحب التعيس والغيرة. فى لحظة معينة – أو عند تناول كأس معين – يدفعه خوف مرضى للعودة جرياً إلى بيته. يفتح الباب بحذر، ويخلع حذاءه ويمشى على أصابعه حتى باب غرفة النوم، ويظل لفترة متقد الحواس ليستشعر إذا كان يحس بشىء غريب يحدث. ثم يدخل، وينزع الدمية من بين ذراعى زوجته ويأخذه إلى

الحمام. أصبح واثقًا من أن بعض التغيرات غير المرئية تظهر على وجه الدمية مع مرور الأيام. تحولً شق الفم، الذى كان يحاكى الابتسام فى الأيام الأولى، إلى ابتسامة حقيقية. فقد تحسن هذا الجسد المتصلب بوجه عام، كما لو أن جميع احتياجاته، على اختلاف طبيعتها، يتم تلبيتها بالكامل فى ذلك المنزل. بالقطع يكون ثملاً وهو يتأمل الدمية، لذا فقد يكون ذلك من وحى الخمر. عزم أن يواجهه فى ضوء النهار، ولكن لم ينل قط الشجاعة اللازمة ليفعل ذلك.

كانت الأيام تنقضى ومزاج زوجته فى تحسن ملحوظ، بينما ينحدر مزاجه نحو حزن هائل. كما بدأ يعانى اضطرابات وآلامًا لم يشعر بها من قبل. كان يدفع عن شطحاته الليلية فاتورة مجهولة فى الصباح. فكر أنه يتقدم فى العمر، ويجب أن يعتدل فى مسلكه قليلاً. جعلته هذه الأفكار أكثر حزنًا، حيث شعر بأنه يفقد الشباب والحب فى الوقت نفسه.

رجع فى ليلة ثملاً إلى المنزل، كعادته، ودخل الفراش بعد أن وضع الدمية فى خزانة الحقائب . شعر بأن الملاءات ليست على درجة الدفء المعتادة وفتش فى العتمة عن جسد زوجته ليلتحم به. ارتطم بجسم صلب. رفع يديه باحثًا عن نهديها وقبض على كرتين بدون حلمة، كما لو أنه يحتضن دمية خشبية. سرت بجسده رعشة رعب تحكم فيها سريعًا، حتى أنه لم يفتح عينيه. نام فى الحال، منهكًا من كثرة الشراب، وفى اليوم التالى، عند استيقاظه، كان كل شىء طبيعيًا.

تفاقم تدريجيًا ذلك الإحساس بأن زوجته أُستبدلت بدمية مع مرور الليالى. أخيرًا ذات صباح، عندما استيقظ، تأكد أنها لا تتحرك. ظن فى

البداية أنها ماتت لبرودة وتصلب جسدها. ولكن عندما فحصها بدقة أكثر تأكد أن لحمها قد تحول إلى نوع من المواد الصلبة التى يشبه ملمسها الورق المقوى أو النسغ الصناعى. نهض وهو يشعر بفزع خففت من حدته الحيرة الصباحية التى تميز السُكر، ارتدى ملابسه واتجه نحو خزانة الحقائب ليبحث عن دميته. وضعه بجانب جسد الزوجة وتدحرجت الدميتان نحو وسط الفراش، كما لو كانا ينشدان بعضهما. غطاهما، وخرج من المنزل، وضل بين السيارات دون أن يعرف شيئًا بعد ذلك عن هذا الرجل.

أعمال اجتماعية

أعطيت سائق سيارة الأجرة العنوان وسألني إلى أين أنا ذاهب. أخبرته. اندهش لأنه لم يكن يعرف هذا الطريق وأضاف أنه مرهق للغاية. يجلس أمام عجلة القيادة من السادسة صباحًا ولا يتركها حتى السادسة مساءً. حسبت عدد الساعات وعلقت قائلاً : اثنتا عشرة ساعة وقت طويل على الأعصاب والعمود الفقرى. صدّق على كلامى، ولذا كان يستفسر من الزبائن عن وجهتهم؛ فالشوارع تتقاطع فى رأسه وفى بعض الأحيان يريد أن يذهب إلى أحد الأماكن ويصل إلى آخر. تفهّمت ذلك لأنى سائق سيارة أجرة. مرات كثيرة، فى البيت، حين أرغب فى الذهاب إلى الحمام أظهر بالمطبخ.

– تترك " التاكسى " طبعًا فى السادسة وتقوم بعمل آخر من السابعة .

نظر إلىّ بفزع وسألنى كيف عرفت ذلك. شرحت له أنى قلته بدافع الرغبة فقط فى مواصلة الحديث، وأنه ليس غريبًا امتهان عدة وظائف فى هذا الوقت العصيب. ولكنه أصر أن هذا ليس الدافع، وأنى قد تحدثت

بثقة بالغة، وتوسل لى أن أخبره كيف خمنت. أجبت بأنى أعمل فى ثلاث وظائف ويبدو أن ذلك قد هدأ من روعه. سألته عن مهنته الأخرى.

أجاب : أدرب كلاباً.

قلت لمدحه، ولأنى أعمل فى هذا بالمصادفة ، وأحبه : يا له من عمل شيق.

شحب وجهه مرة أخرى وسألنى لماذا أراه عملاً شيقًا. حاولت أن أشرح له ونجحت فى أن يصدقنى إلى حد ما. اكتشفت، حينئذ، أننا نسير فى اتجاه مخالف لما حددته له، لكنى لم أجرؤ أن أتفوه بشىء. سيعتدل المسار إذا مشينا نحو الأمام قليلاً. خيم الصمت من جديد فى ذلك الجو الثقيل. اخترق هو الصمت هذه المرة لحسن الحظ.

قال: لا تعتقد أنى أكتفى بهذين العملين.

أجبت متصنعاً الاهتمام: حقًا؟

– فأنا أيضًا عضو فى جماعة ماريا الدينية.

شرح لى أنه عضو فى جماعة يحمل أعضاؤها كلهم أسماء رومانية.

سألت: وماذا تعملون؟

أجاب وهو ينظر حوله بريبة:

كل منا له عمل محدد. يتحدث بعض رفاقى مع بائعات الهوى. يذهبون فى فرق من عشرة أفراد إلى أحد الشوارع سيئة السمعة ويبدأ خمسة فى الصلاة بينما يتكلم الآخرون مع فتيات الليل. يُفهم من ذلك أنهم يتلون صلاتهم حتى لا تقع الأخريات فى الخطيئة. وكل نصف ساعة يتبادلون المواقع فيتحدث المصلون بينما يصلى الآخرون. حاولت أن ألخص فى جملة واحدة عمل أعضاء جماعة ماريا.

- أى أنكم تقدمون "مساعدات اجتماعية".

سأل ووجهه يوحى بشعوره بالاضطهاد ثانية:

- وكيف عرفت ذلك؟

- لقد ذكرت ذلك لتوك.

رد بشك: آه.

ثم استفهمت منه عن المدة التى يمارس فيها هذه المساعدات الاجتماعية وإذا كان يستغل عطلة نهاية الأسبوع لذلك.

قال لى بعدوانية:

- نعم أنا أقضى اثنتى عشرة ساعة يوميًا فى "التاكسى" ثم أروض الكلاب حتى التاسعة ليلاً وتستطيع أن تقول، علاوة على ذلك، إنى أقضى نهاية الأسبوع فى الكنيسة. واجبى ثمانى ساعات فى الشهر، ولكن، مثلاً، يُحسب منها هذا الوقت الذى أتحدث فيه مع سيادتك.، ولا تقل إنى هكذا لا أؤدى عملاً اجتماعياً. أريد أن أقول إننى أنظر إلى

الزبون وإذا وجدت لديه رغبة فى الاستماع أعرفه بجماعة ماريا، وأدوّن فى كراسة الوقت الذى استغرقه الحوار.

عند هذه النقطة أوضحت له أننا نسير فى الاتجاه المعاكس . شحب وجهه من الحنق:

- ستعتقد الآن أنى أحاول خداعك.

رددت بصبر:

- لكننا نخطئ جميعاً .

دس يده فى المحفظة وأخرج بطاقة مشحًّمة ناولها لى من فوق كتفه.

- كما ترى، فأنا عضو أيضًا فى جماعة " العبادة الليلية " . أذهب مرة واحدة شهريًا، وأقضى الليلة فى الصلاة. أفعل ذلك بسبب الأرق، قد تظن أنه مع ساعات عملى وعضويتى فى جماعة ماريا، لست بحاجة إلى جماعة " العبادة الليلية" ولكن ما الفرق أن أظل مستيقظًا فى مكان دون الآخر. أقول ذلك حتى ترى أنى لا أحاول تضليلك. قد يكون كلامى متناقضًا .

أثناء ذلك مر "موتوسيكل" أمامنا مما دفعه إلى أن يكبح الفرامل بقوة، وسب سائقه بكل الشتائم. ليس كل الشتائم، فقد أحصيت فى الحقيقة ثمانى عشرة سُبَّة فقط. بدأت أشعر بالخوف، وبما أنى أتكلم عندما أخاف، تكلمت:

– هل تقوم بترويض الكلاب كعمل اجتماعى؟ أى تقوم به، مثلاً، لصالح فاقدى البصر؟

– يالك من فضولى. نعم، ولذلك فقد درست فى لندن. أروّض الكلاب لتتكيف معنا، من أجل أن تسلك الحيوانات سلوكك أو سلوكى عندما تكون بين جمع من الناس. بمعنى أنه إذا طلبت من الكلب أن يلقى بالتحية يقول مساء الخير أو ليلة سعيدة.

قلت منتهزاً فرصة وقوفه فى إشارة مرور:

– سأنزل هنا. خمسمائة بيزته، أليس كذلك؟ سأل وهو ينتفض من الغضب:

– كيف عرفت؟

أجبت:

– من العداد.

هدأ هذا الجواب من روعه على ما يبدو. هبطت واتجهت نحو الكنيسة حيث اعتدنا أن نجتمع نحن أعضاء جماعة ماريا. وصلت متأخراً بعد ذلك كله، ولأنى قضيت الليل بأكمله مع جماعة " العبادة الليلية" وغلب علىَّ النعاس بعد الغذاء. بمجرد أن رآنى الكاهن اتهمنى بالرغبة فى النوم. سألته كيف عرف ذلك، ولكنه اكتفى بالابتسام فى خيلاء، سأقتله يوماً ما. يحدث لى ذلك لأنى أروِّض كلبه بلا مقابل، ويحكى، طبعاً، للقس كل حديثنا فى الدرس. يا له من عالم.

رجل يحكم العالم

كان يعيش وحيداً منذ عدة سنوات عندما بدأ الصلع يهاجمه.كانوا يقولون في المكتب إن رأسه تتصحر أو ينكشف ورقها المقوى، مثل الدمى القديمة التي تفقد شعرها الصوفي المستعار. لم يكن يرد البتة على هذه المزح لأن الإجابة الوحيدة التي كانت تخطر على باله هي القتل. كان يدرك في قرارة نفسه أن هناك سلسلة من البدائل بين القتل والصمت يمكن أن يرد بها على هذه الاعتداءات، ولكنه كان متطرفًا، ككل العزاب. عندما يسخرون من شكل جمجمته، من وراء صمته، أو من أمامه، تتوالى المشاهد التي يخرج فيها سكينًا ويغرزه بين إليتي المعتدي، أو يمسك بمسدس يصنع به ثقبًا بين حاجبيه. تولد بداخله من تجسيد الكره شحنات إضافية من الأدرينالين، والتي بعد ما يصاحبها من اضطراب، تغرقه في نوبات من القنوط الرحب.

صار الحمّام اليومي عذابًا لأنه الطقس الذي يشعر أثناءه بفقد شعيراته بطريقة ملموسة.كان يستحم مرتين يوميًا، في الصباح وفي الليل، قبل أن يدخل الفراش. كان، طبعًا، يقدر أن يتخلى عن إحداهما دون أن يخل بنظامه الصحي، والحقيقة أيضًا أنه لا يستطيع تنفيذ هذا التقليص دون أن يؤذي صحته العقلية بضراوة. كانت لديه مجموعة من

العادات الغريبة الصغيرة ولكل فعل فى حياته معنى شعائرى يطرد عنه أشباحه الذاتية. إلغاء أحد الحمامين بمثابة التوقف عن لمس الخشب عند رؤية قط أسود أو عدم تشبيك الأصابع عند سماع اسم مرض ما. وبما أنه يعجز عن الاستحمام دون أن يغسل رأسه، أصبح محكومًا عليه بحضور هذه التعرية الجمجمية، عاريًا ومبتلاً، مرتين يوميًا. إذا استمر الوضع هكذا، سيفقد جلده المشعر هذه الصفة بعد مدة قصيرة.

كان يفضل، لكونه متطرفًا، ألا يتبدى تأثير السنوات على سقوط الشعر فقط، وإنما تتوزع الخسارة بين الأطراف وأعضاء الجسم. ولذا بينما يحصى تحت الدش الشعيرات التى تتسلل إلى البالوعة، كان يتخيل أن ذلك يحدث أيضًا للأصابع: أنه سيفقد فى يوم إصبعًا ثم إصبعًا آخر بلا ألم جسدى مثلما يحدث مع الشعيرات. شعر بجزع عندما تخيل السقوط المفاجئ لذكره، ولكنه كان يتألم بشدة من سقوط شعيراته، لذا رأى أن سقوط أى شىء آخر أفضل من ذلك الغضب المتمركز فى رأسه وهكذا ستتوقف السخافات فى المكتب؛ فلم يكن يتخيل أن أحداً يسخر من أن "فلان" قد سقطت ذراعاه أو أن "علان" قد فقد أذنه، أو أنفه، أو جفنيه. ومع التفكير جيداً، فالأفضل الاختفاء بهذه الطريقة عن الموت. حينئذ يصبح الموت نظيفًا، فلن تتبقى جثة، وهى تشكل عقبة دائما. فى هذا الزمن الذى يُحفظ فيه الجميع داخل صناديق حقيرة، أصبحت عودة الجسد إلى الأرض بعد استهلاكه أكذوبة. حيث يصير قبيحاً، وتكون الجثة صلعاء، فقد رأى جثثًا كثيرة ويبدو أن الموت كان يتمركز دومًا فى الرأس.

أوحت له فكرة فقدان الأصابع، والجفون، والحواجب، والأهداب، إلخ – وحتى يجعل توزيع الخسارة أكثر إنصافًا – بأن تسقط الأفكار أيضًا، أثناء الاستحمام، ابتداء من عمر معين. وهكذا، حين يخرج الواحد من الحمام يومًا، إلى جانب خروجه بدون أنف أو أذن، ستكون أفكاره المتعلقة بالصداقة مثلا قد سقطت. إذن، ليست المسألة أن يصل المرء إلى سن الخمسين بكامل أعضائه وإمكانياته العقلية سليمة، ولكن برأس خال من الشعر حتى القفا. كان يفضل أن يتخيل نفسه بزوائد قليلة، ثلاثة أو أربعة أصابع فى كل يد، وأذن واحدة، وفتحة أنف وليس أكثر من أربعين أو خمسين فكرة ثابتة، وقد بدا له هذا الكم مبالغًا فيه.

تساءل: وساعة اليد؟ فى أى عمر ستقع الساعة ومع أى عضو؟. ولنفهم هذا السؤال علىّ أن أضيف أنه لم يخلع ساعة يده منذ عشرين سنة حتى وهو نائم. تنقل له دقات الساعة نبض الحياة، كان خلعها من يده لينام أمرًا يفوق التصور، كترك الأظافر فوق "الكومودينو". كما كان يستحم، ويسبح ويمارس الحب، أو ما يسمى حبًا، وهو يرتديها. كانت الساعة كجهاز تعويضى يحل محل قصوره فى إقامة علاقات مع الواقع: كانت الجسر بينه وبين الحياة، بين النظام الخارجى والداخلى، بين وعيه ووعى الأشياء الأخرى. بفضل الساعة عرف وقت الفجر ووقت النوم، وقت اللعب أو الأكل، وقت ارتداء السترة أو البلوفر.

عانى فى ذلك اليوم مشكلة خطيرة فى العمل. تراوحت حالته النفسية بين الاكتئاب والخوف طيلة اليوم. تصادفت ساعة النوم مع شعوره باليأس. عاريًا بجانب الفراش، كمن يريد الانتحار من فوق جُرف

صخرى، مرر يده فى شعره، وبقيت بين أصابعه عدة شعيرات. فكر أن الحياة لا تستحق، قطعًا، ليالى سهره. قضى سنوات وهو يمارس سيطرة قاسية على نفسه ليحافظ على توازن الأشياء، وتوصل إلى أن كل فعل، كونى أو عملى، يعتمد على قياسات الزمن. إذا تخلص من انشغاله هذا ولو ليوم واحد، أو استجاب يومًا لإغراء خلع الساعة قبل النوم، ربما كان شعره الآن أكثر كثافة، ولكن سينهار العالم وقتها. يدفع حاليًا عن ليالى أرقه، المسئولة عن صلعه، المتاعب فى العمل.

بحركة شخص يائس يقطع وريده، خلع الساعة ووضعها على "الكومودينو". ثم رقد على الفراش وشعر أنه يبتعد عن العالم، كمن ينزف دمه. وحينئذ، انفتح السقف ورأى قبة السماء تنشق، وتخلت الكواكب عن مواضعها. عمت الفوضى أكبر النجوم وأصغرها. وكان يجلس على يمين الرب الأبرار، وكانوا جميعًا صلعى الرؤوس .

كتب أخرى للمؤلف

أصدر خوان خوسيه مياس حتى الآن أكثر من اثنتى عشر رواية، تمت ترجمة معظمها إلى العديد من اللغات، وتستقبل أعماله بل وتدرس باحتفاء بالغ فى الأوساط الأمريكية، كرمز للكتابة المعاصرة فى إسبانيا:

- (البستان الخاوى)، ١٩٨١ .
- (ورقة مبتلة)،١٩٨٣ .
- (حرف ميت)، ١٩٨٤ .
- (فوضى اسمك)، ١٩٨٨ .
- (هى تتخيل)، ١٩٩٤ .
- (أبله،ميت ، وغد، خفى)، ١٩٩٥ .
- (النظام الأبجدى)، ١٩٩٨ .
- (لا تنظرى أسفل السرير)، ١٩٩٩،

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت . محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت . سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت . إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت . نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت . خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ - لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت . رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى بلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت · سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت · طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت · ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت · وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت . رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت . محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت · فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت .كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت . نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت . مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	جون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – ألام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠ – خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر آكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكياڤلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس

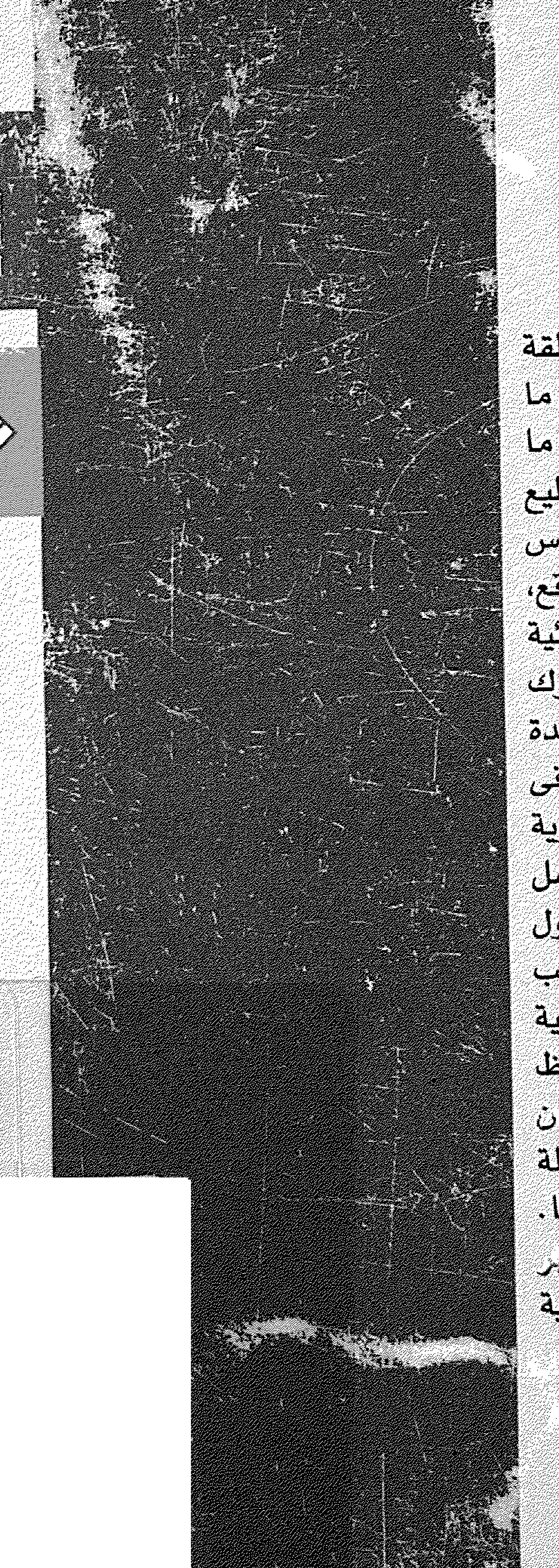
٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. ب. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت . ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكارايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون علماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر اوكين	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت . فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت . ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت . أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت · محمد السيد الننة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة بيرم التونسى	مارلين بوث	ت . سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ – الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت . عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت · عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت · أحمد الشامى

العنوان	المؤلف	المترجم
٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسَّرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسَّرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار الببغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديسًا	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ – سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهيم
٥٠٨ – المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقى جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ – الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ – الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ – كوكب مرقّع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ – كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت جمال عبد الناصر
٥١٣ – العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ – مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ – من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت : فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ – إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	آرنولد واشنطون – ودونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ – نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ – استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ – محاضرات فى المثالية الحديثة	[illegible]	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ – الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشـ[illegible]	أحمد يوسف	ت َ م أمل الصبان

٥٢١ – قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ – إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٣ – الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٤ – الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ – موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ – علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت : محيى الدين مزيد
٥٢٧ – كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيرى
٥٢٨ – تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	ت : جمال الجزيرى
٥٢٩ – بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠ – مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ – ما الذى حَدَثَ فى حَدَثِ ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت : صفاء فتحى
٥٣٢ – المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت : بشير السباعى
٥٣٣ – تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوى
٥٣٤ – الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	ت : حمادة إبراهيم
٥٣٥ – مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
٥٣٦ – الثقافات وقيم التقدم	صموئيل هنتنجتون	ت : شوقى جلال
٥٣٧ – الحب والحرية	نخبة	ت : عبد الغفار مكاوى
٥٣٨ – النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت : محمد الحديدى
٥٣٩ – خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت : محسن مصيلحى
٥٤٠ – توجهات بريطانية – شرقية	السير روناك ستورس	ت : رؤوف عباس
٥٤١ – هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت : مروة رزق

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٧٧١ / ٢٠٠٣



يلعب خوان مياس فى هذه المنطقة المحايدة بين الواقع والخيال بين كل ما هو مادى وميتافيزيقى. وفى لحظة ما يتورط القارئ مع الشخصية ولا يستطيع التمييز بين الواقع والخيال. وينشئ مياس أنظمته الخاصة التى تتداخل مع الواقع، وقد تبدو للوهلة الأولى عفوية وعشوائية ولهواً غير مقصود، ولكن سرعان ما ندرك مدى دقة وعمق هذه الأنظمة شديدة الرهافة، والتى لم نعرها الاهتمام الكافى فى أول الأمر. يستعين مياس بسخرية لاذعة وأسلوب شائق للغاية بل ومذهل فى أوقات كثيرة. وليس مبالغة أن نقول إن كل رواية أو قصة جديدة لهذا الكاتب تكون مفاجأة غير متوقعة من حيث التقنية المستخدمة فى الكتابة، مع الاحتفاظ بالسمة المسيطرة على حكيه، وهى أن الواقع قد يتحول إلى خيال فى أية لحظة بينما قد يصبح الخيالى واقعًا ملموسًا. أما أسلوبه فهو يعريه من كل ما هو غير ضرورى بجمل قصيرة وتشبيهات غاية فى الجدة.